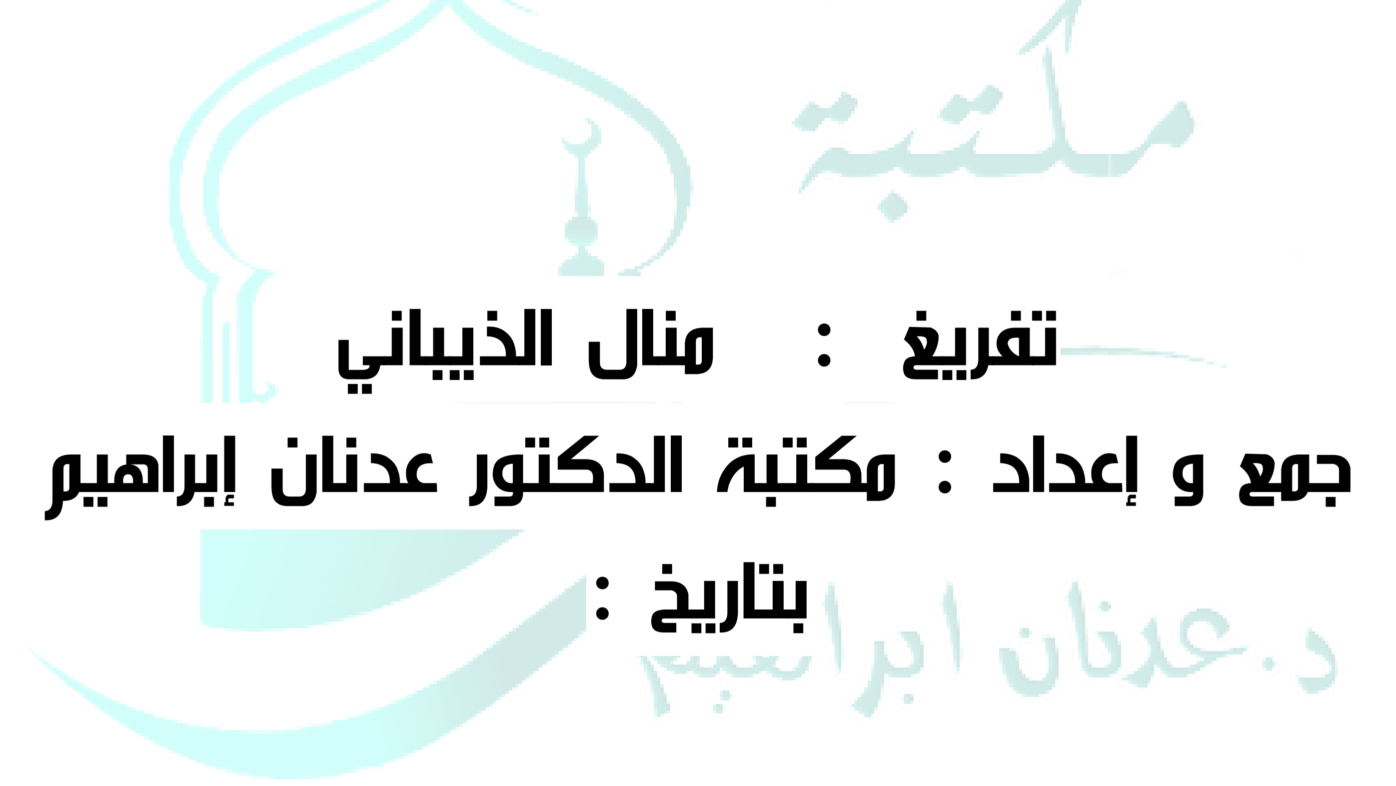

كتاب
مطرقة البرهان
وزجاج الإلحاد
مكتبة
د. عدنان ابراهيم



تفريغ : منال الذيباني

جمع و إعداد : مكتبة الدكتور عدنان إبراهيم

بتاريخ :

الخميس 6 يونيو 2013 ميلادى - الموافق - 27 رجب 1434 هجرى.

www.dradnanibrahim.com
http://FB.com/libraryadnan

الفهرس

الجزء الأول

الجزء الثاني

الجزء الثالث

الحلقة الأولى

{قلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (64) قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ (66) وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذا كُنَّا تُراباً وَآباؤُنا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ (67) لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَآباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (68) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69) وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ{سورة النمل

صدق الله العظيم وبلّغ رسوله الكريم ونحن على ذلكم من الشاهدين ..اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط آمين اللهم آمين ..

الحمدلله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته؛ واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير له ولامعين ولا وزير ولا ندّ له ولا شبيه ولا مثيل ..واشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله وصفوته من خلقه .. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الميامين المباركين واتباعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا و زدنا علماً، واهدنا لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، وافتح علينا فتوح العارفين برحمتك يا أرحم الراحمين ..اللهم آمين .

أما بعد إخواني وأخواتي،

السلام عليكم ورحمة الله جميعا وبركاته ..

السلسلة التي نستعين بالله تبارك وتعالى في الشروع فيها وفي اتمامها وانجازها بحول الله سبحانه وتعالى ومنّه هي كما اعلنا عنها تحت عنوان مطرقة البرهان و زجاج الإلحاد

كان بودّي توخيا للإختصار أن ادعوها مطرقة الإلحاد على أن هذه الإضافة قد تفسر بأنها إضافة للفاعلية بمعنى المطرقة التي يطرق بها الإلحاد قد يطرق بها الإيمان، والحال أنني أريد الإضافة للمفعولية .. المطرقة التي تطرق الإلحـــاد؛ فلما اشتبه الأمر خاصة عند الذين لا يعرفون المسائل اللغوية والنحوية آثرت البيان والوضوح فقلت "مطرقة البرهان و زجاج الإلحــــاد"

طبعا هذا العنوان فيه دعوة فيه زعم فيه تبجّح، ولست أنا المتبجّح ومن أنا حتى اتبجّح .. إن جاز لأحد أن يتبجح هم الذين أقاموا هذه البراهين عبر ألوف السنين .. في القرن التاسع عشر كتب الفيلسوف المنطيق العالم الباحث الشهير (جون ستيوارت مِل) اللِّيبرالي العتيد كتب يقول: "ستكون صدمة هائلة للعامة لو أنهم وقفوا على حجم أولائكم النابهين الذين يتبنون الإلحـــاد عقيدة ومذهبا" يقول الأذكياء والعلماء والمبرّزون الملاحدة كثيرون؛ الناس سوف يُصدَمون لو علموا بهذه الحقيقة !

لا لن نُصدَم ولاعلى العامة ولاعلى الخاصة من مثل هذا التهويل .... لماذا ؟
لأن الملاحدة إن جمعتهم في كل الأعصار – واعني نابهي الملاحدة واذكيائهم – فهم لا يكادون يشكلون اصلا شيئاً إلى جانب جيوش المؤلِّهة من الفلاسفة والمفكرين والعلماء عبر العصور، لن أقول أيضا انهم اذكى لكنهم لا يقلون ذكاءا.. أما أنهم أذكى أو غير أذكى هذا ماسيضح ويستبين إن شاءالله في تضاعيف وأنحاء هذه السلسلة حين نعرض لدليل الملحد ثم بعد ذلك نعرض برهان المؤلّه؛ وسوف نرى أيهما اذكى ايهما احكم عقلا ايهما اقوم بحجته وأدفع عن مذهبه وطريقته.. سوف يضح هذا لكن يحتاج الى وقت إن شاءالله تبارك وتعالى فصبرا صبرا..
لماذا تناول هذا الموضوع ايها الإخوة؛ لعلنا لو تناولناه كمسلمين وكعرب قبل عشرين او ثلاثين سنة سيقال: هذا من باب الترف الفكري والفلسفي واللاهوتي .. لماذا؟ للإلحاد ؟ الناس تحتاج تتعلم دينها، أحكام الحيض وأحكام الطهارة و احكام النفاس وصلاة العيدين وصلاة الكسوف .. أما اليوم ومن الأسف الشديد فقد صار لزاماً أن نتناوله وأن نمعن فيه، وأن يتناوله كل من له لياقة فكرية و عَقَدية أي لاهوتية وفلسفية؛ لا أقول لكي نَذُب ..أنا لا أحب المنطق الأيدولوجي حتى المنطق التبشيري لي موقف منه .. لكن الحقيقة غالية؛ وإذا ثبت أن الله تبارك وتعالى هو حقيقة الحقائق، فخطير جدا وخسارة فادحة أن يضلّ الإنسان طريقه إلى هذه الحقيقة، هذا سيكلفه الكثير في الدنيا وفي العالم الآخر الذي لا يؤمن به ..
ولذلك هذا الموضوع موضوع البحث عن وجود الله تبارك وتعالى ومايتعلق بهذه الذات الأقدس والحِمَى الأرفع ظل يستحوذ على مخيلة وعلى اذهان كبار المفكرين والعلماء والفلاسفة كما أيضا على مخيلة الإنسان العادي حين نتحدث إن شاءالله في المرات المقبلة عن براهين الإيمان وسنتحدث عن برهان الفطرة؛ وسوف نرى هل النظرية الوحيانية تفسر لنا نشوء الإيمان ونشوء العقيدة الإلـاهية في التاريخ البشري أم النظرية التطورية .. وفي كل حال سوف نرى في كلتا الحالتين ومع كلتا الوُجهَتين أن الإنسان القديم ماقبل التاريخ كان هو الباحث عن الإله، كان هو المتقرب الى الإله دائما .. هذه المسألة مشغلة، حتى الذين انكروا وجود الله تبارك وتعالى ونادوا بموته؛ فرويد مثلا تأثرا وتبعا لزمرة كان من آخرها نيتشه المتوفى سنة 1900م .. فرويد كان يرى أن الإنسان هو الذي خلق واخترع إلـهه - وليس العكس – لكنه قال في كتابه المشهور (مستقبل وهم): "سيأتي يومٌ يتخفف فيه الإنسان من هذه العقيدة (عقيدة وجود الله) لكن ليس في المستقبل القريب" يقصد فرويد بذلك أن الله لم يمت؛ وهو من باب كما يقال بلغتنا الدارجة > يصطنع لنفسه خط رجعة يقول"ليس في المستقبل القريب" ألف ألفين عشرة آلاف مليون سنة يعني يجعل لنفسه خط رجعة يضمن لنفسه أنه ربما بعد ألف سنة يقال عنه عالم كبير، لم يُخضَع على الأقل، إلى الآن الناس تعبد الله تبحث عن إله و هو لم يُنكِر هذا يعلم أنه باطل ولكنه قال في المستقبل البعيد سوف نتخفف ..
ميشيل أونفريه (صاحب كتاب: نفي اللاهوت) وهو ملحد عنيد ومتحمس قال: " أنا أقول الإلـه لم يَمُت وليس يُحتضَر و لـن يموت في أي يوم من الأيام؛ سيموت آخر إله مع آخر إنسان لأن الخرافة لاتموت والحكايات التي تُضَلّل بها الأطفال لايمكن ادحاضُها " كان يقول ميشيل: حكاية الإله هذه والإيمان بالله هي حكاية خرافية حكايات من بدائية الإنسان الانسان ماقبل التاريخ حكايات تناغي وتستجيب لأشياء فينا.. (والعياذ بالله) ..تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا .. فكان يقول اونفريـه "أن هذه حكايات خرافية حكايات يُخَدّر بها الأطفال فلا يمكن القضاء عليها لأن العقل الإنساني ليس كاملا ليس تاما هو عقل خرافي عقل طفولي" .. وطبعا هذي عبارة عجيبة جدا هذا ليس خط رجعة..لا ، هذا خط رجعة مع شيك على بياض خط رجعة مفتوح ، دائما سيقول لك مهما ظل هناك عدد هائل من اناس تؤمن بالله هم بينهم فلاسفة وعلماء هذا لا يشكّل أي دليل بالنسبة إلَيّ !
لأن فرويد حين قال ماقال ردّ عليه غيره، من بينهم الفيلسوف المسلم علي عزت بيجوفيتش قال" لماذا ظل الناس يفعلون هذا؟ (أي لماذا ظل الناس يخلقون إلاههم؟)" ... لكن اونفريـه تهرّب من مثل هذا الإيراد بذكاء ..و
يستطرد الدكتور عدنان معنى رد علي عزت بيجوفيتش : انت يا سِغموند فرويد تفترض أن الانسان فعل هذا حين

كان بدائيا وبسيط التفكير لكن الآن الإنسان في القرن العشرين ومازال من العلماء الكبار والفلاسفة والمفكرون والأذكياء من البشر يؤمنون وهم الأكثر طبعا بحسب بعض الدراسات الإحصائية بأن هناك فقط 2,13% من سكان الأرض الآن في القرن الحادي والعشرين ممن يُصرِّحون أنهم ملاحدة، أما الذين يقولون لا أعلم (أن هناك إله أو ليس هناك إله) يُسمونهم < اللا أدريين > - هذا يسمى الإلحاد الضمنيImplicit atheismأي إذن ممكن الإلحاد عنده امكانية قائمة لتفسير الوجود والطبيعة – هؤلاء زُهاء 12% ؛ والبقية على الإيمان على المسيحية على الاسلام على اليهودية بقية مؤمنة مؤلِّهة يؤمنون بالإله .. إذن مازال التأليه هو المذهب السائد والكاسح حتى احصائياً..

على عزت اعترض على فرويد يقول له: " لماذا ظلّ الناس يفعلون هذا الى اليوم في عصر العلم في عصر التكنولوجيا في عصر الفضاء يعيدون خلق إلههم، هل هذا صحيح؟" فـأونفريـه يقول "هذه حكاية اصلا لن تنتهي ولن تموت.. هذه حكاية خرافية، ستبقى مع الإنسان حتى يفنى هذا الإنسان" .. أيضا هو تأثر بـنيتشه الذي قال: "آخر مسيحي كان هو أول مسيحي ومات على الصليب" .. أي أنه انكر المسيحية .

على كل حال حتى لا نطيل عليكم احب ان اعرض عليكم خطة هذه السلسلة كيف سنسير عليها حتى تشاركونا ان شاءالله في خطوات المسير ..

سنبدأ بتعريف الإلحاد ونعرض كيف تطور هذا المفهوم والإشكالات حول هذا التعريف، وبعد ذلك أُعقِّب بلمحة تاريخية ارجو ان تكون موجزة الى حد ما ، لأننا اذا اردنا ان نعرض تاريخ مفصل للإلحاد هذا سيستغرق مننا الى عشرات الساعات ويستوعب مننا ألوف الصحائف، لكن سنتناوله بلمحة عامة واجمالية بإذنه تبارك وتعالى ..

في أثناء هذا العرض أحاول أن اعرِّج وان اضع اصبعي على الأسباب التي دعت إلى الإلحاد؛ لأن كثيرا جدا من هذه الأسباب لم تكن محض اسباب عقلية برهانية استدلالية استنتاجية ..لا ، كانت من باب العوامل .. فيه فرق بين السبب وبين العامل أو بين الدليل وبين العلة ..

الموضوع المُدلّل هو الذي يقوم دليل ما على برهنته اصاب أو أخطأ ..

الموضوع المُعلّل يتبرر بعوامل معينة بعِلَل لا بأدلة.. يعني مثلا : لماذا البلدة الفلانية مسيحية كـاثوليكية > هذا ليس مدلل هذا معلل، مستحيل ان يقول لك كل فرد من هذه البلدة انا مسيحي كاثوليكي عندي أدلة على ذلك ..مستحيل ، انت وجدتَ نفسك على ذلك، انت ابن عوامل معينة ابن علل معينة أي الأمر معلل وليس مدلل..

أكثر ما يُقال انه اسباب ومبررات للإلحاد هي عوامل او علل للإلحاد ليست براهين وأدلة، اذن الإلحاد هو معلل لا مدلل ..لكن لكي ابسط لكم :

الآن بما يُعرف بـــالإلحاد الجديد مثل إلحاد دوكينز و سام هيريس ودانيل دينيت وأمثال هؤلاء إلحـــادهم يستند كثيرا على علل على عوامل وليس على أدلة .. يقول لك الأديان هي سبب نكبة البشرية انظر الى الحروب انظر الى تاريخ الدنيا ..الأديان دائما هي السبب، لذلك نحن ألحَدنا !. هذا ليس برهان ، الموضوع اضيق من هذا بكثير !.

وفي الحلقات المقبلة بإذن الله تبارك وتعالى سون ندخل في مواجهة الإلحاد في مقارعة ومنازلة الإلحاد بمعنى أننا سنعرض بما لدينا من براهين وسنبدأ بهذا .. هذا من باب التحدي القوي .

عموما كان بعض اللاهوتيين بعض رجال الدين عبر العصور يستندون الى مايُعرف بحجة الجهل وكانوا يقولون للملاحدة وربما لـ اللاشكوكيين واللا أدريين: "هيا اثبتوا لنا أنتم أن اللــه غير موجود" > وهذا من باب حجة الجهل، هذا تطبيق من تطبيقات حجة الجهل في المنطق بمعنى أنك اذا لم تستطع ان تثبت انه غير موجود اذن هو موجود!، وكأنه نوع من برهان الخُلْف ..

سنبدأ نحن بالمواجهة ..لماذا؟ لأن بعض الملاحدة في القرن العشرين آثروا ان يقذفوا بالكرة في ملعب المؤلّـهة، قالوا لأول مرة فعلناها.. انطونيو فلو مثلا في مرحلة إلحاده فعل هذا، في كتابه فرضية الإلحاد قال: "انا فعلت هذا لأول مرة؛ قذفت بالكرة في ملعبهم، قلت لهم: لا ليس الملحد المطالب بإثبات عدم وجود الإلــه، أنتم تقولون انه يوجد إله!" وهذا الصحيح طبعا، هذا السير الفكري السليم .. البينة على من ادّعى أنت تدّعي ان الله موجود ..اذن برهِن هذا !

لأن برهان النفي كما يُقال برهان السّلب صعب جدا جدا، هناك مثل مشهور لبرنارد راسِل يتحدث فيه عن ابريق خرافي او ابريق افتراضي يقول: "فالنفترض مثلا أنه بين الكوكب الفلاني والكوكب العلاني ابريـق خزفي صيني يدور بطريقة معينة بين الكوكبين ..برهِن لي أنه غير موجود ؟" .. لاتستطيع بأي حال من الأحوال، كيف تستطيع ان تبرهن انه غير موجود ؟! تبرهِن السّلب لكن البرهان دائما يكون على الموجود. وبالنسبة لنا لا توجد مشكلة قد قبلنا التحدي..

نحن سنبدأ بعرض براهيننا، وفي الأثناء سنعرض لكل براهين وأدلة الملاحدة المنافية والمعارضة، طبعا لديهم اعتراضات لديهم ايرادات كما يقال، وسنجيب عنها واحدة واحدة وبكل نزاهة وموضوعية .

إلى الآن ايها الأخوة لكي نحرر محل النزاع للمواجهة حول قضية وجود الله تبارك وتعالى كخالق و مبدع لهذا الوجود .. هذا الذي نريده فقط لن نتفرع في قضايا اخرى ولن نتدخل في الأديان ..

تعـــــريف الإلحـاد

ندخل الآن في موضوعنا مـــــاهو الإلحاد ؟

عرّف الإلحاد بمقدمة مختصرة جدا (جوليان بيجيني) : الإلحاد هو الإيمان بعـدم وجود إلـه أو آلـهة .

ثم ذهب الرجل ينحو باللائمة على الذين ربطوا بين الإلحاد وبين الإنحراف المسلكي.. طبعا هذا عبر العصور وخاصة في العصور الحديثة أكثر الناس يربطوا بين الإلحاد وبين الإنحراف الخُلُقي فالملحد هو الخائن يخون الوطن، الملحد هو الذي يدمن الخمر، الملحد هو الذي يرتكب المفسّقات و وجوب الفجور..وأن هذا تجني على الملاحدة .

عموما يتم ربط الإلحاد بنفي الأخلاقية – وطبعا هذا واقعيا غير صحيح يمكن ان تجد ملحدا وتجد لديه اخلاقية عالية جدا، لذلك هل يوجد ملحدون حقيقيون؟! وهذا يتوقف على تعريف الإلحاد وعلى تبرير الأخلاقية إلحاديا هل يمكن ؟؟ فيربطون بين الإلحاد وبين اللا أخلاقية ، الإلحاد معناها لا اخلاقية، إلحاد معناها لا معنى للحياة..الحياة تفقد معناها..

قال جوليان :غير صحيح .

كارل سيقين – ملحد- في كتابه (عالم تسكنه الشياطين) ذكر في مقدمة الكتاب: أنه يمكن أن نضفي على الإنسان وعلى الحياة معنىً اجمل بكثير في ظل مفاهيم الإلحاد. من المعاني التي تُفرَض بإسم الإيمان، والإيمان بالإلــه، المعاني الاغترابية التي تجعل الانسان يغترب عن ماهيته عن حقيقته عن ذاته كإنسان .. > هكذا كان يزعُم وانا اختلف معه تمـــــــــــــاماً ..طبعا هذه الفكرة نجد أسُسها لدي هيجيل فويَر باخ وكل من تكلم بالاغتراب عن الدين بالذات فوير باخ في جوهر المسيحية ..

أيضا خيرية الإنسان، قالك الانسان لايكون خيّرا ولا طيبا بغير دين والملحد ليس خيّرا ، فطبعا الملاحدة يرفضون هذا. من الأحسن أن لاتتورطوا حين تناقشون ملحدا في هذه الفخاخ ، لأن هذه النقاشات الفلسفية معمقة جدا جدا ومن الصعب ان تصل فيها بسهولة الى مقطع الحق والى كلمة الفصل النهائية لغير المتخصص تماما، وقابل ايضا للمكابرة .. اترك هذا النقاش ودائما حرّر محل النزاع ، ومحل النزاع هو يوجد إلـه أو لا يوجد .. هذا الذي نريده في الأول وتدرّج بطريقة واضحة ..

طبعا هذا التعريف الذي أورده هذا الكاتب (بيجيني) هذا التعريف يمكن ان نقع عليه في أي معجم ، ستجد نفس التعريف.. وهذا تعريف معجمي ليس تعريف لفظي ، احذروا التعريفات اللفظية فالتعريفات اللفظية لا تسمن ولا تغني

من جوع ولا تُقدم شيئا .. أحيانا قد يأتيك أحدهم ويقول لك: " ليس هذا معنى الإلحاد، الإلحاد هو الميل عن الحق، ألحد عن بمعنى مال عن، وليس من شرط الملحد ان يكون منكر لوجود الذات الإلـهية مستشهدا بقول الله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها و ذروا الذين يلحدون في اسمائه) وهذا يعني انهم اعترفوا بوجوده وألحدوا في اسمائه وعطلوها أو شبهوا كذا .... " > يا اخي الله يخليك نحن لا نتكلم عن تعريفات لفظية نحن نتحدث عن مذهب النفي نتحدث عن مذهب اللا ربوبيةAtheismاللا ألوهية ، كما يأتيك احدهم يقول لك :عرّف المعتزلة ..فيقول لك : المعتزلة من الاعتزال! .. لا والله فهمت كثير واستفدت انا، أهذا يعني المعتزلة ؟!!! الأخ اعتزل الدرس فهل يعني اصبح من المعتزلة؟!! .. تعريف لفظي هذا، لا نريد الاشتقاق، فالتعريف الاشتقاقي يفيد فقط كمِهاد لكي نبني عليه تعريفا بالحَدْ او بالرسم او بكليهما .. الى آخره.

ولذلك دليل (كامبريدج) للإلحاد يقول: "من الصعب ان نضع تعريفا للإلحاد لأن هذا المفهوم(مذهب الإلحاد) تطور عبر العصور مواكبةً لتطور مفهوم الإلـه". طبعا لأنه في نهاية المطاف هو نفي الإله، الإله الذي تؤمن به الحضارة هذه غير التي تؤمن به الحضارة تلك، فأنت قد تنفي هذا الإله فتُعَدُّ ملحدا عند ابناء هذه الثقافة، لكن قد تبقى مؤمنا عند ثقافة أخرى لم تنفي آلهتها او إلهها، في المدينة الاغريقية سقراط تمت محاكمته بتهم كثيرة ومن ضمنها الإلحاد ! .. كيف الإلحاد هذا رجل مؤمن !! .. في محاورة لأفلاطون يوثِقَ واضح أنه كان مؤمنا، طبعا وهذه مشكلته، ورد عن سقراط أنه دعى إلى توحيـــــد الألهة، لذلك بعض الإسلاميين ظن ان سقراط "كان نبيا" – الله اعلم- وسلوك سقراط عجيب وميتته كريمة ايضا ، فيها شرف..فدعى الة توحيد الألهة > بالضبط هذا كان إلحاده ، لأن الأغارقة ضد التوحيد ، كانوا يؤمنون بتعدد الألهة اولاد واحفاد وقصص كبيرة .. على كل حال، فطبعا كونك تنكر تعدد آلهة المدينة إلحـاد، تنادي بإله واحد > ملحد .. نعم هنا نرى تطور مفهوم الإله .. في حضارة موحِّدة من يقول بالشرك وبالتعدد للآلهة > يكون ملحد ..أليس كذلك ؟!

فقالو صعب ان نقدِّم تعريفا واضحا للإلحاد، هذا يعتمد على مفهوم الإله .. المسيحيون الأوائل كانوا يُحرَقون، كانوا يُتخذون مشاعل يضعونهم على جوانب الطُرُق ألف مسيحي ويضعون عليهم الزيت ويُشعلونهم – في عصر الشهداء كمايقال – لأنهم ملاحـدة.. ماذا انكروا؟

انكروا آلهة الامبراطورية الرومانية الآلهة الوثنية خصوصـــــا عبادة الامبراطور ، فكانوا يُحرَقون يُشعل بهم لأنهم كانوا لايعبدون الامبراطور، قسطنطين اصبحت مسيحية لكن لم يجعلها ديانة رسمية ، وبعدها لما اصبحت المسيحية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية سنة 380م > صار الملحد هو من لا يؤمن بعقائد المسيحيين وصار يُعامَل كملحد وقد يُقتل او يُسجَن او يُعذَّب! .. انعكست الآية .

في السياق الإسلامي هناك توسع كثيرا وتجوّزنا كثيرا في استخدام مصطلح الإلحاد، أُطلِقَ على من عطّل شيا من صفات الله، على من شبّه، على من انكر اصلا من اصول الدين يُعتبر ملحدا... ولذلك إذا عرفنا الإلحاد بأنه انكار وجود الذات الإلهية انكار وجود الله ليس في الحضارة الإسلامية ملحد واحد ولا ابو العلاء المعرّي ولا محمد ابن زكريا الرازي ولا ابن الراوندي وهؤلاء كبار الملاحدة المشهورين في تاريخنا لنعود لكتاب الفيلسوف العلامة <عبد الرحمن بدوي> رحمه الله من تاريخ الإلحاد في الإسلام وإلى غيره .. كبار الملاحدة هؤلاء ولا واحد منهم انكر وجود الله تبارك وتعالى، لكن انكروا اشياء دون ذلك، حتى ابن سينا، ابن رشد وخاصة ابن سينا انكر العناية الإلهيـة.. متابعة لأرسطو الذي كان فكرهُ:(الله خلق العالم ثم تركه يُدير نفسه، الله لايعلم الجزئيات غير مشغول بها، الله مشغول في التأمل في ذاته الكريمة) .. ولذلك وُسِما (ابن رشد وابن سينا) بالإلحاد. واختلط مصطلح الإلحاد في السياق الاسلامي بمصطلح الزندقة .. انكار النبوة > الحاد .. يعني محمد ابن زكريا الرازي هذا أسّ مشروعه الإلحادي الزندقي – ان جاز التعبير – إنكـار النبوّة، ينكر النبوة ويسخر منها، لكن يؤمن بالله، يقول:" الله موجود لكن الله ليس بحاجة إلى أن يتصل بهذا العالم عبر بشر يُسمّونَ رسلا، والرسل إلا سَحَرة العقل اغنى عنهم " و ردّ عليه العلماء بكتب أخرى. أما هذه

المصطلحات هنا لا تعنينا الآن في هذه السلسلة ستُعنى بإنكار وجـــــود الله كخالق مبدع للوجود، هــــــذا الذي سنحصر انفسنا فيه..

من جهته الفيلسوف الشهير (أندريه لالاند) في قاموسه الفلسفي الشهير جدا وهو من أدق المعجمات والقواميس الفلسفية على الإطلاق، يقول: " لايمكن تعريف هذه المفردة إلا تعريفا لفظيا، نظرا لأن مضمون فكرة التلحيد يتباين وجوبا حسب ترابطه بمختلف التصورات الممكنة لله" .. كما شرحت لكم سابقا تصوراتنا عن الإله مختلفة بين الثقافات والحضارات وكذا ..مختلفة كثيرا، فـــــوين الإلحاد ؟! ماهوا الإلحاد انكار ماذا ؟ .. ماتنكره هنا يُعدُّ هناك ايمانا وليس الحادا والعكس هكذا .. إذن فتعريفه صعب . ثم نقَلَ عن فرانك قوله: " مامن تهمة كانت اكثر تداولاً من تهمة الإلحاد، ففي الماضي كان يكفي المرء حتى يُتهم هذه التهمة حتى يُشاطِر الناس الآراء السائة والمعتقدات الرسمية". هذه تهمة سقراط وتهمة المسيحيين في الامبراطورية الرومانية الوثنية، انت اذا اختلفت مع ديانة المدينة السائدة فأنت ملحد ، مهما تكون الآراء والمعتقدات) فاحشة وحتى فاسقة اذا خالفتها تعتبر ملحدا، في القرآن الكريم نفس الشيء{أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون}سورة النمل/56. أنت تخالف السائد، اذن أنت انسان شاذ ومنبوذ ينبغي ان تُنبَذ ..

وختم (لالاند) بالقول: " والحال فإن هذه مفردة لاتبدو لنا مشتملة إلا على قيمة تاريخية، ينبغى تحديدها في كل حالة خاصة وتاليا لاتحمل نظرية محددة فما هو تأكيد للأوهية عند البعض يمكن أن يكون إلحادا عند البعض الآخر ، وعليه فقد تناسب النقاش الفلسفي الذي تنزع من الجهة الثانية الخروج منه " . ولذلك لعدم الوضوح والثبات التاريخي لمدلول هذا المصطلح تم اتهام كثيرين عبر العصور بالإلحاد مع أنهم يؤمنون بوجود الله، يعني (باروخ اسبينوزا) مثلا أُتّهِم بأنه ملحد، ولُعِن اربع لعنات من ألسنهدرين (مجمع الرهبيين والأحبار) في أمستردام، ومُنِعَ الناس أن يقتربوا منه الى اربعة اذرع .. الرجل تحدث عن وجود الله وحاول ان يثبت وجود الله، ودليله على اثبات وجود الله وضوحه التام يقول الله واضح جدا جدا من اوضح الواضحات كيف لا نؤمن به!... لكن المفهوم الذي تبناه (باروخ اسبينوزا) للإلــه ليس هو المفهوم السائد والشائع في الديانات التوحيدية مثلا ولا حتى في ديانات اخرى غير توحيدية، إنما هو الشائع في بعض الديانات الشرق اقصوية مفهوم وَحْدَوِي، مفهوم وحدة الوجود أن الله تبارك وتعالى هو والكون شيء واحد .. طبعا هذا مفهوم عند الأديان السماوية يعتبر مفهوما الحاديا، هذا يساوي او يعادل حتى من انكر الله قالو" هذا ليس الله الذي نؤمن به، أنت تؤمن بإله الطبيعة يعني الطبيعة والإلــه شيء واحد ..كأن الروح السارية في هذا الكون التي تنظمه هي القوانين ذاتها".. هذا إلحـاد عند النصارى وعند المسلمين، وقالك (اسبينوزا) أنا مؤمن ، مؤمن بالله على طريقتي) .. هذه طريقته .

ابو حامد الغزالي كفّر ابن سينا والفارابي بمسائل معينة، قولهم بِــقِدَم العالَم يعتبر كُفْراً عند ابي حامد الغزالي، انكارهم لعلم الله بالجزئيات، انكارهم للمِعاد الجسماني، كل هذا كفُر .. وقالو لا نحن مؤلهون ونحن مؤمنون، ونحن اقمنا من اجمل البراهين واقواها على وجود الله، كبرهان ابن سينا المعروف بـ برهان الصديقين في القرن الحادي عشر الهجري،

لكن عُدّ هؤلاء الى زنادقة، عُدّوا ملاحدة، لأنهم خالفوا التصور السائد لدى المسلمين السنّيين بالذات وهكذا ..

نكتفي ان شاءالله في هذه الحلقة بهذا القدر على أن نلقاكم في حلقة مقبلة فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الحلقة الثالثة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ..
اللهم افتح علينا وأنت خير الفاتحين ... أخواني أخواتي السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،،
مازلنا مع تعريف الإلحاد في القوانين او النواميس كما ترجمها بعض العرب لأفلاطون في محاورته الشهيرة، ذكر افلاطون ثلاثة اشكال للإلحاد .. الشكل الأول يتمثل في انكار الألوهيـــة او الربوبية
الشكل الثاني يتمثل في اثبات الألوهية مع انكار العناية الربانية للخلق، والعناية الربانية تعني أن الله تعالى يعنيه، مهتم بشؤن الخليقة بشؤن الكون وخاصة بمسار و مصير الإنسان، لذلك من لوازم ومقتضيات العناية الإلهية ارسال الرسل و إنزال الكتب طبعا هذا اذا فيه عناية إلهية، يعني كل انسان ينكر العناية الإلهية لازم ان ينكر النبوة والرسالات والوحي. فأفلاطون قال هذا الحاد ايضا وإن اعترفت بوجود الله تبارك وتعالى .
وآخر ضرب من ضروب الإلحاد في تصنيف افلاطون هو: الاعتقاد بأن الألهة يمكن ان تُستجلَب رضاها ويُستدفع سخطُها بتقريب القرابين وتضحية الأضاحي .. مع أنه هذا ملمح يتكرر في معظم الديانات، وله طقوس مشهورة جدا جدا بتقديم القرابين وتضحية الاضاحي لاتكاد تخلو منه دين من الديانات المشهورة .. قال عنه افلاطون أنه إلحـــــــاد !
الشكل الأول من اشكال الإلحاد انكار الألوهية الإلحاد الصريح نجده عند الفلاسفة السابقين على سقراط الفلاسفة الطبيعيون الذين تقريبا وضعوا اللبنات الأولى كأسس لما صار يُعرَف و إلى اليوم بالمذهب الطبيعي، (لكن طبعا اختلف المفهوم واتّسعَ كثيرا) بمعنى أنهم يؤمنون بأن الطبيعة هي المبدأ الوحيد الذي علينا أن نكون واثقين موقنين به مكتفين به، والطبيعة كافية لنكي نفهمها ولكي نفسرها لانحتاج الى مبدأ مفارق لها؛ يُقال عنه إله أو آلهة أو قوة ماوراء الطبيعة، الطبيعة والطبيعة فقط ! .. عجيب، فعلا هذه مرحلة متقدمة من الإلحاد تاريخيـــاً، يعني من هؤلاء مثلا (ديموكريتوس) صاحب النظرية الذريّـــة وهي نظرية في منتهى الذكاء والتي ظلّت مهجورة الى القرن الثامن عشر – نظرية لا احد يعبأ بها لأن الفلاسفة والمفكرين كانو مأخوذين بنظرية الاتصال الارسطية - ارسطو قارعَ ديموكريتوس هذا وسفّهَهُ سفّه وجهة نظره الذرية وقال عنها غير صحيحة .. طبعا ثبتَ الآن وبشكل قطعي أن النظرية الصحيحة هي النظرية الذرية وليس النظرية الاتصالية نظرية ارسطو، وهذا فسّر كل شيء؛ فسر النفس او الروح فسرها ذريّاً مادياً .. قالك النفس ماهي النفس؟ قال "النفس نفس الشيء تتكون النفس كما تتكون أي شيء آخر لكن من ذرات بعضها كبير وبعضها صغير و تأخذ اشكالا مختلفة ولها زوائد ومسننات لها يركب بعضها في بعض (هكذا يتخيل هو) وهذه تُكوّن كل شيء حتى النفس تتكون من ذرات" ..فهؤلاء كانوا طبيعيين اسسوا المذهب الطبيعي في تفسير الوجود؛ فالفلاسفة قبل سقراط (مؤسسو المدرسة المادية ويُعرفون بالفلاسفة الذريين) يعتبرهم أفلاطون بأنهم مــــــــلاحدة .. (تالِس) مثلا نظريته الشهيرة في الماء كأصل في الوجود (النظرية العناصر الأربعة) أن الوجود كله مكون من عناصر – وطبعا كلمة عنصر هو الشيء الذي لا ينحل الى ماهو دونه – والعناصر هي الماء والهواء والتراب والنار، وطبعا واضح الآن في الطبيعة الحديثة هذي ليست بعناصر هذه مركبات وكلام فارغ. لكن هـــــكذا هم اعتقدوا وهذه خطوات ذكية على فكرة، الفلاسفة الطبيعيون والفلاسفة قبل سقراط يمكن ان يُقال – وقد قال هذا اكثر من مؤرِّخ – للعلم أنهم هم الذين ارسوا الدعائم الأولى للعلم الطبيعي؛ يعني بداية نشأة العلم

الطبيعي مع الفلاسفة السابقين على سقراط . لكن هذا العلم الطبيعي لم يكتمِل ولم ينضج في البداية ولم يكتمل الا في العصر الحديث وبالذات في اوروبا كما يقولون، نحن نقول وعبر العالم الإسلامي .. العالم الاسلامي ايها الاخوة قدّم امدادا هائلا جدا جدا جدا للعلم الحديث التجريبي لايمكن التغاضي عنه هذا جحود، ثم تابعت أوروبا واستبحرت في هذا الشيء استبحارا عظيـما جدا .

لنرى وجهة النظر الثانية انكار العناية، افلاطـون وقف ضد الحاد انكار العناية ؛ قال وجهة النظر هذه او هذا الموقف الفكري يُعادل او يساوي او يرادف القول بـ كسَل الالهـــة الآلهة كسولة لاتتقن عملها لأنها لا تُتِمّه، كل من لا يتم عمله فهو لا يتقنه على الأقل هذا الحد الادنى من الاتقان الإتمــــــام .. قال افلاطون هذا يعتبر اتهاما للآلهة انها عاجزة ومتراخية و كسولة ، لأنها خلقت الانسان وخلقت الكون ثم ادارت ظهرها له وهو ليس إلهاً للإنسان والكون ليس إلــها لا يستطيع ان يقوم بنفسه سيحتاج الى نظرها الى التفاتها الى ملاحظتها لكنها لا تفعل كسولة .. > قال هذا إلحــــــاد .. وهذه وجهة نظر جميلة من افلاطون انه يعتبر انكار العناية يعادل الإلحـــــــاد .

واخيرا الموقف الثالث المتمثل بإلحاد القرابين والأضاحي قال افلاطون : الاعتقاد بأن الألهة يمكن ان تُستجلَب رضاها ويُستدفع سخطُها بتقريب القرابين وتضحية الأضاحي يُعادِل القول بأن الآلهة سخيفة كالقضاة المرتشين الذين يمكن ان تُزيّف ضمائرهم وآرائهم بدفع النقود لهم، قال هذه آلهـة؟! هذا إلحــاد ، ولذلك منع افلاطون القرابين الفردية قال عنها أنها الحاد .. لكن خضوعا منه للسائد المجتمعي – نعرف افلاطون كان في اثينا وكانت لديهم آلهة كانت تُقرّب لها القرابين وكان فيه كهّان وفيه معابد – بعدين اُتّهِم بالإلحاد مثل استاذه سقراط يُقتَل .. قال : لا، انا ضد القرابين الفردية ومع القرابين الجماعية .. واضح أنه يُنافق نفسه وينافق المجتمع حسب قاعدته وتبريره العقلي لوصف مثل هذا المسلك بالإلحاد أن القرابين المجموعية أمعن في الإلحاد.
(في القرآن الكريم بالرغم من أنه عندنا الاضاحي وعندنا القرابين لكن في القرآن قال تعالى: "لن ينال الله لحومها ولا دماؤها" عكس التصور الاسرائيلي اليهودي في كتبهم أن الله يتمخّخ برائحة الحريق ويفرح بهذا جدا وينتشي يحب رائحة الشواء ! .. فعلا هذا مفهوم إلحادي كما قال افلاطون .. لكن في القرآن بشكل واضح في سورة الحج: " "لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن ينالهُ التقوى منكم".. وفي السورة ذاتها في موضعين: الله اخبر أن المراد والمقصود من تضحية هذه الاضاحي أن يأكل منها البائس والفقير، ويأكل منها القانع والمعتر فقط. لكي نفهم فلسفة القرابين في الاسلام، وللأسف الى اليوم تجد من جهلة وأُميين المسلمين والمسلمات من يقرّب القرابين من يضحي الاضاحي بل من يصلي الصلوات ينقرها نقرا على خلفية أشبه بـالإلحادية ! يريد ان يرشوَ الله .. وقد سبق و ذكرت في خطبة ما اتفق لبعض الناس معي قلت له: للأسف بعض الناس يصلون يصومون ويأتون الكبائر ويأكلون لحوم الناس ويلتهمون اموالهم يخدعونهم يغشونهم ماهذا ! قال: عجيـــب، كيف يفعلون وهم يصلون؟! فقلت له: هم يفعلونه لأنهم يصلون .. قال لي: لم افهم .. قلت: لعلهم لو لم يكونو يصلون لكانو اقرب الى العفة و الى الشرف و الى الامانة في المعاملة .. كالذي يقول لك: انا على الاقل لا اصلي ولا اصوم للأسف الشديد و أجمع الى هذا ايضا الضحك على الناس و تهوّل اموالهم واغشهم في تجاراتهم اعوذ بالله إني اذن إلى شقيّ سأكون من اهل جهنم، لكن لما كان يصلي ويظن ان الصلاة مرادَ الله بذاته الله يفرح بالصلاة هكذا تنقرها نقرا دون خشوع دون ان تنهاء عن فحشاء دون ان تقربك الى معروف هذه الصلاة يحبها الله ويريدها .. > اذن هو يتعاطى مع الصلاة والعياذ بالله كمخدّر للضمير..
يعني صلي من هنا، وافعل ماشئت لأنك صلّيتَ يا اخي على الاقل الصلاة بحسابها والاثم بحسابه فنعـــتدل !؛ ولا يدري مثل هذا المسكين أنه ان كان يصلي على هذه الخلفية وبمثل هذا الوعي الزائف، فإن صلاته حتما ستكون لعـنة عليه، وقد ورد في بعض الأحاديث على كذا في اسانيدها فعلا أن مثل هذه الصلاة تُلَفُّ كالثوب الخَلَق الأسود

وتُضرَب بها وجهه وتقول: ضيّعك الله كما ضيعتني . صلاته تدعو عليه، لكن أن يسلّم عن يمينه ثم عن شماله ثم يقول"هاتو المتعة" المتعة المحرمة !.. شيء لايكاد يُصَدق وهذه حقائق .. فالاسلام الحمدلله بريء من مثل هاته النزعات ..

تقسيـــــــم افلاطون هذا الثلاثي ذكرني بتقسيم ثلاثي للروائي والمفكر الفرنسي الملحد الموسوعي هو المشرف على الموسوعة الفرنسية الشهيرة (دينيس ددِرو) كان روائيا كانت عنده رواية الراهبة مشهورة جدا وطبعا فيها قَسَمات الحادية واضحة .. (دينيس ددِرو) كان يقول : انا اميز بين ثلاثة انواع او ثلاث فئات من الملحدين، ملحد يقول: " ان الله غير موجود حقا ويعتقد هو بذلك حقاً " قال انا اسمي هذا الملحد الحقيقي . و ملحد متردد لايستقر على رأي (يعني هذا الشكوكي) . وملحد ثالث : يـتمنى ان الله غير موجود من أجل يمضي على ضَيِّته ويمضي في سلوك القبائح وارتكاب انواع الفسوق والفجور دون وخز من الضمير" .. وهذا تقسيم فيه نوع من الذكاء لأنه لامس البواعث النفسية لإدّعاء الإلحاد، لذلك اكثر من فيلسوف في العصور الحديثة طرح السؤال: هل يوجد ملاحدة حقيقيون؟ ... اعتقد (دينيس ددِرو) مرة نفسه سُئِل هل يوجد ملحد حقيقي او ان هذا كله كذب وبواعث نفسية واجتماعية وادعائية؟ .. فقال هل يوجد مسيحي حقيقي ؟ .. صعب تقريبا.. هل كاليوم؛ هل يوجد مسلم حقيقي؟ وكل يوم نسمع طائفة من فضائح بعض المشائخ المالية والسلوكية وكذا شيء يهزّ ضمير المسلمين، اين المسلم الحقيقي ، موجود طبعا لكن نادر .. انا لم افهم هذه الحقيقة الا تقريبا قبل زهاء ثلاث سنوات وصدمتني ، الحقيقة التي اعبر عنها بأن التدين امتيـــــــاز ، التدين الحقيقي كما يريده الله وكما امر به الله تبارك وتعالى و لوجه الله > امتياز .. مامعنى امتياز ؟ يعني يختص الله به طائفة قليلة أو ينجح في تمثله وبلورته طائفة قليلة من الناس .. معظم تدين الناس تدين كاذب وطقوسي وشعائري واجتماعي، وقد سبق ان قلت في خطبة: " نحن لانعرف الايمان الحقيقي، نحن نؤمن بالإيمان .. أي نحن نؤمن بما يؤمن به الآخرون المجتمع يريد الايمان على طريقة المسلمين فنحن مؤمنون، لأننا في مجتمع مسلم! " لكن الايمان الحقيقي هو الالتزام بالبحث عن الحقيقة مهما كلفت.. هذا صعب ونـــــــــادر ..امتيـاز ، اللهم اجعلنا من الممتازين . ولذلك التدين هذا الامتيازي يكلف صاحبه الكثير يا إخوان أقل مايكلفه جهاد النفس؛ كي تكون صادقا في كل شيء حتى في بسمتك في غضبك، لا تكن ممثلا لا تكن كائنا مفتعلا تفتعل الأشياء، احيانا تنظر الى البعض حتى المشائخ يدّعي انه يغضب لله وللرسول وترى انت الكذب في وجهه، ثم تأتي مواقفه السابقة واللاحقة وهي بالعشرات لتؤكد بأنه شيخ من شيوخ الكذابيـــن .. يارجل استحي على نفسك وماهذي الغضبة المُضَرية من اجل الله ورسوله .. كله كذب تمثيل افتعال .. هكذا يقتنص اموال الناس، انتبهوا .. لابد ان يأخذوا الناس تصوروا أنه ذلكم الرجل العالم الشديـــــــد الغيرة على دين الله حتى يغُرّهم عن انفسهم يختدعهم ..هذا مرض التديّن وعدم التدين خير منه لأنه صدٌ عن سبيل الله تبارك وتعالى .

أيها الإخوة، في العصور الحديثة واجهنا طائفة من المصطلحات التي تتعلق بالإلحاد كنوع من التوصيف والتقييد كنوع من التصنيف، يقولك إلحاد مطلق وإلحاد نسبي مثلا، الحاد سالب والحاد موجب الحاد قوي الحاد ضعيف الحاد نظري الحاد عملي .. الإلحاد المطلق ببساطة هو انكار وجود الله او الآلهة همذا بغير قيد او شرط، الكون مكتفٍ بنفسه كما المذهب الطبيعي عند الفلاسفة قبل سقراط في النسخة الأكثر حداثة عند (جون ديوي) البراغماتي الشهير الأمريكي الذي كان فيلسوفا طبيعيا وكان ملحدا عنيدا وهو عالم في المنطق كان مشهور وفي التربية كان يقول " الطبيعة كافية تفسِّر نفسها لاتحتاج الى أي مبدأ آخر مفارق لها على الاطلاق، وافتراض أي مبدأ هو اغتيال الانسان واغتيال لقدرات الانسان وتعليم الانسان الكسل وتغريب له عن نفسه" .. قال الايما بآلهة أو إله معناه ان هذا الانسان يحمّل هذه الآلهة معظم الاعباء ويجلس هو بلا مسؤلية، لأني ضد الآلهة .. طبعا هذا كله كلام ضعيف هذه ليست حجج منطقية ولا حجج فلسفية، لكن هكذا كان يقول (جون ديوي) وهذا اسمه الإلحاد المطلق.

الإلحاد النسبي هو ليس انكار الألوهية أو الربوبية من حيث اتت وإنما انكار تصورات معينة للألوهيـة او للربوبية، فمثلا قد يوصم بالإلحاد النسبي ويقال هذا ملحد نسبي نسبة الى ثقافته وإلا عند ثقافة اخرى يُعتبر مؤمنا.. (زنوفا) مثلا ومثله (انكسوجراس) انكر المفاهيم التشبيهية للآلهة مع ان حضارته الاغريقية ماقبل الميلاد في القرن السادس كانت تشَبيهية، الآلهة هم بشر مطورون معظمون ومضخمون نعم عندها النظرة الانسانية او نظرة تيسيرية تشبيهية .. (زنوفان) قال: " انا اتخيل (اهل تراقيا طبعا يؤمنون بآلهتهم ولذلك مثّلو في التماثيل لآلهتهم على انهم بيض البشرة زُرق العيون وشُقرُ الشعر) لو أن زنجيا أراد ان يمثّل إلـهه لمثّلهُ اسود البشرة عظيم المشافِر مفلفل الشعر.. واتخيل لو ان الاحصنة الافراس أرادت ان ترسم آلهتها لجاءت آلهتها على امثالها، فأتُّهِم بالإلحاد .. في الحقيقة هو لم يكن ملحدا بمعنى الإلحاد المطلق هو لم ينكر وجود الآلهة وإنما انكر هذه النزعة التشبيهية للآلهـة وطلب ان نكون ارقى من هذا، اذا اردنا ان نؤمن بالآلهة فلنؤمن بآلهة سامية متعالية عن هذا التجسيد والتشبيه.. وهذا جميل.. لا، قالك هذا ملحد! الحاد نسبي .

والإلحاد النظري ايها الاخوة هو موقف فكري، فلسفي او غير فلسفي وقد يكون علميا ايضا يُـــنكر وجود الإله او الآلهة، ويحاول ان يقيم البراهين على انكارها، ويدحض البراهين المخالفة .

الإلحاد العملي لا ينخرط صاحبه في المحاجات والسجالات النظرية، وإنما يعيش كأن الآلهة غير موجودة او كأن الله غير موجود؛ يعني عايش حياته بالطول والعرض يفعل كما يريد وماشاء ان يفعل ،يعيش كملحد، الآن لو سألت هل هذا موجود؟ موجود بكثرة بين المسلمين وبين المسيحيين وبين اليهود وبين الهندوس وبين كل بني البشر، كثيـــــر من بني البشر يعيش كملحد عملي ، وتستغرب " اهذا يؤمن بالله وباليوم الآخر، يفعل هذه الأفاعيل ، يهجر اباه عشر سنين..او يضرب اباه ! .. اويضرب امه او يكره اقرب الناس اليه او ياكل اموال التبرعات للمنكوبين بالزلازل والكوارث .. ومسلم وممكن يكون شيخ كمان كيف هذا .. مؤمن هذا؟!! يعني سؤالك حين تقول : مؤمن هذا؟ والعامة تقول كافر كفر هذا، هم لا يريدون يعطون فتاوى بالتكفير، يسمون هذا كفرا وكم كأيٍّ من شيء هو سلوك عملي منحرف تسميه العامة كُفْــــراً .. الاسراف مثلا يسمونه كفرا، حين يسمع امير او ملك ذهب في رحلة الى اسبانيا او كذا خمسة ايام فأنفق فيها مليون .. مـــاذا؟!! كفر هذا يا اخي .. هنا هذا يتضمن منظورا يمكن ان نعبر عنه بأنه استيعاب لمفهوم الإلحاد العملي الكفر العملي، وعندنا في الاسلام على فكرة كفر عملي وعندنا كفر نظري .. كـكفر النعمة هو كفر عملي، الطعن في الأنساب كفر عملي، النياحة على الموتى كفر عملي، الاستسقاء بالأنواء كفر عملي وليس بكفر نظري، فيقولون الحاد نظري و إلحاد عملي ..

اللالحاد العملي هو ان يعيش حياته كما لو ان الله غير موجود مع أنه لو سألته يقول لك ان الله موجود لكن يبدو انه لا دخل لي فيه ولادخل له فيّ .. عمليا هذا ملحد ، وهذا لا يكلفك ان تنخرط معه في محاجّة ومساجلة، لأنه لايعترف بالقضية كلها .. هذا كان الملحد العملي .

لدينا الإلحاد الإيجابي والإلحاد السلبي وهما مصطلحان قديمان نسبيا، للأسف بعض الناس تعتقد انهما مصطلحان جديدان، لأن احد المفكرين ألّف كتاب بإسم الإلحاد الإيجابي في الثمانينات، وهذا غلط .. هذان المصطلحان معروفان في السياق الأوروبي في القرن الثامن عشر ..

بإختصار معنى الإلحاد السلبي هو الخلو من الفكرة المعتقدية، بمعنى الطفل حين يولد، في المنظور الملّي يعني عند اليهود والنصارى والمسلمين التوحيدي، يُعتقد ان الطفل يولد مزودا بالإيمان .. طبعا عند المسلمين اسمه الفطرة او الميثاق (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) الأعراف/18

البارون (دولباخ) الفرنسي في القرن الثامن عشر، وهذا الرجل كان معاصرا لـ (ديدرو) والموسوعيين وكان احد المراجعين في الموسوعة الفرنسية، كان يراجع المقالات ويصحّح، وكان له صالون معروف في شارع لوريال يُستورَد فيه الإلحاد

ويأتيه مثقفون كبار وفلاسفة ومفكرون؛ مع أنه من اعضاء هذا الصالون لم يكن ملحدا حقيقيا إلا ثلاثة والبقية كانو ربوبيين يؤمنون بوجود الله تبارك وتعالى ولكن لا يؤمنون بالشرائع والرسالات والنبوات .. فالبارون (دولباخ) ألف كتابا بمعونة (دينيس ديدرو) ونشره تحت اسم < نظام الطبيعة > ودافع فيه عن الإلحاد وبشراسة؛ زعم فيه أن الأطفال حين يولدون ملاحدة .. في الأدبيات الغربية لأول مرة يُزعَم ان الطفل حين يولد يولد ملحد .. وطبعا هذا الكلام لم يمُت وعاش، وجدنا واحد في التسعينيات في القرن العشرين (جون سميث) احد الملاحدة المُحدَثين يُكرر نفس الكلام هذا .. حسنا وانا اقول لك: بقوة متعادلة ينبغي ان يُقال الطفل يولد خُلْواً من أي شيء لا من إيمان ولا من إلحاد، يعني اقرب شيء لو اردنا ان نسمي الطفل نسميه (لا ادريا)، لكن في الحقيقة هل الطفل لديه القوة الإدراكية الفهمية لكي يختار موقف المؤمن او موقف الملحد ؟ ليس عنده هذه القوة.. لذلك لا يسمى لا مؤمنا ولا ملحدا حتى في الدين، احدهم يقول لي: لا ، في حديث ابو هريرة وفي الصحيح قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة) .. في رأيي هذا ليس بدليل، مامعنى الفطرة؟ الفطرة هي الخِلْقَة، ومالمقصود هنا بالخلقة؟ الليـاقة .. خلقة الإنسان تؤهّله ان يتعاطى مع المسائل اللاهوتية، يعني انك لن تجد في يوم من الأيام أي نوع من الحيوان لديه لاهوت .. اللاهوت الحصاني اللاهوت السّبُعي اللاهوت النمري ..الخ، لذلك انا عرّفت الانسان بالتعريف الذي ارتضيه: هو الباحث عن الإيمان، الملائكة لا تؤمن لكن تعبد تسبّح تقدّس ولا تقدر تأتي بآية ولو واحدة في القرآن الكريم ان الملائكة آمنت .. الإنسان يؤمن، لأنه يبحث عن الله تبارك وتعالى.. الإيمان هو البحث عن الله. فهو الكائن المؤمن الباحث عن الله، كيف ولماذا؟ فطرة خُلِق بحيث يكون كذلك، خُلِق وفيه الاستعداد لذلك.. لااله الا الله ،اذن هي غريزة لكن في الإنسان فقط، فالحيوانات لا تبحث عن الله.. لذلك مثلما قال (بلوتوراك): وُجِدَت مدن حتى بغير حصون بغير دور للتعليم، لم توجد مدينة واحدة بغير معـــــابد، اذن الانسان هو الكائن المؤلِّه الباحث عن الإلـه المتشوّق للغيب للماوراء .. فأن تقول لي "يولد الطفل ملحدا" > كلام فارغ .. اذا اردنا الدقة، لا ملحدا ولا مؤمنا يولد خُلوا لكنه مستعدا للتعاطي مع المسائل اللاهوتية، فيه فرق كبير بين الموقفين اتعرف لماذا؟

الملاحدة يقتنعون والان فيه ملاحدة من إخواننا العرب يقولون لك " إئتني بأي طفل وأنا اصنع لك منه ما أريد، إئتني لا يتعرّض لـ قال الله وقال الرسول واليسوع و موسى وابراهيم .. وسوف يعيش ويموت دون ان يسأل عن هذه المسائل" وهذا غيــــــر صحيـح، وسوف نرى كيف يمكن اختبار هذه الفرضية بالدراسة الأنثوبيولوجية وخاصة المجتمعات البدائية . طبعا (إمِل دوركاين) مؤسس علم الاجتماع الحديث في فرنسا كما يقال كان يتبنى هذا المنظور المجتمعي يقول لك الدين صناعة اجتماعية المجتمع يريد هذا، والعجيب ان النبي عليه السلام قال في الحديث: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه او ينصرانه او يمجسانه ، وفي رواية يمسلمانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل ترى فيها من جدعاء، ثم تلا قوله تعالى من سورة الروم : (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيِّم) . النبي يعرف أنه لا يمكن ان يُشكل هذا حجة ضد الدين ان المجتمع هو الذي يشكل بعد ذلك عقيدة الطفل او عقيدة الفرد و موقفه الآيدولوجي.. ولكن نحن نتحدث عن الاستعداد ولولا هذا الاستعداد لما كان للتشكيل معنى اصلا ، كما لو آتيتني بقرد الشامبانزي وتجعله فيلسوفا يتكلم في المجردات والمفاهيم العقلية .. مستحيـــــل لأنه ليس لديه استعداد، و هات أي طفل من استراليا من افريقيا من اوروبا من أي مكان ومن قبيلة بدائية تماما لايعرفون الكتابة والقراءة و ضعه في أي مجتمع وعلّمه، فيصبح فيلسوفا كبيرا أمر عادي ممكن، لأن لديه استعداد، هم لايعرفون هذا، فالبارون(دولباخ) في نظام الطبيعة قال: "ان الأطفال يولدون ملاحدة"، معناها حتى الكبير الذي ليس لديه فكرة عن الموضوع يُسمى ملحدا عندهم، من قال لكم ان هذا ملحدا ، لمَ لا نقول عنه غير مبالِ لم يبحث وهو خلو من العقيدة لا عدنه تأكيد على الإيمان ولا عنده تأكيد على نفي الإيمان بالله ممكن يكون لا أدريا، لذلك معظم اللا ادريين يغضبون من الملاحدة حين يُصِر الملاحدة على جعلهم ملاحدة مثلهم، يقولون نحن لسنا ملاحدة ولسنا مؤمنين نحن نقف في نقطة الوسط ونرى ان الأدلة متكافئة، ادلة المؤمن و ادلة الملحد، ولا ندري .. قد يكون

الله موجودا وقد يكون غير موجودا لا ندري.. الملاحدة على فكرة عندهم عقدة انهم قِلّة (ارجو ان لايغضبوا مني) وأن الخط العام للمجتمع والحضارة ليس معينا لهم وليس متوائما معهم، وهذا يغضبهم فيحبون ان يزيدون عددهم هيا لنعتبر اللا ادريين ونعتبر الاطفال ملاحدة ايضا ولكن الحاد سلبي .. وهذا ليس له قيمة .

اذن الإلحاد المهم والذي ننخرط في نقاشه الإلحـــــاد الإيجابي ومعناه هو : الذي يتبنى موقف النفي ويقول لك لدي ادلة وبراهين وسوف اجادل بها . في نفس الشيء يقول لك الإلحاد الضمني والإلحاد الصريح .

الإلحاد الصريح هو الإلحاد الذي يصرّح بالنفي ويحتج عليه ويستدلّ له، و الإلحاد الضمني مثل الحاد الطفل الذي يولد وهو خلُو .. طبعا نفس التعطيل.. هذا ليس ملحدا خطأ ان يسمى ملحدا ..

الإلحــاد القوي والإلحــاد الضعيف :

الإلحــاد القوي مثل الإلحاد الصريح وكالإلحاد الموجب يجزم بالنفي وياتيك بالأدلة، والإلحــاد الضعيف مثل الإلحاد الضمني والإلحاد السالب .

نأتي الآن الى اللمحـــــة التاريخيـــــــة :

أول مانبدأ به ايها الاخوة نبدا بالديانات الشرق اقصوية؛ في الهندوسيـــــة مثلا، الهندوسية ست مدارس مشهورة لا يُعرَف عنها أن لدى احدى هذه المدارس نزعة الحادية، بل على العكس فالديانة الهندوسية ديانة تؤمن بالآلهة وبتعدد الآلهة بزهاء 340 آلهة، وكما ذكرنا اكثر من مرة هي ديانة ترى كل ظاهرة لها إله يرعاها والمسؤل عنها، كل ظاهرة من الظواهر تُفسّر بإلـه، من هنا كثرت الآلهة لديهم؛ لكن الهندوسية تعتقد ايضا أن هذه الآلهة كلها تظل تُختزل وتنحصر حتى تعود في النهاية الى إله واحد مسيطر، والهندوس الذي يبلغ المقام الذي يفنى فيه عن ملاحظة كل هذه الكثرة المتكثرة من الآلهة ولايعود يرى إلا فعل وآثار الإلـه الواحد يكون بلغ اعلى درجة من درجات الاستنارة والتدين في فهم الهنادكة ويُعطى اسماء من ضمنها المهاتمة، هذا بلغى درجة انه لا يرى الا الله الواحد ويفنى عن كل الصور والأمثال . لكن هناك مدرسة اسمها مدرسة (لوكاياتا) هذه مشهور اكثر، اسمها الحقيقي الاول (كارافاكا) أُسست هذه المدرسة في القرن السادس قبل الميلاد، ويبدو انها طورت نزعات ومقاربات مادية الحادية وهي مدرسة فلسفية، مدرسة تنتمي الى الهندوسية ولكنها لا تشكل واحدة من المدارس الست الرئيسة فيبدو انها تيار جانبي فرعي لا قيمة له، لكن المؤرخون يُعنون بكل شاردة وواردة اذا اتاحت الوثائق لهم ذلك، هناك بعض الأشعار بلغتنا عنهم وفعلا حين تقرأ هذه الأشعار تشعر انك امام نزعة الحادية تدعو الى التمتع كيفما تشاء، في النهاية الكل فـاني مافي شيء، و واضح انها تنكر الحياة الآخرة مُصرّح، انكارها لله او للآلهة ليس مصرّحاً به، وتنكر خلود الروح ايضا بوضوح. ولذلك كتب بعض نقاد الهنود المعاصرين قول: " نحن لسنا واثقين من ادّعاء ان مدرسة لوكاياتا كانت مدرسة الحادية"، ويبدو ان هذا الدارس الهندي رجّح أن هذا بفعل مدارس اخرى ارادت ان تُعلي و تؤكد من شأن النزعة الإلحادية بهدف وغاية دحضها والرد عليها .. بعض الناس يحب ان يخوض معركة وهمية فيُشيطن خصمه، ويدّعي ان خصمه زنديق وخطر على الاسلام وخطر على الأمة وشيء كبير ويبدأ الآن يرد عليه؛ حتى يظهر انه هو شيء كبير، وخصمه في الحقيقة لا هو زنديق ولا خطر على الأمة والدين. فيقول هذا الرجل في موضوع اللوكاياتا: "هي ليست مادية الى هذه الدرجة وليست الحادية، مدارس اخرى زعمت ذلك فيها وأكدته لكي تقوم بإدحاض هذه الوجهة من النظر".

هناك مدارس اخرى ايها الاخوة او نزعات الحادية لكن ليس لدينا تفاصيل .. مثل مدرسة (السماخايا)، و(البورفا والميماسا)، للأسف ليست لدينا عن هذه المدارس اية معلومات سوى انها لها اتجاه الحادي.

والبوذا المستنير للأسف فيه تصريحات عنه في بعض الدراسات أنه كان لا يؤمن بالله وكان يقول بالذات "صفات الله الموجود كلّي العلم وكلّي القدرة وكلّي الإرادة وكُلّي الخير والطيبة، صفات متناقضة لايمكن ان تدخل في دماغي

" وهذه حجة إلحادية الى اليوم على فكرة وهذه حجة الشر: كيف تقول لي عند الله العلم الكامل ويعرف كل شيء يصير بالكون، وهنا ظلم وهنا عذابات في الناس .. الخ من شرور ، وهو يعلم بكل هذا ويـــــقدر ان يُغير ، وفي نفس الوقت خيّر ولا يحب الشر، والشر موجود والعذاب موجود... هذا لا يدخل دماغي " والملاحدة يقتنعون بهذا وهي حجج ليست سهلة !، ولا تستطيع أن تردّها هكذا بحماس واندفاع.. اذا اردت ان ترُدّ فـرُد ردا فلسفيا معقولا. وهؤلاء الملاحدة ليسو بأناس اغبياء، يعني مثل ماقال (إبليز باسكال): " الملحد شخص ذكي ولكن إلى حد" (طبعا باسكال لم يكن ملحدا ، كان مؤمنا إيمان التجربة الروحية، وليس ايمانا فلسفيا) .. كما انه من حق الملحد ان يتساءل ويطرح التناقضات، فـبوذا كان يقول "هذه الصفات بالذات لا يمكن ان تنسلك في عقلي وفي ذهني لأنها متناقضة".

نأتي الى العصر الكلاسيكي القديم بلاد الاغريق .. عموما ثمة رأيان متعارضان في ميلاد الإلحاد :
رأي يقول أن الإلحاد لم يولد الا في اوروبا في العصور الحديثة وماقبل ذلك لم هناك الحاد، ولكن الاغريق القديمة عرفت الإلحاد بوجهات نظر فردية فيلسوف يقول شيئا، شكاك، سفسطائي، فيلسوف طبيعي، لكن ليس كخط فكري عام، وبقيت هذه النزعات مفرقة وضعيفة ضد الخط العام، لكن لا ننكر انها نزعات الحادية .
بالنسبة للفلاسفة قبل سقراط.. قد اعطيتكم فكرة سريعة في دروسنا عن الفلسفة تكلمنا عنهم فلن نعيد ذلك، ولكن نذكّر :
الفيلسوف (دييغو راس) مثلا ، لُقِّبَ بالملحد الأول لأنه كان يتكلم في قضية الألوهية ويشكك فيها ويقيم بعض الأدلة .
(كريتياس) – وهؤلاء كلهم كانوا قبل سقراط – كان يزعم أن الآلهة هي من صنع الخيال البشري كأفكار يُخوّف بها المجتمع ويخوّف بها الناس يعني كنظام للضبط! .. هذه الفكرة ستتكرر في اوروبا المعاصرة و أوروبا الحديثة عند عشرات من المفكرين كأنها من ابداعهم، هذا كان في القرن الخامس والسادس قبل الميلاد،
نفس الفكرة رددها (كارل ماركس) في القرن التاسع عشر، قال : " الاديان والآلهة كلها ابتداع بشري لضبط المجتمعات لأجل الامبراطور ولأجل الإقطاعي ولأجل الكنسية رجل الدين و الرجال الاغنياء يتحكموا في الرعية وفي الضعفاء والمساكين .. فكرة قديمة هذه، لعل (كريتياس) اول من قال بها .
ذكرنا ان الذريين بشكل عام وفي مقدمهم استاذهم الأكبر (ديموكريتوس) شرحوا العالم الطبيعي بمباديء طبيعية مادية ، ولم يحتاجوا الى المفارق.
(بروتاقوراس) الشكاك السفسطائي الشهير ايضا عدّ من الملاحدة .
في القرن الثالث قبل الميلاد أقرّ فيلسوفيان مشهوران ايضا بأنهما لا يؤمنان بوجود الآلهة (ستراتو) والفيلسوف (تيودوروس). وفي 262 قبل الميلاد في القرن الثالث يعني بعد الذريين بثلاثة قرون، اعرب (هوميروس) عن رأيه بأن: الآلهو ماهي الا حكام تم تأليههم ، يعني اصل ونشوء جذر وفكرة او عقيدة الألوهة كان مع حكام عاديين بشر يحكمون الناس ، ملوك يعني، وتم تأليه هؤلاء يعني تم رفع مثابة واعتبار هؤلاء، ان الحاكم مثلا يطلع على كل شيء، الحاكم قادر على كل شيء ، جُرِّد من هذه الصفات التضخيمية التعظيمية للحاكم مفهوم صار يُعرَف بالألوهية، فقيل ان هناك كائنا اعلى من الطبيعة واعلى من الانسان واعلى من الزمان والمكان اسمه الإله، في الحقيقة مافي شيء مفارق، هو كان الحاكم نفسه لما كبرناه وصدقنا هذه الاكاذيب والخرافات ولما جردنا منها هذا الكائن المتسامي الذي اسميناه الإله او الآلهة، يعني فكرة الألوهية عند (هوميروس) ابتداع بشري، كـ (سيغموند فرويد) الذي يقول:
"ابتدعنا الإله من خلال النازع الحاصل في اللاشعور عند الطفل فينا بين حبه لأبيه وبين كرهه لأبيه، بين حبه لذاته وبين توقيره لأبيه، بين حبه لرعاية ابيه وحبه للإستقلاق عن ابيه" .

(هوميروس) نفسه لم يصرّح بأنه ملحد حاول يفسر فكرة الألوهية طبعا هذا إلحاد .. وهو يقول" انا لست ملحدا متشددا" إلا انه أُتّهِم بأنه من كبار الملاحدة لأنه سخِرَ من الآلهة و عوّد الناس بأن تسخر منهم في اربعة اصقاع الأرض، لأنه شاعر .. وبين قوسين شخصية (هوميروس) شخصية اشكالية الى الآن لدى النقاد ومؤرخين الأدب ليس معروفا هل فعلا هو شخصية حقيقية ام شخصية مُتخيلة لم توجد اصلا!

(ابيكيور) هذا في القرن الثالث قبل الميلاد، أُتهِم بأنه ملحد، والان كثير من الملاحدة يحتجون بـ (ابيكيور) هذا على انه ملحد، وعنده حجج، وهو من أحسنَ من صاغَ حجة الشرّ، قال: " كيف انا أؤمن بالله العلي العظيم الحكيم القدير الخيِّر المُحب للخلق، وانا ارى في العالم كل هذه المعاناة وكل التطاحن وكل الشرور والآلام والعذابات والمرائر؟! أنتم تزعمون أن الإله موجود وأنه كلِّي العلم وانه كلي القدرة وأنه خيِّر، إما ان هذا الرب يريد ان يغير هذه الأشياء ولايقدر على ذلك فهو عاجز وليس برب، وإما أنه يريد ان يغير وقادر على انه يغير ولكنه لايفعل، فهذا عبثي او شرير حقود!، او إما انه يريد ويقدر ولكنه لم يقع هذا الشيء لم يغير، معناه أنه غير موجود!" وهذه اسمها حجة الشر وهي من أقوى الأدلة عبر العصور وإلى اليوم يستعان بها ، الملاحدة الجدد او المحدثون كثيـــــر متأثرين فيها، بعد 11 سبتمبر ايلول، كتبوا كتابات و بين 2004 و 2007 طفح السوق بكتابات هؤلاء الملاحدة الجدد، وكثير أكدوا العلاقة بين الإلحاد والإيمان والإرهاب والشرور والقتل والحروب استغلوا احداث 11 ايلول، وسامح الله من فعل ذلك ومن أيّد ذلك ومن صار فتنة للعالمين ، فتنة جعلت الناس يحقرون هذا الدين ويكرهون اهله كأنه دين ارهاب وقتل وتدمير للعالم والحضارة.

نكتفي ان شاء الله بهذا القدر في هذه الحلقة على ان نلقاكم في حلقة والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ..



الحلقة الثالثة

إن الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه
اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا علمتنا و زدنا علماً، وافتح علينا بالحق وانت خير الفاتحين..
انتهينا في الحلقات السابقة الى (إبكيور) وحجة الشر، لكن ينبغي التنويه بأن (إبكيور) لم يكن ملحدا بالمعنى الأول الذي حدده افلاطون بالإلحاد بمعنى انه لم يُنكِر وجود الآلهة، بل اعترف بأنها موجودة وتحدث عن تركيبها، والغريب كان ديموقراطيسيا (كان يتبع ديموكريتوس) كان متأثر بالنظرية الذرية وكان يلتزم بها، والعجيب انه قدّم منظورا ذريا لله ، وقال "الآلهة تتكون من ذرات مادية صغيرة جدا جدا ومتموضعة هذه الآلهة في عوالم وسيطة، لكنها ليست تُعنى لا بمسار الإنسان ولا بمصيره".(يعني انكر العناية الإلهية).
الشعر الروماني (لوكريتوس) يبدو انه كان لا أدريا لأنه قال في رسالته الشهيرة (حول طبيعة الأشياء) "اذا كان هناك ثمة آلهة، فإنها على مايبدو لا تُعنى بالإنسان" .. يقولون هذا عطفاً على حجة الشر ، فكيف نجمع بين الإله موجود وبين نفي العناية الإلهية، هذه نظرة تلفيقية تريح بعض العقول وبعض النفوس، مثلا لأنه بغير فرضية الإله او فرضية الرب الخالق ، لا يمكن فَهم نشوء الكون كيف نشأ الكون من أين أتى.. فنُضطر بأن نؤمن بالإله، وفي نفس الوقت آمنا به كخالق الآن، لكن نرى في الكون شرورا ومصائبا ومحناً وبلايا، فكيف يسمح بهذا، يبدو انه غير معتنٍ بنا اصلا، هو تركنا لأنفسنا، ومن هنا هذا الشر نحن المسؤولون عن هذا الشر والطبيعة مسؤلة عنه والأشياء، لكن هو غير مسؤل لأنه لا يُعنى بنا، أما لو كنا يُعنى بنا ويسمح بهذا فنحن سنرفض ونجدّف بحق هذا الإله ..
وهذا ايضا غيـــر صحيح . النظرية الاسلامية في العدالة الإلهية اعمق بكثير، على فكرة وبكل تواضع من الصعب ان تعرف حجم ما اسهم به العقل المسلم بشكل عام، حتى الفلاسفة الإسلاميون الذين ننكر عليهم بعض الأشياء، لا يمكن أن تعرف حجم ما اسهم به العقلية الاسلامية إلا بعد أن تقارنها بإشكالات ومرادات ومشاكل الآخرين.
يوجد مدرسة البيرونية وهي مدرسة شكوكية، أي انها كانت اقرب الى اللا ادرية، بل أسوأ فالشكوكية قد تكون أسوأ من اللا ادرية، لأن من الشكوكيين مَن طبيعة تكون عقل الإنسان غيـــــر مؤهّلة أن تعرف، الثقة في العقل ليست مُطلقة تامّــة. ولذلك هذه النزعة البيرونية كانت ترى انه من الأفضل صَرْف النظر عن هذه المسائل من أساسه، وعليك ان تعيش في حالة راحة وسلام للعقل،
الآن بعض الشعوب المعاصر يقال نسبة كبيرة من الناس تعيش وِفق هذا المنطق، يقول لك لايعنيني ان الله او الإله موجود او غير موجود، أي أرِح بالك من التفكير في هذا، وهذا يُسمّى باليونانية (أتاراكسيَا) أي راحة البال. اكثر مايليق بالإنسان ان يُعطِّل عقله، وطلب راحة البال لا يُبرر و يُعد شيئا محترما إلا بعد استنفاد الوُسع والجهد في دراسة هذه المسائل، وبعد انَ يثبت لك عقليا ودراسيا انها مستحيلة، مثلا كوضعية المناطقة الذي يقول لنا: البحث في هذه المسائل بحث فــارغ، وهذه المسائل كل الأقوال فيها فارغة اصلا، ليست بصادقة وليست بكاذبة، لا يمكن التحقق منها"، وهؤلاء بإمكاننا ان نحترمهم ولا استطيع احترام من يطلب راحة البال من دون ان يبذل خطوة واحدة على الطريق.. اقول له أنت اشبه بالأنعام ، فالانسان هو الكائن المفكّر .. (كانت) كيف لا احترمه، قال: البحث في اللا مستحيل كلام فارغ ، بنية العقل البشري غير مؤهلة اصلا ان يتعاطى مع اية مسألة من المسائل الميتافيزيقا، والمعارِف كلها إما تحليلية، وإما تركيبية. التحليلية > يقينية، كالمنطق وكالرياضيات، وأما التركيبية وهي التي تضيف معلومات جديدة كالاستقراء والعلوم التجريبية، كالعلم الحديث > هذه ترجيحية لا تعطي يقينا رياضيا او منطقيا، ولكنها جيدة. أما ماعدا ذلك من المسائل الميتافيزيقا فالعقل لايستطيع ان يخوض فيها من اصلهِ، فهو عاجز .. فأقول لـ (كانت)

انت تهرِف بمالا تعرِف، ماذا يعني ان تثبت وجود لا عقلية، غير صحيح، فأنا احترم موقف (كانت) مع اختلافي معه ، لانه موقف فيلسوف درس عشرات السنين وانتهى الى هذه النظرية، فأحترم هذا الموقف وليس الموقف البيروني .. نأتي الآن الى العصر الوسيط.. في العصر الوسيط الاسلامي لم يعرف الإلحاد بمعنى نفي الربوبية، وإنما عرفوه بمعانٍ أخرى، كالطعن في النبوات، والطعن في تصور معين لله الذي أتى عبر الوحي والرسالة، فلديهم تصوّر اقرب الى إله الفلاسفة، مِنهُ الى إله المتدينين، وهذه احدى المشكلات التي أرّقت الدماغ والضمير الغربيين، الذي هو التوتر والاستقطاب بين الإلهين.. تصورين للإلهة، إلــه الفلاسفة وتناغم متحرك طبعا، ولدينا إله اراهيم واسحاق ويعقوب ويسوع المسيح، وهذه مشكلة .. وكذلك هذه كانت مشكلة في الإسلام، هناك مؤلّهة لكن على طريقة الفلاسفة، فالفارابي ، ابن رشد، الكندي، ابن سينا على طريقة الفلاسفة. وفي النبوات كما ذكرت لكم، محمد ابن زكريا الرازي مثلا قد طعن في النبوات قائلا: "هذا النبي اذا بعثه الله سيبعثه بأوامر ونواهي وتشريعات، هل العقل يستطيع ان يعرف و أن يبرر ما اتى النبي منها او لا يستطيع؟ فإن قلنا العقل يستطيع، فلا حاجة لنا بها، واذا كان العقل لا يستطيع فهي غير معقولة، كيف يُكلّف بها العاقل فسأردها ايضا".. ابو العلاء المعري كان ملحدا بالمعنى الافلاطوني الثالث للإلحاد ألا وهو تقريب القرابين، كان متأثرا بالفلسفات الهندية بالجينية وغيرها، قال أي شيء فيه روح لا يجوز ان تذبحه، ولذلك لما قيل له: فلان اعتَلّ فوصفوا له فرّوجة او ديكا، فقال "استضعفوك فوصفوك، هلاّ وصفوا شِبْلَ الأسد" ..لكن ليس لدينا في السياق الاسلامي ملحد بالمعنى الاول (Atheist).

في اوروبا وفي بداية العصور الوسطى مستحيل ان تجد رجلا ملحدا، السلطة المطلقة كانت لليهود وللميتافيزيقا، وهذه احكمت قبضتها على الفكر الانساني، وبعد ذلك ظهرت بعض الحركات الهرطوقية الهرطقة وتعني (البدعة الاعتقادية)، والهرطقة كانت تُعامل تقريبا كالالحاد، حيث أُبيدَ عشرات الألوف من الناس بسبب بدعتهم وهرطقتهم، كان لا يُتسامح البتّة مع الحركات الهرطوقية، لكن لما زادت وفي الأخير حتى بعضها اخذت شكلا اصلاحياً فرَبطت نفسها، وبعضها أُبيدَت من عند آخرها. من ضمن هذه الحركة (نيكولا او نيكولاس كوزا) في اعلصور الوسطى، طوّر فهماً يمكن ان يقاله له فهم هرطوقي للإيمان بالله تبارك وتعالى، شكل من اشكال الإيمان سمّاه (الاعتقاد الجاهل) الذي يقول: "كفاءة اللغة وكفاءة العقل الانساني تعجزان عن التعاطي مع هذا العالم المتسامي"، اذن ماذا تريدنا ان نفعل يا (كوزا)؟ يقولك : سلّم بالإيمان أن تؤمن وانتهى! .

(وليام الأوكامي) في القرن الثالث عشر الميلادي، للأسف الشديد بموقفه الإسماني نستطيع ان نقول انه خطى خطوة لغير صالح الايمان، طبعا في وقته من الصعب قراءة تضمينات هذه الخطوة الفلسفية. اولا مامعنى الإسمانية؟ باختصار : المذهب الإسمي هو المذهب ببساطة الذي يُنكِر وجود المفاهيم الكلية، يعني المعقولات، بمعنى: مفهوم أي مادة في الكون مفهوم كلي . لكن قال: حتى في الذهن لا يوجد مفهوم كُلي، بل موجود الأسماء فقط . وهذه مسألة خطيرة جدا لأنك إن انكرت المعقولات والمفاهيم الكلية واكتفيت بوجودها فقط كأسماء وألفاظ، فأنت انكرت قدرة الانسان على التعقل بالمعنى الفلسفي، وهذا له نعكاسات خطيرة على الايمان والبرهنة عليه ايضا. فـ (وليام) بهذه النزعة الإسمانية خطى خطوة لصالح المادية ضد الميتافيزيقا(ولا يوجد ميتافيزيقا بغير مفاهيم كلية) . وذهب (وليام) مؤكداً أنه لايمكن للعقل البشري ان يتعاطى مع الجوهر الإلهي، وبهذا لاحت لدينا بوادر الانقسام بين العقل والإيمان، وبدأنا نسمع كلمات مثل: "انا أُومِن لأفهم" ليس افهم لأُومِن، ويمكن اول من حاول ان يعكس الآية هذه (أنزِم) من كانتابيري، صاحب البرهان الوجودي، وكان يؤكد دائما"انا أُومِن لأفهم"، لكن بالبرهان الوجودي عمل خطوة معاكسة، يُحاول يفهّمك لكي تؤمن! وهذا كان متطور على عكس هؤلاء.. وماهو البرهان الوجودي ؟ قال (أنزِم): " تعال أنت فكر وسترى اشياء كبيرة وجليلة وسترى ماهو أجل منها، في الأخير رغما عنك بالضرورة ينتهي الذهن الى تصوّر شيء موجود هو اكبــر من كـل كبيـــر وهذا هو الله" وهذا كان من البراهين القوية قليلا.

وهذه الاستقطابية الثنائية : العقل، الإيمان ،، للأسف أثّر بعد ذلك على جماعة من كبار اللاهوتيين. كـ (جون ويكلِف) وعلى (هَسْ) وعلى (مارتن لوثر) وهؤلاء اصلاحيون كبار ولكن اثرت عليهم، رأيناها تتردد ايضا مع (سورين كِركاجو) الذي قال: " كل ماتحاول ان تفهم اكثر، يضعف ايمانُك!)، ونحن المسلمين لم نعتد على هذا المنطق، مع انه هذا المنطق ليس باطلا تماماً فيه شيء من الحقيقة، في نهاية المطاف؛ كل ايمان لابد ان يكون فيه جزء تسليـمي، وجزء رهاني. وانتبه كما قلت لك: إياك أن تتكأ الى آخر مشوار على العقل وبراهين العقل، لازم يكون فيه نور ذاتي ، (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) .
عصـر النهضة (الميلاد الجديد) هذا العصر ساهم في توسيع نطاق التفكير التشكيكي وطرح تساؤلات جديدة .. وطرح مقاربات جديدة، فمثلا : المهندس والرسام والمخترع (ليوناردو دافنشي) هذا الرجل طرَح التجربة كوسيلة من وسائل البيان والإيضاح، وقبل ذلك التجربة كانت غير معروفة في السياقِ الأوروبي – الذي كان محكوما بالنظام الفكري لأرسطو الذي لم يكن يقيم وزناً للتجربة، فهو يقيم وزنا اعظم للتأمل والتفكير – فـدافنشي قالك لا، التجربة محترمة، وسنعتمد عليها وسيلة من وسائل الإيضاح.
نأتي الى الإصـلاح الديني في القرن السادس عشر وماتلاه، الاصلاح الديني ساعد على طرح وجهات نظر متعارضة وعلى الجرأة داخل الدين الواحد (المسيحية)، في الأول كان عندنا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وكفى، لكن لا، الآن لدينا كاثوليك ولدينا بروتستانت، وداخل البروتستانت فيها أجنحة مختلفة ايضاً، وهذا للأسف ساعد على الجرأة والدُّغمَة الدينية ومسائلتها. بالمناسبة من ضمن حجج محمد زكريا ابن الرازي لدينا في الإسلام، تناقض الأنبياء والرُّسُل، ويزعمون أن المصدر واحد، اذن هذا كذب ولا توجد رسالة! . هكذا بكل بساطة!، لم يضع احتمال انهم يتناقضون في الفروع وليس في الأصول. بفضل الله القرآن دقيق هنا، والتناقض في الفروع يُحمَد ولا يُذَم ! فلابد من ذلك التناقض لأن الشرائع تختلف من مرحلة الى مرحلة، ولكن في التوحيد في اصول الاعتقاد كلـهم على قولٍ واحد، فغير صحيح الحكم عليهم بأنهم يتناقضون.
فالإصلاح الديني اتاحت مداخل جديدة لمسائلة العقائد الدينية بسبب التنوع والتشكيلة الواسعة من الآراء والاختلافات .. الخ.
في نفس الوقت بدأن نرى جهودا فلسفية جديدة في البرهنة على وجود الله . مع (ديكارت) مثلا، الذي برهن وجود الله بطريقته الخاصة، آمن بوجود الأفكار الواضحة بذاتها والفطرية، والتي لا يُطلَب عليها برهان بل هي اساس البرهان. وانطلق منها لإثبات وجود الذات الإلهية، وهو في النهاية يرى أن وجود الله تبارك وتعالى هو الضمانة للتفكير الصحيح عند الإنسان، ومن ثم نرى الديكارتيين الذين خرجوا من نفس عباءة (ديكارت) لكن (ديكارت) ولّدَ نقيضه، وممكن ان يُعتبر (اسبينوزا) نقيضا لـ (ديكارت) فـ (اسبينوزا) لم يؤمن بالإله المُفارِق الذي يمكن ان يقام برهان وجوده على حجج عقلية قائلا: " لاحاجة لنا بإله مُفارِق مُتسامي"
ومن قرائتي الخاصة للمسألة: ان التطور الفكر الديني إخواني عبر البشرية حتى من الفترة البدائية يؤكد دائماً أن الإله اذا تمّ تصويره على أنه متسامٍ تماماً وعالم تماماً > يُفقَد ، يكفر الناس به، لكن المُفارق الآن حتى في الأديان التوحيدية هذا الإله يتدخل في الشان الطبيعي والإنساني واحيانا بأسلوب سافِر وبأسلوب ينتهك حُرمَة القوانين الطبيعية والإجتماعية، هـذا يرفضُه العقل الفلسفي الجديد، والعقل العلمي يرفضُه تماما، فترك هنا مشكلة : إن آمنا به متساميا متعالياً بالكامل، نفينا العناية والتدخل، ففقدنا الحاجة اليه، لا نريده ماحاجتنا له! .. وهذا كما قلت لكم حتى في المدارس البدائية ثَبَتَ هذا، ففي دراسات دقيقة ولطيف جدا تُثبت لك ان قوما معينا عبدوا هذا الإله، وبعد حين أكّدوا أنهم فقدوه، في اللحظة التي جردوه فيها، اعطوه كـــــامل التسامي والتعالي فـفُقِد. وعادوا إما الى وثنية شركية او الى غير ذلك. هذا يحدث في التاريخ ويتكرر سبحان الله، لذلك أين نقطة الاعتدال، الوسط الذهبي، الدكتور(المسيري) في جلساته الأخيرة – رحمة الله عليه- كان كثيرا يهتم بهذه النقطة، الإله الحلولي الحال في

الطبيعة وفي الانسان، والإله المفارق المتسامي ... أين نقطة الوسط بينهما! لا نريده متسامي بالكامل بحيث يغيب وننساه، يعني (جان بول سارتر) فيلسوف وجوديا ملحد كان يقول: " انا لا انكر وجود الله هكذا بالمطلق، لكن قولي هو أن الله في يوم من الأيام كان موجودا، وكان ينطق وكان يتصل بالإنسان، ثم صمَت بالكامل لم يعُد يُسمع له صوت، اين هذا الإله، لقد فقدناه لسنا بحاجة اليه وسنعيش بدونه، ونحن افضل بدونه، لأن المسؤلية ستُلقى على عاتقنا بالكامل، نحن الآن لسنا ذلكم الطفل الذي يعيش في رعاية ابيه او ابويه، بل على العكس نحن اطفال بلا آباء الآن وسوف نجابه المسؤلية بحِس المسؤلية الكاملة". اكثر الملاحدة عندهم هذه الفكرة. (لودفيك فتكنشتاين) فيلسوف نمساوي مهندس شهير كتب مرة يقول: " اذا ضللنا نصر على أنه مفارق وسامٍ ومتعالٍ عنا، هذا يُلزمني ان اعلن له التحدي ، اما اذا كان منخرطا فينا مندمجا معنا كبشر في هذه الدنيا، فلا بأس".

كما قلت لكم عن الديانات التوحيدية تتحدث عن تدخل سافر، اين هذا التدخل السافر، انها المعجزات؛ توقف الزمان، توقف الشمس، يحيى الميت، طعام يُشبع فردا فيُشبع خمسمئة فرد، العـقل العلمي بدأ يتشكك في هذه المسائل، فنحن الآن في عصر العلم، عصر النهضة والاصلاح والعلم الحديث (نيكولاس كوبانيكوس)، (يوهانس كيبلر)، (تيخو براها)، (جاليلو جاليليه)، وبعدين (نيوتن) .. الفلسفة المسيحية المدرسية كانت ترى ان الطبيعة لا يمكنها ان تقول شيئا عن الله، طبيعة صامتة لا يمكن ان تُنبئَك شيئا عن الله وعن صفات الله، صمّتوا الطبيعة وسكتوها لصالح الوحي. لكن العلم قال على لسان نيوتين: "أن الطبيعة تتكلم وتُنبِيء عن الله و تشي بصفاته، وانه قادر و ابدي و أزلي وكلي العلم و كلي الارادة و كلي الحضور ..". فصار عندنا انكسار جديد ايضا: الطبيعة تقول او لا تقول، اللاهوت تقول(الطبيعة لا تقول)، والعلم قال (الطبيعة تقول). في الوقت نفسه لا ننسى ان القرن السادس عشر قرن الكشوفات الجغرافية والمراكب البحرية والاساطير والسفر حول العالم، وهذا شكّل مددا جديدا للشك، لا قول الإلحاد، الى الان الإلحاد لا يوجد، فكلمة الإلحاد محقورة جدا جدا لا يغامر احد ان يدعوا الناس الى تسميته بالملحد.. عار جدا جدا، هذه كادت ان تكون مقبولة ويتبجح بها البعض تقريبا في القرن الثامن عشر، وقبل ذلك كان ممنوعا وكلمة الإلحاد كانت كلمة مهينة.

مع الكشوفات الجغرافية وكثرة الترحال والتسفار حوال العالم، لاحظ الأوروبيون ان هناك في العالم ثقافات اخرى حضارات اخرى أنماط حياة اخرى، انماط ايمان، نُظُم ايمان مختلفة، وهذا ساعد على مسائلة الموروث، هل يكون الدين هو الدين الوحيد الصحيح والعالم كله خاطيء، وهذا العالم يعيش من آلاف السنين ايضا، فهذا عمل هزة للضمير الديني الأوروبي. وهذا ذكّرنا بمأساة فكرة (الأنتي بود) مع وقت الكشوفات الخغرافية، ماهو الـ (الأنتي بود)؟ .. كان المسيحيون سابقا قبل الكشوفات الخغرافية يعتقدون ان العالم منحصر في رقعة معينة، هذه الرقعة أتى المسيح لتخليصها، الرقعة المقابل لها على الأرض هذه ليس فيها احد خالية تماما ليس هناك بشر، لكن مع الكشوفات الخغرافية والدوران حول الأرض وُجِد ان كل البلاد فيها بشر وهناك ناس، هنا ناس وهنا ناس، في احد الجهات هنا يُسمّى (الأنتي بود) فأثار سؤال: من الذي يُخلص سكان الأنتي بود؟! فهذا أرّقهم كثيرا . تمـــاما مثلما (جيوردانو برونو) في القرن السادس عشر، وقد أُعدِم في 1600 م بالضبط، قد طرح فكرة فلسفية لم تكن علمية -مع انه كان كاهنا- فكرة تعدد العوالم، < هذه الفكرة مطروحة في الفلسفيات اليونانية القديمة واعتقد عند (انكسا بوراس)>، وهذا مشكلة وهذا الحاد وهرطقة و زندقة، لأنه اذا كانت توجد عوالم اخرى فالمسيح لم يُصلَب عندهم ولا يجد صليب ولا يوجد خلاص، معناه ان النظرية كلها سقطت. حاولو ان يعيدوه عن فكرته هذه ولم يُفِد معه ، سُجِن تسعة سنوات، ثم أُعدِم حرقا، أُعيد له الاعتبار في أواخر القرن العشرين. وعلى فكرة كثيرون ممن أُحرقوا في اوروبا الكاثوليكية تُقام لهم الان في روما نُصُب تذكارية، يضربون لهم تعظيم سلام وبالأمس احرقوهم. وبيـن مزدوجين انا اقول: " جميل جدا ان تدرس كمسلم تاريخ الآخرين، نحن بشر بيننا مشابه كثيرة جدا، فحين تدرس تاريخ الأفكار وتطورها ومصائرها و مِحَن الأفكار والمفكرين ، على الأقل ممكن تُكوّن معالم رؤية لما ينبغي ان تتصرف حياله كيف

يكون، لا تكرر حماقات الآخرين، وعلى فكرة يبدو اننا ننخرط في تكرارها الآن في طريقة مشابهة الى حد لافت.
فالكشوف الجغرافية اثارت مشاكل جديدة، العلم الحديث (نيكولاس كوبانيكوس) ضربة قاضية كانت، الأرض مركز الكون، والأرض فيها تجسّد الرّب في المسيح عليه السلام، قال (نيكولاس كوبانيكوس): هذا الأمر غير صحيح، بالأدلة والحسابات الشمس مركز الكون، فنتقلنا الى نظرية مركزية الشمس بدلا من نظرية مركزية الأرض. وفيما بعد عرفنا انه اصبح كلاما فارغا فلا الشمس ولا الأرض مركزا الكون. وطبعا لم يُشهَر كتابه الا بعد وفاته، تأثر به العالم التجريبي الكبير(جاليليو جاليليه) عندما قرأ هذه النظرية، ألّف كتابه في ثلاثة اجزاء حِوار حول النظامين الكونيين، ولكن الكنيسة لم يخفى عليها ذلك، واضح انه متعاطف وانه يتيح للقراء الإطلاع على حجج النظام الجديد وهذا لا يجوز، استغواء للعقل هذا ومخادعة. مثلما حصل عند المسلمين، أي شيء مخالف اسمه بدعـــــة! ممنوع نشر البدعة ممنوع محاورة البدعة، ممنوع الرد على المبتدعة فأنت لو ردّيت عليهم فقد عملت لهم شُهرة.
من أراد ان يتعاطى مع عالم الأفكار عليه اولا بكل تواضع ان يعلم كيف يعمل عالم الأفكار، لا تخلق عالما خيالا من عندك وتظن انه يمكنك ان تهندس افكار الجماهير، لا احد يستطيع ان يُهندس افكار الجماهير، وتضع لي آليات معينة، أحرق الكتب احرق المفكرين احرق من طبعها .. كله كلام فارغ كله يعيش كله يبقى، ويبقي آثاره، هذه خطوات انتحارية دائما.. وكما ذكرتُ سابقا: لماذا يُصِرون ان يفعلوا هذا، في الشرق وفي الغرب وفي اوروبا وفي العالم الاسلامي، إنها شهوة السُّلطة .. هؤلاء يكونون صعاليك. امام قضية الحق والباطل لا يوجد موقع لي او لك، اترك الحق يا اخي، اترك الحق يصطدم مع الباطل، لكن لا يريد، يريد ان يمارس السُّلطة يريد يُعدِم ويقطع الرقاب ويحرِق ويمنع ويضع قائمة بالكتب المحرمة . أحســـــن شيء في اوروبا خَدَم الكتاب و خدم الهراطقة والملاحدة والمجدِّفين قــــــائمة الكتب الممنوعة!. فأحب شيء الى المرأ ما مُنِع، فقط يكفي ان تمنع الناس عن شيء يثير حمّية البحث عنه، وحمّية الاعتقاد انه قويٌ لا يُقهَر .. هذا غبـاء، لا تعطي الناس انطباعا عن الحماقات أنها لا تُقهَر.
ايضا من ضمن الأسباب التي ساعدت النزعات الشكوكية والإلحادية هي حرب الثلاثين عاما وهي النزاع بين الكاثوليك والبروتستانت، التي تورط فيها وسط اوروبا ثم شمَلت دولا اخرى، وبريطانيا نجَت منها ، ثم بعد ذلك انتهت الى نزاع سياسي حرب متصلة ثلاثون سنة مئات المعارك في بعض البلاد مات ثلث سكانها وفي بعضها ثلثا سكانها، دمـار كامل بإسم الدين، فالناس حين رأوا هذا ملّوا وصار يوجد نوع من التعزيز والدعم الرافض للدين حتى للإله نفسه نزعى إلحادية بسبب ويلات الدين التي جرها الدين والمتدينون. وسأقول نصيحة لإخوانا المسلمين حول العالم: (اتقول الله في الأمة، لا تكونوا سبب فتنة، لا تُوَرِّثوا نيران الأحقاد)، كنت اتساءل اليوم: رجل يعمل ويحترق ضد نفسه وضد مصالح نفسه من اجل أن لا تحترب الأمة و أن لا تتمزّق أن لا تتفجر هذه الأمة و رجل كهذا يُحارب حربا شعواء ، وفي المقابل سبحان الله يُضرَب تعظيم سلام لمن يعملون على تمزيق الأمة وتفجير كل الألغام في الأمة .. > هؤلاء مشائخ على مذهب السنة وعلى مذهب كذ، و موقّرون وطيبون! .. قلت: والله العظيم حماقة نعيشها واقسم بالله يُسجلها التاريخ الآن وسيسجلها فيما بعد ! لكن ان شاء الله الشباب الواعي اليقظ يحول دون هذه الكارثة..
بعد ان مات (جاليليو جاليليه) جاء (اسحاق نيوتن) مباشرة.. نيوتن كان شيئا متفردا، كان هرم من العلم، لاحظ أن (رينيه ديكارت) طَمَحَ الى الاحاطة بعلم شمولي، ويعني: انه العلم الذي يفسّر كل شيء، وهو في منظور (ديكارت) هو الرياضيات، ونيوتن يحرتم الرياضيات فهو عالم فيزيائي متمكن، لكنه قال: لا، الرياضيات ليس علما شموليا فهو علم تحصيلي تحليلي في الأخير، الميكانيكا علم شمولي والميكانيكا تتوسل الرياضيات، الرياضيات آلة من آلاتها. لكن الآن حدث افتراق جديد وهو ان نيوتن أكّد على أن الطبيعة ليست صامتة، الطبيعة تستطيع – وهي مخلوقة لذلك و لائقة – ان تُخبرَنا الكثير الكثير عن الرب. بالأحرى اراد أن يقول لنا نيوتن – وكأنه في الأخير فعل هذا - : أن مالا تخبرنا بها الطبيعة عن الله لا حاجة لنا بها، مع انه كان يوقّر الكتاب المقدّس ويقرؤه، وله بعض الرسائل اللاهوتية ايضا!، لكن لاهوته كان لاهوتا علميا – ان جاز التعبير – فأكّد خلافا للنزعة المدرسية الوسيطة ان الطبيعة تخبرنا عن

الله، ومن ضمن ماتخبرنا به أنه أزَلي و أنه لا نهائي ابدي، وانه كلي القدرة، وكلي العلم و كلي المشيئة، و كلي الحضور. لكن للأسف النموذج الذي قدّمه اسحاق نيوتن ومن سار في طريقه الصورة التي قدمها لله تبارك وتعالى، صورة ميكانيكية، كأنه صانع آلة عظيمة اسمها الكون، آلة كفؤة، تعمل بدقة ليست متناهية ، صنعها ثم تركهَــا .. اذن فقد دخلنا في (نفي العناية الإلهية)، وكل هذا يساعد ويبني منظورا جديدا للإيمان اسمه < المنظور الربوبي > معناه : ان الله يُؤمَن به كخالق، لكن لا يُؤمن به كمشرِّع كمعبود كمعتنٍ بهذا الكون. وهذا اقربا الى إله (ارسطو) ، منظور ليس الحاديا، كما لاحظت (كارن ارمسترونغ) وقالت: الربوبيون كانو متحمّسينجدا للإيمان، بل كانوا مهووسين بالإيمان، ماكانوا ملاحدة، غير صحيح.. بل على العكس انهم يؤمنون ايمانا عميقا بوجود الإله كخالق كمبدع للوجود ولقوانين الوجود، وهذا مهم فيما قدّمه اسحاق نيوتن الذي قال" الله مبدع قوانين الوجود"، وعلى فكرة، هذه الفكرة النيوتونية لم يُصرّح بها في كتبه، صرّح بها في رسائله الى (ريتشارد بنتلي) عالم الكلاسيكيات الإنجليزي واحد مشاهير العصر و صديقه، وهذه الرسائل من اهم الوثائق التي تُطلعنا على كيفية ايمان اسحاق نيوتن الذي كتب في رسالته يقول: " ليت شعري هل الطبيعة او الصدفة هي التي ادركت ان هناك شيء اسمه الضوء و ادركت كيف ينحرف وينكسر هذا الضوء، وكيّفت عيون الفراش والإنسان والنحل والنمل وِفقَ هذه القوانين؟". يتساءل ويضرب انماطا من هذا التساؤل الذكي.. وهو غير صحيح ، ليست الطبيعة وليس صدفة، هو الذي اذكى من كل هذه الأشياء، بمعنى انه الرّب الخالق. وعلى فكرة الداروانيون والجدد ايضا قد يظنون ان لديهم جوابا نهائيا، وهذا غير صحيح. فكرة من الذي قنّن القوانين، الى اليوم تطرح نفسها بقوة متجددة في العلوم الطبيعية وخاصة في الفيزياء والكوزمولوجيا. ولا يوجد جواب فلسفي، وسنرى فيما بعد ان شاءالله، وسوف نناقش ولا يوجد جواب على هذا التساؤل، إلا بمناظير معينة شكوكية وبعضها عَدَميّة، أنا اسميها عدمية مثل منظور (ديفيد هيوم) ومثل منظور كثييير من الملاحدة الجدد الذين انكروا – تبعا لـ هيوم – قاونية القانون، لايوجد قانون طبيعي قانون علمي، كلها تكيفات عقلية، في الخارج و نفس الأمر لا يوجد شيء اسمه قانون علمي اصلا، هذه صِيَغ عقلية وهمية لمحاولة تفسير الطبيعة. وهذه نظرية عدمية، وهذه النظرية لا تضرب برهان الإيمان بقدر ماتضرب صدقيات العلم، صدقيات العقل ذاته! فإذا الغيت صدقية العقل فهذا اسميه انتحار العقل.. وكان نيوتن يفهم انه توجد قوانين وظيفة العقل الكشف عنها وصياغتها رياضيا وليس ايجادها، العقلla يُوجِد القوانين بل يكتشف و يصوغها اما انه يخلقها يخترعها فهو لا يستطيع، لئن الكون يسير بها وهو مضمون بها مُحكَمٌ بها، واكتشاف هذه القوانين وصياغتها هما اللذان يُمكّنان من التنبؤ أن اعرف ماذا سيحصل غدا وبعد غد !. (بيير لابلاس) الذي كان عاصِرا لنابليون بونابارت، كان عالما كبيرا جدا في الميكانيكا والفلك والرياضيات وكان عالما ذكيا واستفاد من علم نيوتن، وخالفه في اشياء وخاصة في المنظور الايماني، زاره مرة نابليون اعتقد عام 1805 م ذهب اليه في بيته يزوره، كان (لابلاس) عنده كتاب في علم الفلك، كان يشرح لنابليون عن الكون وصفاته المدهشة وانضباطه الحكيم .. الخ، فصاح فيه نابليون سائلا: " مَن صنَع هـذا كـله؟ " فكان رد (لابلاس): " هذه الفرضية لا حاجة لي بها أي انه لايحتاج ان يقول انه الله. فكان عند (لابلاس) منظور طبيعي، عكس نيوتن مع انه لم يرى انه هناك داعٍ لطرح سؤال (من الذي قنّن القانون) .. فكان عند (لابلاس) منظور طبيعي وصُدفي أي ان الكون كوّن نفسه بنفسه و رتب نفسه بنفسه الى ان اصبح ماعليه الآن.. وهــذا غير صحيح طبعا، الآن في العلم الحديث مستحيل ان يكون هذا صحيحا في العلم المعاصر خاصة في الكوزمولوجيا، أما نيوتن طرح سؤالا والى اليوم لا يزال يُطرَح، واحسن من يطرحه الان عالم الرياضيات التطبيقية (بول ديفيس). لكن توجد مشكلة الآن غير ما يشي بالعناية الإلهية، وهي ان الطريقة النيوتينية ومن سار في مسارهم جعلوا اللاهوت تحت رحمة العـلم المتطور المتحرك الذي يغير فروضه و يُغير براهينه و يغير مناهجه ايضا!، لئنهم بلوَروا أو صاغو صورة علمية للـه. وسنرى اللاوازم وماهي التضمينات ايضا والتوابع لهذه الصورة العلمية لله، هذه سوف تهزّ ايمان الناس

بالله و عما قريب، فما هي التضمينات وماهي اللاوازم وماهي التوابع والعواقب لهذا .. هذا ماسنعرض له بحول الله تعالى في الحلقة المقبلة فإلى ذلكم استودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .



تفريغ : منال الذيباني

الحلقة الرابعة

اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه
.. سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا علمتنا و زِدنا علماً
أما بعد :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

توقفنا في الحلقة الثالثة عند النموذج النيوتني وهو النموذج الالي الميكانيكي في تفسير الكون، حيث انتهى اسحاق نيوتن إلى أن الطبيعة تستطيع ان تخبرنا الكثيـــــر عن الله. كما أنه (نيوتن) كان يؤمن ببساطة العقيدة و وضوحها، ويكره الأسرار الدينية، لذلك اشتبه على بعضهم و عدّهُ ربوبيا، وليس بعيدا ان يُعَد كذلك على انه يؤمن بالكتاب المقدّس ويُدافع عنه.

والخطـــــر الذي قام بها اسحاق نيوتن، وتأسس عليها و وفاقاً لها لاهوت علمي جديد، أي لها اسس علمية وليست اسس عقلية محض او فلسفية صِرف ؟!
الخطـــر يبرُز اذا ادركنا ان هذا اللاهوت العلمي قد اعاد تعريف الإلـه او الله عندهم، بحيث اختزله في حقيقة مفاهيمية؛ مفهومية هذه الحقيقة تستند على استنتاجات ونظريات واستخلاصات علميـــــة، لكن طبيعة العلم متحركة مترقّية احيانا متناسخة، اليوم النظرية مختلفة وقد تكون مختلفة تمـــــاما، فلا ندري.
ومن جهة ثانية، انموذج النيوتني في تصوير العالم وبالتالي في استخلاص صفات الرّب او الصانع او الخالق، هذا النموذج دَعَم التصور المعروف لإلـه الفجـوات، والى اليوم مفهوم الفجوات يتعاطى معه قاموس الإلحـادي، وباختصار إله الفجوات يعني شيئا، والان مع نيوتن يعني شيئا آخر، يعني صار يعني شيئين. وهذا ليس في صالح التصور اللاهوتي الذي يريد أن يتشبّث الى آخر المشوار بوجود الله تبارك وتعالى وحضوره الدائم.

المفهوم الذي كان معروفا لإله الفجوات أننا نُسنِد الى اله تبارك وتعالى عن طريق التفسير والتعليل كل مالا نجد له تفسيرا وتعليلاً، ظاهرة نستطيع ان نعللها بعللها (يحدث هذا من اجل هذا.. لكن لماذا يحدث هذا؟ هذا غير مفهوم، لئن الله يريد هذا)، اضفء المعنى، خلع المعنى على ما لا نرى معنى له، يدخل في مفهوم إله الفجوات، على حد ما قال (جان بول سارتر) الفيلسوف الوجودي الملحد في القرن العشرين: " يبدو أن في ذهنِ الإنسان ثقباً، يمكن ان ندعوه ثقبَ الله، هذا الثّقب هو الذي حَمَل الإنسان عبر العصور على ان يتشبّث بمفهوم الله و وجود الله من أجل ان يضفيَ المعنى على عالم و وجود لا معنى له ". يحاول الإنسان، لا يستطيع ان يتعايش مع عدمية المعنى، مع عالم لا معنى له، لا معنى فيه، لامعنى من وراءه، فيُريد ان يخلق معنى عن طريق التشبّث بمفهوم الله.

نيوتن اضاف معنىً جديدا لمفهوم إله الفجوات، تبنى نيوتن المنظور الآلية الميكانيكية للعالم، و رأى ان العالم بمثابة نظام متكافل متآزر متناغم متراسل؛ اشبه مايكون ساعة دقيقة الصنع محكمة التركيب واضحة الهدفية والغاية منها، فإذا ما مُلِئَت راحت تعمل من تلقائها بذاتها بعيدا عن صانعها، قد يحدث نوع من التأخير نوع من عدم الدقة في عملها، فيضطر يتدخل صانعها لكي يعيد التوقيت. نيوتن لاحظ في بعض القضايا وخاصة في عالم السماوات الميكانيكا السماوية، ليست كما ينبغي، لا تتفق تماما مع الحسابات بعض الشذوذات في حركة بعض الأجرام السماوية، تبدأ كشذوذ بسيط ويسير جدا، لكن هناك التراكم فإذا تراكم هذا لابد ان يستحيل بعد مئات السنين ألوف السنين الى خلل واضح، لا يسوغُ معه استمرار النظام الكوني على ماهو عليه، يقول اسحاق نيوتن: " هنـــــا يرى الرّب نفسه مدعواً ان يتدخل لإعادة البرمجة ليُصلح هذا الخطأ" اذن ايضا هو إله فجوات، يعني كل ماقدّمهُ اللاهوت العلمي النيوتني هو ربما توسيع معنى إله الفجوات. وهذا شيء خطير من حيث انه اذا جاز للعلم في يوم من الأيام – وقد زعم (لابلاس) ان هذا قد وقع و حَصَل- اذا جاز للعلم ان يتقدم بحيث يُعطي تفسيرا جديدا لهذه الأشياء بحيث لا تظهر مثل هذه الشذوذات، اذن سنستغني عن تدخل الله!.

أريد ان اكشف هنا بما خطَرَ لي اليوم : أريد ان اكشف عن الجذور العقلانية والفلسفية لهذا اللاهوت العلمي النيوتني – في ظني – الجذور البعيدة تمت في المدرسية الوسطية، أي محاولة عقلنة الدين، نُعطي دورا اضافيا للعقل وإن لم يكن امتيازياً، هذه بداية. مع ان (رينيه ديكارت) المتوفّى سنة 1650 م في القرن السابع عشر ابو العقلانية المُحدَثة قال بالاستقطاب، استقطاب عالم الطبيعة بإزاء ماوراء الطبيعة، الروح ، والنفس .. الدين، والفلسفة .. ورأى (رينيه ديكارت) – طبعا الأصل مع (توم الأكويني) الذي تأثَر بإبن رُشد القائل بإزدواجية الحقيقة مع انه طعن فيه واعتبره كافرا و زنديقا من باب الشعور بالمرارة، لانه اضطرٌ ان يتتلمذ على افكاره (للأسف هذه طريقة النفوس الغير ذات المصداقية وغير سوية تماما) – الثنائية في الفكر الغربي اول ماتبلور بشكل واضح مع (رينيه ديكارت) والى اليوم لم يتخلص الفكر الغربي تماما من هذه الثنائية الصارخة بطريقة استقطابية، فالفلسفة او العقل عالم ومجال بحياله، الدين و الوحي عالم ومجال بحياله، ولذلك قَبِلَ (ديكارت) القول بالخوارق وحتى المعجزات. معناها غير عقلانية بحسب منظورهم، قال لأنها لا تنتمي لمجال العقل، بل تنتمي الى مجال الوحي والخبر، هذا له قوانينه الضابطة وحدها على حِدَا . لاتوجد مشكلة اقبله بهذا المعنى، لكن اذا اردت ان اُحاكمَهُ معنى هذا انها خطوة خطيرة، اتعرفون لماذا؟ في الخطوة المتقدمة سوف نرى ان هذه الاستقطابية وهذا الفصل غير مبرّر، فنعمل على التوحيد والدمج، فيُصبح الموضوع خطير، لمن ستكون الحظوة والأولوية؟ في السياق الغربي واضح انها ستكون للعقل، سيتراجع الدين، سيُشذّب في البداية، سيُهذّب، في الأخير ربما سيُـــنفى ويُلقى به ! . الديكارتيون العِظام (مِل براينش)، (لايب يتس)، و(باروخ اسبينوزا) هؤلاء اشهر الديكارتيين.

مِل براينش) كان وفياً الى هذه الثنائية، و(لايب يتس) ايضا، أما (باروخ اسبينوزا) مع انه من خارجي عباءة (ديكارت) فقد اختلف، كان اكثر جراءة من هؤلاء الديكارتيين بل اكثر جراءة من (ديكارت) نفسه، واستطاع ان يخطوة الخطوة التي لم يجرؤ (ديكارت) ان يخطوها . طبعا (بليز باسكال) وكان مؤمنا متنورا، وبحماس ليس بهوس ولكن بحماس، كتب يقول: " لم اغفر لـ(ديكارت) فعلته، فقد كان يسعى في كل فلسفته الى ان يستغني عن الله تبارك وتعالى"، عكس مايُصوِّر للناس ، ثم يستثني (باسكال) قائلا: " على أنه لما لم يكن قادرا على البَوْح بهذا الغرض، اكتفى بأن يُسند الى الرّب وظيفة النقر بالأصبَع من أجل تحريك الكون، وبعد اذن استغنى عنه ولم يَعُد بحاجة اليه ". هذا الفهم العميق جدا من العالم والمخترع والفيلسوف والمتألّه (بليز باسكال) فعلا وجد مصداقهُ تماما، يعني هذه نهاية المشروع الديكارتي، كما تنبأ بها (بليز باسكال) بذكاء منقطع النظير، فعلا وجدت ترجمتها في الفيزياء والميكانيكا النيوتينية تماما!. نيوتن زاد على ذلك بأن نجعل له علاقة التدخل بين الحين والآخر من أجل اصلاح

الشذوذات المتراكمة، يأتي (بيير لابلاس) ويقول لا، هذه الشذوذ غير موجودة، اذن نحن لم نعد نحتاج الى تدخل الإله، (لابلاس) يبدو انه كان ملحدا لايؤمن اصلا بوجود الإله، ويقول: " لو استطعنا ان نعرف كل المعلومات المتعلقة (نفترض الكون في لحظته الأولى) فإننا نستطيع ان نعرف أي شيء عن أي شيء الى نهاية الأمر". أي كان يعني: ان المسائل محسوبة كلها وتعمل بآلية منضبطة و دقيقة، لاحاجة الى الإله لا مبتدءاً ولا توسّطا ولا انتهاءاً !. هذا الذي اثار فضولي ونظري أن (باسكال) تنبّأ بهذا المصير.

الخطوة التي خطاها (باروخ اسبينوزا) وكان اكثر عقلانية من ديكارت ذاته، هو أنه تخلى عن هذه الثنائية، وآمن بالواحدية بطريقة حلولية، أي بمعنى ان الله ليس شخصا يقبع خارج هذا العالم، الله والكون نسيج واحد، هذه الروح السارية و الحاكمة في الوجود هي الله. طبعـا سيعترض احدكم ويقول لي لا انا قرأت رسالة اللاهوت والسياسة او الرسالة في اللاهوت، و(باروخ اسبينوزا) في اول رسالته يـؤكّد الثنائية، ويقول: " الدين له مجاله، والفلسفة – التي كانت تعني في وقتهم: العقل+العلم – لها مجالها، وينبغي ان يُحتفظ لكل مجال بإختصاصاته وامتيازاته ". هذا حل توفيقي، يبدو أنها خطور مقنّعة من (باروخ اسبينوزا) تحت ضغط المجتمع والعصر، وانت تمضي بعيدا في كتابه تجد انه يعطي الأولوية تقريبا للعقل على الدين، للفلسفة على الوحي. وبتعبير فيلسوف مصر (حسن حنفي) - وهو مترجم لهذه الرسالة- يقول: "الألغام التي زرعها (باروخ اسبينوزا) في عصره انفجرت فيما بعد ولا تزال تنفجر الى اليوم في عصرنا هذا". عبّر عنها بالألغام لأن (باروخ اسبينوزا) كان مقنعاً ويسير متخفياً، لو جاهر بكل مايعتقد لكان سيقتل مباشرةً. من هنا خطورة هذا المشروع الجديد مشروع اللاهوت العلمي النيوتني.

في العصر نفسه ايضا بدأن نرى الصعود في الفكر التجريبي، والفلسفة التجريبية، كفلسفة أثرت على الكثيرين، هذه < الفلسفة اتخذت المنظور المادي، فطرية الأفكار التي اثبتها وحاول ان يبرهنها على طريقته وأخطأ (رينيه ديكارت كُفِرَ بها الآن، مع (جون لوك) الإنجليزي وهو مفكر كبير، وفيلسوف سياسة وهو اكبر فيلسوف استيميلوجي، بعضهم يعدّه المؤسس للإبستيميلوجيا الحديثة، في رسالته الشهيرة جدا المعروفة، قال: " أن الإنسان يولد صفحة فارغة، ليس عنده افكار فطرية ولا غير فطرية، والحواس هي منفذه الى هذا العالم". فهذه فلسفة تنحو نحو المادية لاتؤمن بشيء سابق او بشيء له مصدر مخالف لما في عالم الطبيعة، (توماس هوبس) -البروتستانتي والفيلسوف السياسي الانجليزي الشهير صاحب التنين – عمّم النظرة المادية على كل شيء، حتى على العواطف وعلى العقل الانساني (الذي تخيله توماس كأنه زمبركات واشياء تعمل بطريقة النبض والضغط). منظور مـــادي جاف وغليظ.

رأينا بعض كبار رجال الدين يتخففون من الدين بل ينتمون الى الإلحاد، مثل (جان ميسلِم) – الذي كان رجل دين كبيرا ومشهوراً و وصل الى رُتَب عالية و خَدَم الملوك، وكان كمُربّي و كواعظ- ولكنه في آخر حياته انطوَى على الحـــاد، فحين توفي نُشِرَت مجموعة من اعماله فعـــــلا تُعبّر عن الحاد صريح ، بعض بواعثه ايها الاخوة هو النفور من رجال الدين، ومن استخدامهم المهين جدا جدا للدين وللكلمات المقدسة لأجل منافعهم ومصالحهم و حيثياتهم، لكن عنده اسباب فلسفية وعقلية.

مع (ديفيد هيوم) الاسكتلندي سرنا بإزاء نظرية معرفية شكوكية، تعتمد التجريب او التجريب اساسا، (ديفيد هيوم) فيلسوف تجريبي حسي، شكّك حتى في مفهوم السببية ذاته، و انكر مفهوم الضرورة ضمن هذا المبدأ، و عوّل على الحس والتجربة تعويلا كبيرا، بمعنى انه افقد كل اللاهوت الطبيعي واللاهوت العلمي ايضا أي اساس ميتافيزيقي يدّعي الاستناد اليه. وهذا انعطاف الى ما يخدم الإلحاد. سار في خطى (ديفيد هيوم) الفيلسوف الألماني النقدي

الكبير(كانت) صاحب المقولة الشهيرة:" هيوم انقذني من سباتي الدُّجماطيقي". مشروع (كانت) مشروع كبير وعميق يمكن ان نلخصه في كلمات " يرى ان بنية العقل الانساني متكيفة بطريقة معينة بحيث لا تستطيع ان تتعاطى إلا مع ظواهر الوجود" . وهذا شيء خطير لئن هذه ايضا و بضربة واحدة يُنهي كل مشروعية و مصداقية للميتافيزيقا، الميتافيزيقا تدّعي انها تبحث في الماهيات في الجواهر، وهو (كانت) يقول عنها انها مستحيـــــل في كتابه (نقد العقل الخالص)، وكما عرفنا انه قد فَشِلَ فشلا واضحا أن يُفرّق بين المعقولات الفلسفية والمعقولات المنطقية، وهذا خطؤه القاتل ! وهي اضعف نقطه في مشروعه . فـ (كانت) حين بحث عن المعرفة قال ان عقلنا فقط يتعاطي مع الأشياء في ظاهرها، الأشياء في ذواتها في حقيقتها لا سبيل في الوصول اليها.. فانتهى (كانت) الى أنه من المستحيـــل اثبتا وجود الذات الإلهية عقــلاً، إلا انه يؤمن بالله ولكن ليس على اسس عقلية لإعتبارات اخلاقية وعملية، في احدى المرات يبدو ان خادمه الوفيّ الذي راعَهُ وارك ان (كانت) يبدو انه لا يؤمن بالله، فقال (كانت) لخادمه:" احيانا نقوم بكسر الدومينو لنتيح مجالا للإيمان ". في عام 1989 م اشتعلت الثورة الفرنسية، حرية، إخاء، مساواة، هذه الثورة كانت في جوه واضح لها ثورة على الدين وعلى الكنيسة وعلى المؤسسات الدينية وعلى القداسة والقدسيين.. انتج عن الثورة الفرنسية الارهاب وحقوق الانسان، القائد الثوري الكبير (ايبير) اعلن مباشرة عبــادة العقل، و توّج الَهة العقل في مذبح كاتدرائية نوتردام في مكان الإله يسوع المصلوب، والغى القدّاس واعطى الإذن بنهب الكنائس، وتعطلت عن اعمالها، وبعض رجال الدين نُفوا وبعضهم في الاقامة الجبرية وبعضهم قُتِل.. ثم أتى بعده مباشرة بفترة بسيطة جدا الطاغية الكبير (روبسبير) المحامي ، محامي الثورة محامٍ ناجح لكنه طاغيــة أتى وقاد (ايبير) الى المقصلة مباشرة و أعلن عبـادة القدرة الكُلّيــة كمفهوم طبيعي وليس كمفهوم مُفارق.. يعني خطوة متراجعة قليلا وليس كثيراً، لكن بعد بضعة اشهر قِيـدَ الى المقصلة ايضا. في عهد (نابليون بونابارت) تمّ علمـنة فرنســا، لكنه اعاد للكنيسة الكاثوليكية كثيرا من الاعتبار لأهداف سياسية براجماتية، المشــكلة الآن هي رمزية العلاقة بين اهداف الثورة و بيـن الإلحـــاد وعلاقة تآزر و تعاون ظلت تؤثر على الذهنية الأوروبية، يعني ان هذه الثورة دافعت عن حقوق الإنســـان ، دافعت عن <التي دعمت الإلحاد في البداية و نهَضَت الدين، و توّجت العقل إلها المساواة، الحريـــات!، فصار فيه ارتباط الذهنية الأوروبية بين التي تشوق الانسان ويحلم بها الانسان حرية إخاء مساواة حقوق انسان كرامة انسان عقل الانسان استقلال الانسان..الخ وبيــــن معاداة الديــن . وكما قُلت في الدروس السابقة" نحن لا نخضع في انتخابنا الأفكار والآراء والنظريات فقط للأسباب العقلية والمنطقية، اكثر ما نخضع لعوامل نفسية، وهذا عامل نفســي، ان الثورة فعلت كذا وانتجت كذا .. انه عامل نفسي سايكولوجية لكنها تؤثر في الناس، وهذا مُلاحظ الى الآن، وهذا ضعف الانسان، هذا الضعف لا يتغلب عليه إلا مُفكّر عظيم، مفكّرٍ يتجاوز ذاته، يتجاوز محنته يتجاوز ألمه، هؤلاء النجوميون قلّة. مثلا نقول: انك لديك تجربة سيئة جدا مع رجال الدين، فواضح ان هذه التجربة السيئة مع رجال الدين تُرشّحك ان تكون احد المناهضي الدين الشاغبي على الدين، احد المشككين في جدوى الدين ،في اخلاقية السلوك الديني، تَجربة شخصية ، لكن هذا ليس تبريرا منطقيا علميا حتى او موضوعيا، هذه تجربة شخصية .. في المقابل نجد ألوف من رجال الدين في احسن الناس وأطيب الناس وأرحم الناس.. فمن الذي يستطيع ان يتجاوز التجارب هذه ! هو المفكّر النادر الاستثنائي، الناس تخضع لهذه الأمور ، حتى كبار المفكرين في الشرق والغرب لهم مثل هذه التجارب و يخضعون لها! كـ (إيلي ويزيل)اعتقد هذا اليهودي الذي اخذ جائزة نوبل أمه واخته اُحرقتا في المحرقة كما ذكر هو عندما رأى دخانا يتصاعد حينما قيدنا الى المحرقة، تجربة صعبة <للسلام كانت، لكنها لم تُفقده ايمانه، بعد ذلك يحكي عن طفل دون العاشرة ملائكي الوجه اُقتيدَ الى الاعدام شنقاً، والطفل كان يمشي الى المشنقة في حالة سكينة وصمت هدوء عجيب، و اُجبرنا على ان نصطف وامتدت عملية اعدامه اكثر من ساعة!.. امعانا في اذلالنا و ارعابنا، قال رجل بجانبي وتساءل " اين الله؟ اين هو؟" . هنا هذه التجربة الصعبة حقا، الآن ليس العقل يتحدث فقط، اكثر شيء العاطفة الشعور، وإلا نحن نعلم ان الأطفال تُقتَل كل يوم ! .. لكن

حينما انت تخوض غمار تجربة كهذه، وتكون شاهد عيان عليها، وليس فقط تسمع عن قتل الأطفال وو .. مثلا كيف لو كان هذا الطفل طفلك انت!، العملية صعبة جدا جدا شيء يُزلزل الإيمان وليست سهلة، وهذا معنى الإختبـار والإبتـلاء، شيء صعب جدا نسأل الله ان لا يبتلينا .

فبعد ان تساءل ذلك الرجل بجانب (إيلي ويزيل)، الذي قال حينها:" انبثق صوت في داخلي اسمعه بشكل واضح يقول: هـاهو معلّق على المشنقة! " . أي انه لا يوجد إله !، فلو كان يوجد إله لم يكن ليسمح لهذا العدوان ان يقع. فهذه مسألة نفسية وليس بتفسير عقلي ولا تبرير منطقي للإلحاد، إنما مسألة نفسية ناتجة من تجربة شخصية. ..وبقي (إيلي ويزيل) متعايشا مع إلحـــاده، فلم يستوعب عقله و نفسه ضجرَت و سخطَت

نـأتي إلى الفيلسوف الكبير (هيـغل) الذي آمـنَ بموضوعية المعرفة – وهذا المصطلح تقريبا طرحته الفلسفة التنويرية تقريبا هم الذين عاشوا في القرن الثامن عشر- في فترة مايُعرَف بـ أزمة الوعي الأوروبي، والمقصود بأزمة الوعي أزمة نشأت في عصر التنوير، أزمة تتعلق بالنظر الى الكتاب المقدّس وصدقيّته التاريخية، التنويريون عاشوا في فترة هذه الأزمة وكانوا سببا ايضا في إحداث هذه الأزمة، لكن التنويريون ليســـــوا ملاحـدة جميـعا او من عند آخرهم، انقسموا الى قسميـن: الى تنويريين ملاحـدة، وتنويريين ربوبييـن، من الصعب ان تجد تنويريا مؤلّهاً، من الذين لا يؤمنون باللاهوت الكتابي، بل يؤمنون بلاهوت العقل. ومصطلح "التنوير" آتية من كلمة النور Light ، و أول من استخدم هذا المصطلح بشكل أدى في النهاية الى افراز هذا المصطلح المتأخر "التنوير" ربما يكون (ديكارت)، في حديثه عن النّور الطبيعي – النور الطبيعي هو مايقصد نور العقل – ومن هنا مفهوم الربوبية، نؤمن بالله كخالق كصانع لهذا الوجود، لكن لا يتدخل في حياتنا التي يكفي فيها العـــقل، الذي يستطيع ان يميز من الخير من الشر، من الصح من الغلط، لسنا بحاجة الى شريعة او الى انبياء و رُسل، طبعا في الترجمات العربية للأسف هناك خلط كبير، يترجمون الربوبي الى الألوهي.. الألوهة تشير الى التعبد والعبادة. فالعقل سيصير له جدارة أن يناقش الكتاب المقدّس.. هل هذه <مشكلة النقد الأعـــلى >انت صادق؟ هل أنت ثابت تاريخيا؟، وهذه مشكلة جديدة ايضا ! اسمها :المشكلة الكبيرة جدا التي سمّاها (بول آزار) بـ (أزمة الوعي الأوروبي) التي تعني باختصار
هي أزمة العقل الأوروبي في النظر إلى والتعاطي مع "موروثه الديني المسيحي". واذن هناك الربوبيون الذين يؤمنون بالله كخالق كصانع لهذا الوجود، لكن ليس كمشرِّع، نعبده بفعل الخيرات والإحســان الى الآخرين .. كالسياسي والعالم والمخترع الأمريكي (بِنيامين فرانكلين) ومثل السياسي اللامع والشهير الرئيس الأمريكي (توماس جيفرسون) الذي قال:" الدين الذي أؤمن به كالعقائد يقبلها العقل على أسس من العقل". ومثل ايضا (فرانسوا فولتير) الذي قال في قاموسه الفلسفي الشهير: " نريد من الربوبية أن يُعلِّم الناس كثيرا جدا اشياء تتعلق بالسلوك الأخلاقي، وأشياء قليــلة جدا تتعلق بالعقائد الدينية ".

على فكرة هذا كلام دوناً ان نناقشه ولكنه يؤشر الى شيء خطير، ويربط معنا بالكلام الذي اقتبسته مرتين في سنة) واحدة من (البرت شفايتسا) حين قال حاكيا عن توقعه: " أن النصر في المستقبل و ربما القريب سيكون للأديان الأخلاقيــة!" ، هذه الفكرة تنويرية وأنا موافق من حيث المبدأ على هذه الفكرة)، بمعنى مثلا الإسلام وهو حق عقيدة و شريعة في اعتقادي كمسلم، لكن إن اصررنا على الطراز الآن، وظللنا مُصرّين على أن نترجمه شريعة اوامر ونواهي وافعل ولا تفعل، ونبسط و نَمُد رواق هذه الشريعة وحتى اللحية و حجم اللحية وهيئة اللباس والنقاب .. الخ، كل اذن فنحن سنعمل على أن يبتعد الناس عن الديــن وخاصة في هذا <شيء نضع فيه حكم شرعي .. أقول لك العصر سينفرون والعكس هو المطلوب !. وعلى فكرة القرآن مقتصد جدا في التشريع، من ضمن زُهاء ستة آلاف

أن آيات التشريع زهاء < ونصف تقريبا او اقل من ذلك بقليل من الآيات المشهـور عند علماء الأصل والإجتهـاد مئتان وخمسين آية! والباقي اكثره يتعلق بأمرين ، بالعقيدة وعلى أسس شبه عقلية، التأمل في الآيات، ففي القرآن لدينا زُهاء ألف آية كونية تؤشر الى الطبيعة الى الكون الى الخِلقة الى الى ..، والأمر الثاني يتعلق بالأخلاق والسلوك الأخلاقي مع البشر، كم هذا الدين جميـل، يجب ان تكون خطتنا في خدمة الإسلام متناغمة مع القرآن الكريم، فما عظّمه نُعظّمه، وما اعطاه حجما و صيتا نعطيه حجما و صيتا.. وهكذا. إن تحدّث عن الرحمة في مئة آية وعن النقمة خطبنا مئة خطبة عن الرحمة، و عشر خطب عن النّقمة... وهكذا . وهذا الصحيح فانتبهوا، وأقول < في عشر آيات .لكن بشكل عام الفكر الاسلامي غير متناغم الى حد بعيد مع الموازين والمقادير القرآنية

فعندما قال (توماس جيفرسون):" الدين الذي أؤمن به كالعقائد يقبلها العقل على أسس من العقل"، هنا توجد أولوية مطلقة للعقل والوحي يختفي هنا صحيح؟!، لـكن لا يختفي بالكامل، لأن الوحي يُوحي، يعني مفهوم الإله الطّيب الرحيم المُحب مستمد قطعاً من الكتاب المقدس (الإنجيل)، صحيح هذا الإله له وجوه و صور اخرى .. لا، الدين الربوبي لا يُحب ان ينظر اليها !. (فولتير) كتب مرةً يخاطب الله تبارك وتعالى: "يصوّرونك طاغية جبارة، و ابحث فيك عن أب رحيم، لستُ مسيحيا، انا ربوبي، لست مسيحيا فقط من أجل ان احبك اكثر !". لم يكن (فولتير) ملحدا،الرجل ربوبي متحمّس، كان يقول: " لو أن الله غير موجود، لَوَجَبَ علينا أن نخلُقَهُ !". لأن الحياة لاتطيب بدونه، ولاتستمر المجتمعات بدونه، قال لماذا تحاربونه! لولا هذا الإله لخانتني زوجتي ولسرقتني خادمتي.. و(فولتير) ضد نظرية ان .الاخلاق الطيبة يمكن ان تقوم بغير الإيمان بالله. ففي نهاية المطاف الدين يبقى يوحي

وعلى ذكرنا لـ (أزمة الوعي) سنتحدث عنها أنها هي بسبب مايُعرَف بالنقد الأعلى نقد الكتاب المقدّس، هذه قنبلة فجرها (ريتشارد سيمون) الفرنسي، هو ابو هذه الدراسات، لكن في الحقيقة هي من القنابل التي زرعها (باروخ اسبينوزا). طبعا في رسالة اللاهوت والسياسة، واضح جدا الجهد الذي بذله (اسبينوزا) في إعادة النظر في الصدقية التاريخية للكتاب المقدّس، ثم تدعيم المبدأ الجديد في النظر الى الكتاب المقدّس على ضوء المقررات العقلية والعلمية، . وهذا كان أمرا جديدا خـــارج الأشياء المُـفكّر فيه

. سنكمل في الحلقة المقبلة بإذن الله عن ((النقد الأعلى)) فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

.

الحلقة الخامسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (5) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (8) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (10) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (11) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (12) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (13) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)

صدق الله العظيم .. وبلّغ رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين،
اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط.. آمين اللهم آمين.
الحمدلله رب العالمين و اشهد ان لااله الا الله وحده لا شريك له، واشهد ان سيدنا محمدا عبده و رسوله، اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته المباركين واتباعهم بإحسان الى يوم الدين..
سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك النت العليم الحكيم، اللهم علمناماينفعنا وانفعنا بما علمتنا و زدنا علماً. واهدنا لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم.. اللهم آمين

أما بعـــد :
اخواني اخواتي احييكم بتحية الاسلام جميعا فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،
كما وعدتكم بحول الله تعالى، فاليوم سننخرط في جوهر الموضوع وعموده الفقري براهين الإيمان و إشكالات وشبهات وإيرادات - و إن شاء الملاحدة - حجج وادلة الإلحاد.. وعلى ماذكرت في الحلقة الاولى نحن اخترنا ان نبدأ بعرض براهين الإيمانمن باب قبول التحدي، الملحد السابق (انطونيو فلو) الذي انتهى بعد ثمانين سنة من الإلحاد الى الإيمان الواثق بوجود الذات الإلهية وختم حياته وارتحل عن هذه الدنيا، بهذا الايمان يقول: "لقد فعلناها للمرة الأولى، قذفنا الكرة في ملعب المؤمنين، قلنا لهم كملاحدة لسنا نحن من يُطالَب ببرهنة عدم وجود الإله، ولكن البينة على من ادّعى.. انتم تدّعون وجود الإله عليكم أن تزودونا بالأدلة هاتوا براهينكم ان كنتم صادقين، دائما كان يلعبها المؤمنون معنا بشكل معكوس"، -ولذلك كانت اسهم الملاحدة مبخوسة ومنقوصة لكن هذه المرة قال العكس- .
الفيلسوف الأمريكي الشهير مؤسس علم النفس (وليام جيمس) احد اعمدة الفلسفة الذرائعية له تحليل قد يختلف حوله الفلاسفة والمفكرون، (وليام جيمس) يتحدث عما يسميه بـ "الخيارات الأصلية" ولحديثه عنها يُقدّم بالقول: "احيانا تتكافأ ادلة خيارين او فرضين امام المُخيّر بينهما، ولذلك يجد نفسه غير قادر على ان يَبُت برأيه في المسألة،

فيُحجم عن البت وينصرف عن المسألة برمتها، لكن هذا لا يحدث دائما..احيانا يرى الانسان نفسه مضطرا وملزوما على ان يَبُتّ برأيه، فإن لم تكفي المبررات المنطقية فإنه يُهرَع ويفزع الى المرجحات الوجدانية (بلغةالدين لدينا: يستفتي قلبه، هذه قوة من قوى الانسان ايضا، هذه القوة تُمارس دورهااكثر بكثير مايظن العامة ومما يظن الخاصة من المفكرين والفلاسفة والعلماء الثقات، اما العامّي المسكين يظن انه يصدر عن منطق العقل! وهذا ليس بصحيح فمعظم العوام يصدرون عن إيحاءات القلب والعاطفة والوجدان بعيـــدا عن مرجحات المنطق و موجبات العقول، لكن حتى العلماء والفلاسفة لا ينجون من هذه الورطة.. وكي لا اضلّ عن التفكير بهذه الفكرة/ لفت نظري، ان القرآن العظيم لدى حديثه و هو حديث مكرورٌ في موارد كثيرة في كتاب الله عزّ وجل، يتحدث عن القلب و يعزُ إليه وظيفتين: وظيفة الفهم والعقل والتدبر، و وظيفة الشعور والاحساس ، هذه اللفتة القرآنية ايها الاخوة تريد ان تفتح اعيننا على مقدار التعقيـد التي تتسم به المسألة، الانسان ليس كائنا منطقيا محضا، وليس عالما من المشاعر والوجدانات، انه كائن مزدوج يعيش بالعقل والوجدان، يزعم انه يصدر عن منطق العقل في حين انه يخضع لهوى النفس والقلب .. ودون ان يدري! . بعض المفكرين والفلاسفة طالبوا "العالِم ان يتخلى عن العواطف جملة وتفصيلا، عليه ان يكون اشبه بصخرة لاقلب لها !" كما قال (تشارلز داروين).. طبعا هذا مستحيــل، جميل ان يحاول العالِم او المفكر ان يصدر عن منطق عقلي صرف محض الى حدٍّ ما لكن لا يستطيع الانسان ان يكون كذلك .. فـ (وليام جيمس) كان اكثر واقعية حين تُعوزُنا المبررات المنطقية، قال لابأس ان نفزع الى المرجحات الوجدانية..

لمـذا علينا احيانا أن نَبُتّ برأي إزاء خَيار معين من بين خيارات، (وليام جيمس) يقول: " ليس إزاء كــل الخيارات، ازاء خيارات او فروض محددة اسميها بالفروض والخيارات الأصلية". الخيارات الأصلية تتصف بسمات ثلاث: 1/انها فروض او خيارات حيّـة، 2/مفروضة، 3/وحاسمة .. لكن مامعنى هذا! ..يضرب (وليام جيمس) لنا الأمثال ويقول،: لو طُرِح عليك هذا السؤال: هل كان القمر كما كان يُعتقد في زمن من الأزمان فعلا مصنوعا من الجبن؟!(يعضهم حدد نوعية هذا الجبن،جبن انجليزي)، هذا الخَيار ليس خَيارا حيّاً على مقالة (وليام جيمس)، تستطيع ان تصرف النظر عن هذه الفرضية ،لست مضطرا ملزوزا ان تناقشها بالأساس، لأنه ليس فَرْضا حيّا، بمعنى أن القمر مصنوع من الجبن او الزّبد او الحجر، هذا لن يؤثر في حياتنا الانسانية على كوكبناهذا الجبن او هذا الصخر هو كماهو من ملايين السنين، ويدور بنفس القانون ،لن يختلّ شيء. من عندي انا اكمل، كمثل: الشعب العراقي، لو اكتشف اليوم ان عليه ان يواجه ان فرضية وخَيار ان صدام حسين مازال حيّا، لايقول هذا ليس خيارا حيا، هذا خيار حي، لئن الرجل مرعب وخطير وقد عانى منه شعبه كثيرا وطويلا، فهناك احتمال انه مازال حيا، بمعنى ان هناك خطة بين القوى العالمية في راسها الولايات المتحدة وبين صدام، وقد يكون مآل هذه الخطة هو اعادة تنصيب هذا الرجل، فالمسألة قشعَرَ بدني !.. مجرد تخيل هذه المسألة مرعب بالنسبة للعراقيين، فالخيار هذا خَيار حي (بلغة وليام جيمس)، ينبغي ان تتعاطى معه كعراقي بجدية ولاتقول"لايهمني" كفرضية كون القمر جبن او صخر.. طبعا طبقوا هذا على مسألة وجود الله، الله موجود او غير موجود، خَيار حي او غير حي، سيؤثر في كامل حياتنا..

ثانيا: لابد ان يكون الخيار مفروضا ليكون خيارا اصليا، ومعنى ان يكون مفروضا كالمثل الآتي: لو سُئلتَ هل تشرب الشاي بالسكر او بغير سكر؟ ليس مفروضا، لا اريد ان اشرب الشاي من اصله، فهنا الخَيار ليس مفروضا، لكن الخيار المفروض لو تعلقت المسألة بالله، الله قد يكون موجودا، وقد لايكون موجودا، خيَـار مفروض ينبغي ان يعالجه بجدية لا اقول المسألة لاتهمني ايضا..لا ، ولذلك اشرس الملاحدة – عبر العصور- تعاطو مع هذا الخيار وكان موقفهم الانحياز الى النفي، ليست مشكلة لكن اتخذوا موقفا، و دروسوا المسألة وانخرطوا في نضال وفي سجالات فلسفية وعلمية كلامية لاهوتية، واتعبوا انفسهم .. الخ.

وأن يكون الخيارُ حاسماً ومعناه بلغة (وليام جيمس) أي تترتب عليه (الخيار او الفرض) آثار جوهرية و ربما دراماتيكية في حياة الفرد. قد يكون الخيار حيا ومفروضا ولكن ليس حاسما، مثلا: أن تذهب هذه الليلة الى المسجد لتتابع

محاضرة – ارجو ان لاتكون مُملّة او معقدة كهذه- او تذهب الى السينما لتحضر احدث الافلام، متابعة احدث الافلام ان تتابع او لا تتابع < هذا خيارا ليس حاسما !، لكن انت انهيت الثانوية العامة، امامك ثلاث سبل او اقل او اكثر، تلتحق بكلية كذا او كلية كذا، >> هذا خَيار حاسم ! ليس كمتابعتك لفيلم او شيء ما.. تتابعه او لاتتابعه.. عملية ليست حاسمة ولن تؤثر عمليا في حياتك لافي جملتها ولا في تفاصيلها...
لو طبقنا هذه المفاهيم على مسألة وجود الله او عدم وجود الله، هل نرى انها مسألة يمكن ان توضع ضمن هذه الخيارات الأصلية او لاتوضع.. بشكل عــام توضع، بعض الناس يُكابر ويناقش، هم احرار لايهمنا، حتى هذا المُدخَل ليس مدخلا لازما وضروريا لنا، لكن نحن اردنا ان نجعله مدخلا للمحاضرة، لان بعض الناس للأسف الشديد لايهتم بالمسألة، لانستطيع ان نقول ثقافة لاتهتم، يعني كثقافة بوذية (ثقافة غير مؤلّهة) لكنها اهتمت بالمسألة هذه، قدّمت تبريرات لموقفها، و لما لاتهتم لمسألة وجود الالهة.. اما الذين لايهتمون بمسألة وجود الله او عدم وجوده يحكي تشوها في المسلك الانساني، ونقول دائما ان الانسان هو الكائن الباحث عن الله ، البحث عن الغيب.
المواقف الفلسفية والوجودية إزاء الوجود وتفسيره، تمايزت وتعددت عبر الأعصار، هناك الموقف "المثالي" وهذا الموقف ليس موقفا جديا في التعاطي مع المسألة، لان المثاليين (باللغة الفلسفية وليس بالمعنى الاخلاقي) والمثالية تعني المذهب او النزعة التي لا ترى حقيقة واقعية او خارجية لاي شيء خارج الذهن الإنساني، يعني كل شيء بالكون ومافيه عـدا ذهن الإنسان ليس له واقعية خارجية ! . أي ان كل هذا تخليق وصناعة الذهن.. يعني انه خيـال، لذلك بعض الفلاسفة آثر ان يترجم هذا المصطلح الفلسفي بـ "الخيالية" وهي ترجمة دقيقة في نظري افضل من كلمة المثالية، فلو قلنا المذهب الخيالي او لتخيلي افضل من لو قلنا المذهب المثالي، وهذا مبحث طويل لانريد الانخراط فيه.
ولذلك "المثالي" لا يُعني بمسألة تفسير الوجود لايأخذها بجدية، لان الوجود وهم، لكن في نهاية المطاف عليه ان يفسر وجود ذهنه، وهذا موقف غير متّسق.
في المقابل هناك المدارس والنزعات والفلسفات الواقعية، طبعا المؤلّهة المؤمنون في الأديان والطوائف المختلفة واقعيــون، أي تعني ان المسألة محسومة لديهم، يقرّون بعينيّة الخارج، يعترفون بموضوعية واقعية للأشياء خارج حيّز الذهن، ادركناها او لم ندركها هي موجودة. لكن قضية هل ندركها كما هي تماما او تتشَوّه صورها.. فهذه مسألة اخرى !. ايضا هذا مبحث لطيف وجميل من مباحث الابستميلوجيا، وأنا _كعدنان) مقتنع بالواقعية النقدية المعقولة الى حد ما و ادلتها قوية.
هناك الماديون على اختلاف المدارس المادية ومذاهبها طبعا، الماديون ايها الاخوة واقعيّـون، الماديّ هو يؤمن بوجود الاشياء في الواقع وفي عين الخارج ايمانا متحمساً، هو يقول بأصالة المادة، ويريد أن يفسّر بها كل شيء حتى نشاط العقل والذهن، يفسرها بطريقة مادية، لكن المادي مع ايمانه بلزوم العلل الفاعلية لتفسير الوجود، إلا انه يقصرُ العلل الفاعلية على عالم الطبيعة، ولايتعداها الى عالم ماوراء الطبيعة، لذلك الفيلسوف المفكر العالم المادي يطلب العلل، يطلب الأسباب، لا ينكر مبدأ العللية والسببية، يؤمن بالعلل الفاعلية لكنه لا يبسطها ولايمدها ولايتعدى بها حدود العالم الواقعي الطبيــعة، فيرى ان الطبيعة كافية لنفهمها ونفسرها بأسباب وعلل طبيعية محضة لا بأسباب ماوراء طبيعية كالأرواح والملائكة والإلهة، انه يرى ان كل ذلك كلام فارغ، لكن بالمقابل هل الفيلسوف الإلهي ينكر واقعية الأشياء ماديا؟ لا ينكر. هل ينكر الأسباب المادية؟ لا ينكرها بل يطلبها، إذن هو مادي بهذا الاعتبار، يفترق و ينماز من المادي عند نقطة انه يذهب الى ابعد من العلل والأسباب الطبيعي ويؤمن بأسباب فوق طبيعية، لذلك كـل إلهي مــاديّ ويتجاوز المادية، لكن كل مادي الهي، لذلك الان النزعة الغالبة على العلم الحديث هي نزعة مادية، يصرُّون تماما على انبغاء و وجوب ان نقف عند حدّ العلل الفاعلية المادية الطبيعية، ممنوع ان تتعداها، مجرد ان تشير محض اشارة، مجرد اشارة الى علة وراء طبيعية مباشرة تُتهَم الى أن تسيء الى العــلم وتدمره ! يغضبون جدا ويقولون: هذا الذي تقوله وإن لِبسَ لبوس العلم فليس علما حقيقيا، عِلم زائف او عِلم سَقَط ، لانه يشير الى خارج الطبيعة، ومـن هنا

غضبهم على نظرية التصميم الذكي ويحاربون كل من يتبناها، وكل من يشير اليها اشارة ايجابية في معرض الاستئناس، يعني اصبح هذا العلم كأنه علم جديد، كأنه أيدولوجيا، لكنه ليس دينا ليس أيولوجيا، ولكننا نحافظ على مكتسباتنا، هذا العلم نجح ضمن هذا الحدود نريد ان نواصل النجاحات، لانريد ان ندخل فيما ليس منه فيفسد، ونعود الى مزج الدين بالعلم، ومزج التأليهات بالعلم وتفسد مؤسسات العلم . ... في النهاية هم احرار، فهل بالعلم وحده يحيى الإنسان؟. هل بالعلم وحده يدركُ الانسان؟ هل بالعلم وحده تفسر الأشياء و تدرك الأشياء؟ هل العلم هو اقصى حدود العقل الانساني؟. هل العلم يعاد الى العقل، أم ان العلم ابن العقل؟. العلم نشاط من نشاطات العقل والعقل اوسع وابعد واضخم بكثير، القوى العقلية ابعد بكثير من القوى العلمية.

بـرهــان النِّـظْم

نأتي الى براهين المؤلهين او الإلهيين المؤمنين، وهذه البراهين تتنوع بين براهين فلسفية، وبين براهين علمية شبه فلسفية، لاتوجد براهين علمية على وجود الله، أن العلم يقف عند حدود فواعل و الأسباب الطبيعية، العلم يكفر بكل اشارة الى ماوراء الطبيعة. نبدأ بدليل يرونه المؤلهين المؤمنين انه اقوى الأدلة وأبسطها يمكن ان يستوعبه العامِّيّ، على انه في عمقه دليل قوي جدا جدا جدا، وليس من السهل البتّة ان يُنقَض، انه الدليل المعروف في الادبيات اللاهوتية سواءا في العلم الاسلامي او اليهونصراني بدليل < العناية > - وهي تسمية اراها غير موفقة- او الدليل الغائي < - وهي تسمية جيدة في نظري احرزت اكثرمن 60%، والتسمية الاحسن دليل < النظم أو النظام>، هو دليل الغائي هو دليل العناية هو دليل النَّظَم وهو الذي اتخذ في العصر الحديث وبالذات في ثمنينات القرن العشرين والى اليوم اسما معاصرا وله ابعاد وإيحاءات علمية اكثر منها فلسفية هو (دليل التصميم الذكي)، هذا البرهان هو نوع من الاستدلال، بمعنى ما دليل قياسي له مقدمات ككل دليل، مقدمة صغرى، ومقدمة كبرى، ومقدمة وسطى، ثم توجد النتيجة. برهان التصميم او برهان النّظم او الدليل الغائي -الذي تحدث عنه بإسهاب على ان جعله خامس ادلته (توماس الإكويني) في < الخلاصة اللاهوتية > ، وسبق في تقريره الاسلاميون بشكل عبقري متفرد تابعهم فيه (الاكويني) وغيره ، (وليام بيلي) نشر كتابه سنة 1802 م المشهور جدا في انجلترا < علم اللاهوت الطبيعي > و ذكر فيه الاستعارة الشهيرة أمثولة الساعة أي شبّه فيه الكون بالساعة، فلابد من هذه الساعة الدقيقة المتآزرة المتكافلة الاجزاء المتعاونة التي تحكي غائيّة وقصدية وهدفية لابد لها من مُصمِّم هادف عاقل وحكيم وقدير، ذلك كان مثال من امثلة برهان النظم او الدليل الغائي او العناية ..

المقدمة الصغرى حسيِّة، يتكفّى الحس بتمويلنا بها، لابد ان تكون حسية، لكن هل يؤثر كون مقدمة برهان النظم الصغرى حسيّةً على طبيعة البرهان كما سقط سقوطا مدوياً (ديفيد هيوم) في كتابه العظيم < محاورات في الدين الطبيعي> ؟ سقط الرجل!.. ظن ان هذا الدليل هو من الادلة التي تنتمي الى الحس يمكن ان يتعاطى العلم الطبيعي معه.. وهذا غير صحيح، هو دليل عقلي محض، هنا (هيوم) لم يفهم الحقيقة، لم يكن متمكنا من الفلسفة العقلية. مقمة الدليل الصغرى حسيــّة كما تشاهد انت الساعة مصنوعة وهي صناعة بشرية أنت تشاهد صناعة طبيعية، لن نقول الان الهية حتى نكون محايدين، الان هل هذه الصناعة الطبيعية تُعزى الى الطبيعة بذاتها و إن تسلسلت اسبابها، أو الى شيء خارج الطبيعة الى الله تبارك وتعالى، هذه هي التي يتكفل بها برهان النظم بالجواب عنها، لكن هذه المقدمة حسية، ارى في هذا الجهاز، في هذه الخلية، في العضو، في حركة الكواكب، في النجوم في أي شيء في الكون، ارى فيه نظما تصميما، لذلك العلم هنا يتدخل، فهو يزودنا بشواهد كثيرة يُمكن ان تُتخذ صغرى هذا البرهان، علم وظائف الاعضاء.. علم النّسج.. علم التشريح.. في علم الفلك.. في الكيمياء ..الفيزياء.. مقدمات كثيرة جدا نأخذها وهي كلها حسية.. ماذا تقول المقدمة الصغرى الحسية؟ تقول: "هــذا الشيء منظّم" . فقط . لكن تقوله بطريقتها، بعد ذلك مقدمة عقليــة محض ليست حسية، وكل منظّم لابد له من منظِّم. لماذا ؟ . هذه المقدمة لماذا

نقول أنها مقدمة عقلية فلسفية ليست منطقية؛ لأن مفهوم العلّيّة من مفاهيم الفلسفية، من المعقولات الثانية الفلسفية، ليس مفهوما ماهَوِيّاً.

المقدمة الوسطى هي التي تتمثل في الشيء الذي يتكرر ويربط بين المقدمة الصغرى والمقدمة الكبرى، النظام يعني، وكل نظام لابد له من منظِّم، واذا كان ذلك كذلك لابد ان نصير الى استخلاص النتيجة، اذن لابد ان نحدد منظّما لهذا الشيء المنظّم .. لابد ان يكون له منظِّم، ويصير البحث في هذ المنظِّم!.. كيف؟ من هو المنظِّم؟ يمكن ان تكون الطبيعة منظِّماً؟ الصدفة ممكن ان تكون منظما؟.. سوف نرى ونختبر، والمنظِّم هو الله تبارك وتعالى، هذا الذي ينتهي اليه برهان النظم، يقول لك المنظِّم هو الله، لماذا هو الله؟ لم ليس الطبيعة؟ لم ليس الصدفة؟. هـذا الذي يتكفل برهان النظم بالجـواب عنه !. وتلك كانت الفكرة العامة عن برهان النظم وأهم ماانتهينا اليه من هذا العرض الموجز هو ان برهان النظم برهان عقلي وليس برهانا حسيا، مع انه يتوسل في صغراه معطيات حسية، هذا لايؤثر على طبيعته، لأن الكبرى اهم والكبرى مأخوذة من العقل هي مفهوم عقلي، والحكم مؤسّس اصالة على مراعاة فعل وأثر الكبرى، في الصغرى اذا كان البرهان عند كل من درس ابجديات الفلسفة بقول واحد بلا مثنوية : هو برهان عقلي لايسمى برهانا حسيا، والحس هو الذي ادرك به هذا الكوب، هذا اسمه ادراك حسي.. فقط، لكن علاقة لابد لهذا الكوب من صانع، وهذا الصانع عليه ان يكون بصفات كذا وكذا.. هذه كلها مسائل عقلية، لأنها تعتمد على مفهوم اسمه العلّية وهذا مفهوم عقلي محض معقول ثاني فلسفي ليس حسيا – هذه يفهمها أي واحد دارس فلسفة اما الغير دارس سيخلط الامور مع بعضها.

الان نتقدم خطوة الى الامام وهي : المـادي كالمؤلّه كالمؤمن كلاهما يؤمنان بالعلّيّة، يعني المادي لاينفي العلية، بل على العكس، العلم الطبيعي نفسه الامبريقي المادي يقوم على مبدأ العلية على مبدأ فلسفي، وهو يعتبر العلية والفلسفية وهو يبحث عن الاسباب، اذن أيـــن يفترقان؟!. اذا بنتحدّث باللغة الارسطية فقد تحدث عن اربعة انواع من العلل : العلّة المادية، الصورية، الفاعلية، الغائية. يعني هذه المنضدة لها صورة معينة هذه الصورة تسمى عند ارسطو علة صورية أي شكل الشيء، مما صُنعت هذه الطاولة من الخشب (وهذه العلة المادية)، ومن الذي صنعها ؟ النجار (هذه العلة الفاعلية)، لماذا صنعها؟ للأكل عليها او للإلقاء محاضرة مثلا (هذه العلة الغائية)، والعلل الغائية تسبق الصورية قبل ان تاخذ صورتها وتسبق المادية حتى !. وهي أخر شيء يتحقق من بعد العلة الصورية والمادية.

المادي لا يفترق عن الإلهي في الإيمان بالعلل الفاعل او الفاعلية، فكل معلول لابد له من علة، اين يفترقان؟ في مسألتين :

المسألة الأولى تختص بالعلل الفاعلية، المادي يسلسلها الى مالا نهاية، يقول لك هذه العلة معلولة لكذا وهذه معلولة لكذا، وكل علة يكون معلولا باعتبار أخر الى مالا نهاية، توجد مشكلة الان! .. لأننا اذا اخذنا هذه التسلسلية (الى مالا نهاية) عليها سنصطدم بإشكالات علمية، يعني الان مثلا اشهر نظرية في نشوء وخلق الكون التي هي نظرية (الانفجار الكبير) تقول لك هذه النظرية: لا.. لابد للكون من بداية، لاتستطيع ان تسلسل الى مالا نهاية فقد انتهى.. لايوجد بالنسبة لهذه النظرية شيء اسمه الى مالا نهاية.. فمفهوم الـ (الى مالا نهاية) هو مفهوم مجرد، ليس له حقيقة خارجية، العلم يقول هذا ، وهذا يساعد موقف المؤمنين موقف المؤلّهة، ولأن الماديين التفتوا الى هذا الاشكال العلمي فقد طوروا نظريتهم في التفسير، فتنازلوا عن سلسلة العلل الفاعلة الى مالانهاية الى نظرية اخرى تسمى نظرية "خاصية المادة". أي ان الماديين ليست لديهم مشكلة الان، فهذه المادة وهذا الكون بكل مافيه من مادة >نعـم له بداية معينة، لكن المادة نفسها تتصف بخصائص معينة تجعلها قـادرة على ان تُصمِّم انماطا وتصاميم معقدة وتؤدي -في نظرنا نحن ككائنات نسبية - في الآخير اغراضا . ... عجيب!، يعني المادة صارت هي الله (على قولهم) !!.. هل يمكن لخاصية المادة ان تنوب وأن تسد (تفسيريا وتحليليا) مسد فرضية الإله ؟!! هذه معركة طـاحنة بين الإلهيين والماديين سنتعرض لها حين نتعرض لمسألة خاصية المادية ان شاء الله.

والمسألة الثانية في الافتراق بينهما : في العلّة الغائية، المؤله لا يقتصر في ايمانه، يقول : "انا اؤمن و أوقن بالعلة الغائية، بمعنى ان العلة الفاعلية لابد ان تتصف بقدر من الذكاء والفهم والادراك يسمح لها ان تصمم تصاميم، وان تخلق اشياء وأن تبدع موجودات تخدم قصودا وأهدافا معينة." طبعا العلم يقشعر بدنه من الغائية، معركة بين العلم والفلسفة،، العلم لايحب التفسير الغائي وقد تخلى عن النزعة الغائية بالكامل. لكن الغائية مهمة جدا في المنظور اللاهوتي والان في مسألة بحث وجود الله، لئن العلة الفاعلية وجدها لايمكن ان تقدم لنا تبريرا للمصنــــوع الحكيم الهادف الدقيق، الذي يحكي – كما يقول علماء التصميم الذكي او الباحثون – توقيعات او بصمات الذكاء . مثلا: شخص أميّ هلا يصلح بلحاظ القدرة او القوة الذي فيه، انه كإنسان يأخذ قلم و أن يخط احرف وارقاما؟ نعم يصلح ، هل يصلح بلحاظ العلم الذي عنده ان يخط كتابا في المنطق؟ لا يصلح ، اذن العلة الفاعلية وحدها غير كافية في تفسير مانراه من وجود من مصنوعات تحكي ذكاءا تحكي تقديرا تحكي تصميما، لذلك نحن لانفصل ولا نفكك ولا نؤمن بالتفكيك في تفسير ظاهرة الكون وفي وجوده وتعقيداته بين العلة الفاعلية والعلة الغائية، اما المادي يفعل هذا الفصل والتفكيك يكابر او لايكابر هذه مشكلة سنتصدى لها بإذن الله ولا نتسبق الحكم ....

نأتي الان الــى تعريف التصميم او النّظْم او النظام، عموما نظريا لو وقع الانسان في كهف قديم يعود الى خمسين الف سنة خَلَت، وقع على قطعة حجر، فأخذها هكذا وتناولها بيده يراها عشوائية تماما فيلقي بها، وقع نظره الى جانبها على مبعدة خمسة امتار اكثر اقل، على قعطة حجر تقريبا على شكل كتاب مهذبة الاطراف ومنحوتة بشكل مستطيل، ومرقوم عليها رموز اشبه بالكلمات و صور، صورة لثور، صورة لعين انسان ... الخ، هل يجد الانسان نفسه مضطرا ان يفرق بين الحجرين؟ نعم، بالضرورة يفرّق، فالعشوائية الشكل تختلف عن المنحوتة الشكل، ويبدأ يتساءل ازاء الحجرة الثانية من الذي صممها هذا التصميم، متى صُممت هذا التصميم؟ ماعساها هذه الرموز تعني؟! هذا هو الفرق بين التصميم وغير التصميم! .. هذا ليس جوابا سهلا، هذا غير مقبول عند علماء اليوم، لئن مشكلة برهان النظم ومشكلة التصميم الذكي، انه مطالب وخاصة في الربع الاخير في القرن العشرين، ان يضع اصبعنا على معايير و بلاكات محددة، للتمييز بين الشيء المصمم والشيء العشوائي، العلم لايتعامل مع مشاعر ايها الاخوة، ولا مع عبارات شعرية و خطابية، وهذه طبيعة العلم ولهذا تقدّم، فيهتم بـ كيف نعرف بأن هذا مصمم او غير مصمم؟ .. طبعا علماء التصميم قدموا بما يسمى بـ علامات الذكاء، كل شيء يُعد لترجمة لذكاء معين، يقدم لعلامات الذكاء ، لابد ان يكون مصمما، مثل التعقيد المحدد، مثل التعقيد الغير قابل للإختزال.

يٌعرّف علماء الكلام اللاهوت (النظم او التصميم) بـ أركان ثلاثة، اجزاء مختلفة وجود تعدد الأجزاء، النظم لايكون في جزئية واحدة، لكن توجد اجزاء مختلفة بينها ترابط "أي لايُسمح بأن ينقص عددها"، وتناسق"أي انها ليست عشوائية ومنظمة حتى في مكانها"، وتحكي هدفية او غائية او قصدية. هذا هو التصميم او النظم ..

الحلقة السادسة برهان النظم 1

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه
اللهم افتح علينا بالحق وأنت خير الفاتحين..

اكمال للحلقة السابقة:
الوجود تقريبا من الذرة الى المجرة وجود مُصمّم، وهنا طبعا يتدخل الملحد وحتى العلماء يقولون "ان هذا غير صحيح، توجد اشياء مصمّمة وتوجد اشياء كثيرة غير خاضعة لأي تصميم ولاتحكي هدفية ولاغائية،هي اشياء عشوائية كالزلازل البراكين الاعاصير > اهذه تصاميم ؟! هذ مجرد دمار عشوائي عبثي منفلت" وهذه احدى الاعتراضات على برهان التصميم، وهو اعتراض اورده (ديفيد هيوم) في محاورات بشأن اللاهوت الطبيعي .. اوردَ ستة اعتراضات منذ القِدَم وهي حجج تتكرر وهي ليست عبقرية تجلت عنها عبقرية المُحدثين..

فيقول اولئك الماديون واولئك الملاحدة " توجد تصاميم طبيعية.. لامشكلة بهذا .. هذه التصاميم صدفية اتفاقية"، ومعنى الصدفة بإختصار: الصدفة يمكن ان تكون صدفة بالنظر الى الجانب الفاعلي، او صدفة بالنظر الى الجانب الغائي، الصدفة الفاعلية لايقول بها احد ولا الملاحدة ولا مادي يقول بها، لأن الماديين لا ينكرون العلل الفاعلية، بل يحترمونها ويلحظونها، ويطلبونها وبها يُعللون ويفسرون، ويفترقــون عن المؤلّهة في العلل الغائية ! وهذا ليس بالمعنى المعروف للصدفة لكنها ليست تحكي شيئا غائيا وهدفا مسبقا، او مايسميه (ريتشارد داوكنز) - احد المطورين المحدثين وأحد عتاة الملاحدة المعاصرين - بـ صانع الساعات الأعمى ، آلية الانتخاب الطبيعي تصنع نظما كالساعات، لكن هذا الصانع أعمى لأنه ليس عقلا اصلا، هي آلية معينة داروين كشف عنه، (فرانسيسكو إيالا) العالم الحيوي الكبير الشهير يقول: " إن من أبرز واخطر الانجازات التي قدمها لنا (تشارلز داروين) هي انه بيّن لنا كيف ان التصميمات المعقدة التي تؤدي وظائف محددة، ليست معلولة ليست مسببة ليست مصممة عن ذكاء، وإنما جاءت كنتيجة للإصطفاء الطبيعي، في زمانية طويلة".. تفسير الأشياء بآلية الاصطفاء الطبيعي هي احد اعظم وأرسخ اعمدة الإلحاد المعاصر، يعني حتى ماكان يحتج به اللاهوتيون القُرْوسطيون، بأن الصدفة لا تُفسّر هذا ن طريق المراكمة لأن الصدفة كما تُراكِم احتمالات بنّاءة، يمكن ان تأتي باحتمال واحد هدّام يهدم كل هذه التراكمات. لا، الاصطفاء الطبيعي يعرف هذا ويقول لك انا اقول هذا.. هي مُقاربة ليست سهلة، فالاصطفاء الطبيعي لايستبقي الا مايصلح، وكل مالا يصلح ولو في مرحلة معينة يفنيــه!، ويبقى دائما الذي يصلح، وهكذا يحدث التطور ويبقى الامتداد . يعني هذه الحجة اللاهوتية القُروسطية انتهت ايضا. كما يقال مثلا لنفترض أن بين يدينا وعــاءا معينا ولنفترض ان فيه احجارا او كتبا او قطع خشب مرقمة من واحد الى عشرة، لكنها مختلطة، الان كلما قمنا بخض عنيف لهذا الوعاء سيُعاد ترتب هذه الأشياء بداخله، ماهي احتمالية ان تترتب هذه القطع الخشبية بطريقة متسلسلة تصاعديا ؟!. المـادي يقول لك نعم احتمالية موجودة، صحيح ضعيفة جدا لكنها ليست منعدمة، كلما طال الزمان هذه احتمالية تصبح قوية، فاللاهوت القُروسطية قالت نعم ويمكن ان تترتب من واحد الى تسعة، لنفترض عشر ملايين سنة من

الخض المتواصل، لكن بعد ذلك احتمال بخضة واحدة ان ينهدم كل هذا الترتيب ونبدأ من جديد قائم وهو اقوى بكثير من احتمال ان يأتي رقم عشرة فوق رقم تسعة، اقوى بملايين المرات.. وهذا الاعتراض لاينفع مع الانتخاب الطبيعي، قال انا اخذت هذا في الاعتبار، وقل دائما هذا الانتخاب الاعمى يستبعد كل مالا يتكيف كل مالا يصلح، ويستبقي مايصلح باستمرار و زمانية طويلة.

اذن المادي لايؤمن بالصدفة على انها نفيُ للعلة الفاعلية، لكنه يقول بالصدفة والاتفاق كنفي للعلة الغائية ليس للعلة الفاعلية، و يعزُ هذا النظم الى عمل الاتفاق في صدفة زمانية طويلة جدا، يعني السبب هنا هو الصدفة، هو يفسِّر بالصدفة ، او يفسر بالانتخاب الطبيعي، او يفسر بخاصية المادة.. هذه نظرية من اخبث النظريات!. خاصية في المادة انها في زمنية طويلة تنتخب هذه الاشكال تُكوّن التصاميم، واضح انها خاصية ولست محتاج الى فرضية إله مفارق للكون، المادة تفعل هذا وتبرهن هذا! .
لعلكم تنبهتم الى ان اصرار العلماء على تسمية برهان التصميم الذكي لم يقدم شيئا جديدا، لأن برهان النظم كما ذكرناه نحن وكما قرره المتكلمون خاصة الاسلاميون منهم، هو يتضمن بشكل واضح، يقو لك ترابط واتساق وغائية هدفية قصدية، الذكاء حاضر في صلب النظم، يعني هنا لم يقدم مصطلح التصميم الذكي شيئا جديدا!، هو ركز على شيء لم يتنبه له بعض من قرروا هذا البرهان من لاهوتيي اوروبا، اللاهوت الاسلامي تنبه له تمـاما قال لك هذا ركن من الاركان الثلاثة بغيره لايكون نظما.. (ويليام دمسكي) -عالم الرياضيات الشهير والفيلسوف اللاهوتي وصاحب المصطلح المعروف في التعقيد المتخصص Specialist complexity، وصاحب المصطلح (كُلّي او شامل)- يقول: " انا ابحث عن تعقيد متخصص، ومعناها في مثاله الذي يضربه لك: كالحرْفْ أي حرف من الاحرف هو متخصص لكنه ليس معقداً فيراه (دمسكي) ليس نظما ليس تصميما، مثال آخر: كالأحرف المُهوّشة مرتبة وراء بعضها في شكل قطع قطع بحيث لاتفهم منها شيئا، هو تعقيد لكنه ليس متخصصا لايفيد ايا شيء!.. هنا (دِمسكي)يقول لا اتحدث عن التعقيد المحض .. آخر مثال: احرف مرتبة بشكل معين بحيث تكون كلمات وهذه الكلمات تكون جملة مفهومة، يقول عنه (دِمسكي) انه تعقيد متخصص، فيه وظائف معينة فيه معنى فيه دلالة فيه مفهوم وفي نفس الوقت تجده تعقيـد..

الملحد الشهير عالم الفلك (كارل سيقَن) –صاحب (كوزموس)- عنده رواية مشهورة مُثِّلت فيلما وهي < الاتصال Contact < تتحدث عن الـ سي تيCeTI البحث عن الذكاء خارج الأرض. دائما نتلقى اشارات من الفضاء الخارجي، لكنها إشارات إلى الآن على الأقل تؤكد انها اشارات عشوائية ليست لها اية دلالة ومعنى، ويحرص العلماء على تلقيها يهتموا باستقبال أي اشارة تحكي ذكاءا في كواكب اخرى مجرات اخرى عوالم اخرى. في رواية يصوّر لنا: في يوم من الايام استقبل الراصدون (حراس بوابات السماء كما يُقال) اشارات وَضَح انها ذكيّة، وهنا السؤال لماذا ذكية؟. كيف عرفنا انها ذكية؟، ماهو معيار (كارل سيقَن) لجعل الشيء العشوائي الى ذكيا؟.. يعني يحكي تصميما، كإرسال اشارة بطريقة معينة <يسمى تصميم، طبعا (كارل سيقَن) في روايته الخيالية العلمية يقول: " هذه الاشارة كانت عبارة عن اعداد اولية تتكرر بنسق معين، وبين كل عدد وآخر فترة زمنية، تبدأ من 2 الى العدد الاولي 101 بالبع تعرفون الاعداد الاولية انها تقبل القسمة على نفسها وعلى العدد واحد فقط، طبعا فَرِح العلماء والباحثون انه فيه ذكاء خارج الارض، نحن نساءل (كارل سيقَن) لماذا اعتمد هذا النمط لتجعله يحكي تصميما ذكيا؟. لأنه مامن قانون فيزيائي يقضي بأن تكون الاشارات الراديوية على هذه الهيئة!. لكن انتبهوا جيدا ..في البحث عن التصميم الذكي –وهذا ماقاله (دِمسكي)- واحد مهم جدا ألاّ يكون هذا التصميم ضروريا، اذا كان ضروريا لايوجد فيه خيار، فلن يكون تصميما ذكيا، لأنه ان كان تصميما ذكيا < لابد ان يحكي إختيـــارا !، المصمم كان عنده اكثر من

خيار، فكل شيء ضوري لامناص منه لا يكون تصميما ذكياً !. عكس مايعتقده مفكر ساذج صبياني فيقول: لا بل على العكس، التصميم الذكي لابد ان يكون شيئا ضروريا! .. وهذا ليس بصحيح.

فلا يوجد في قوانين الفيزياء شيء ما يجبر على ان الاشارات تكون بهذا النّسَق، وهذه النمطية... او ربما حتى الزمان ايضا محكوم بمتوالية قد تكون عددية او هندسية ..فلايوجد في قوانين الفيزياء مايبرر لنا هذا، فإذا حدث هذا وحصل نعـرف انه يحكي خطة وتصميما !. هذه بصمة ذكاء معين ..فنعرف ان في الفضاء الخارجي خارج المجرة او داخل المجرة ان هناك كائنات ذكية تود ان تتصل بنا وتتواصل معنا، تلك رواية لـ (كارل سيقَن) .
للأسف الشديد هذا الكلام على وضوحه لكنه لا يُشكل مقدمات ملزمة للماديين والملاحدة،يقولون نختلف ونفترق عنكم، نؤمن بالعلل الفاعلية..لمَ تستبعدون ايها المؤمنون و المؤلّهة انه بطريق الصدفة ومحض الاتفاق حاصل كل ماحصل.. مالذي يمنع من هذا؟!
في القرن التاسع عشر، كلب حراسة (تشارلز داروين) – هكذا كانوا يسمونه – عالم الأحياء الكبير (ويليام هاكسلين) كان صديق لداروين ومتعصب جدا لنظرية التطور، ولما قرأها قال: اللعنة!، كيف لم افكر بهذا من قبل!. ثم بدأ يُبشّر بها في كل المحافل، حتى اعاد ترتيب افكاره وخياراته الاخلاقية على ضوء نظرية التطور، على كل حال كان شكوكيا لم يكن ملحدا، فله عبارة ضد الملاحدة بشكل رئيس، قال: " هؤلاء الملاحدة يعتمدون على ادلة طبيعية غير كافية وغير وافية للبَتْ في مسألة لا يُكتفى فيها بمثل هذه الادلة!".. ولذلك هو كان لا أدرياً > وعلى فكرة يُقال ان الذي صك هذا المصطلح لأول مرة هو (توماس هاكسلي). فكان ويليام لا ادريا يقول الله موجود او غير موجود لاادري، فالأدلة غير كافية ولا وافية. ... طبعا هنا الخطأ الفلسفي ايها الاخوة، وتذكروا دائما عبارة أينشتاين (العلمـاء فلاسفة ضعفاَء).. وكما قلتُ لكم ان في الدراسة النفسية ودراسات الابداع، في معظم هذه الدراسات معظم المراجع حتى!، يتأكد دائما ان اذكى البشر هم > الفلاسفة > ، ثم الفنانون، ثم ثالثا هم >العلماء> !!
ولذلك تجد بعض العلماء التطوريين مثل (ستيفين جي قاولْت) صاحب كتاب < صخور الأزمان > هذا الكتاب كله يتحدث عن حل مشكلة - ليست مفارقة وليست لمشكلة معضلة – النزاع بين العلم والدين، هذه أرّقت العقلية الغربية، وهو انتهى بكل بساطة الى حل توفيقي (الرِّوَاق / المجال) – طبعا هذا مصطلح لاهوتي في الأصل والان يستخدم في العلم بمعنى آخر- حل الأروقة المجالات ،، الميادين يعني.. وباختصار يقول هذا الكتاب ان الديـن له مجاله ،، والعـلم له مجاله، وعلى كل منهما ان يحترم مجال الآخر، أما اذا أبى الدين إلا ان يتدخل في رواق العلم، وأبى العلم الا ان يتنطع فـ يَبُتْ في قضايا باحث اللاهوت > قال هنا يحصل الخلط والخبط ولن ننتهي الى نتيجة !. ويبقى الصراع محتدما..
ولماذا ذكرنا في سياق موضوعنا (توماس هاكسلي)؟
لأنه هو صاحب فرضية القرد او مبرهنة القرد، وماذا تقول هذه المبرهنة او الفرضية؟ تقول وبكل بساطة وهي مجرد شعر او خيال محض ليس لها علاقة لا بالعلم ولا بالفلسفة، محض خيال، هلوسة فكرية، فيقول: " انا اعتقد انه لو جلس مجموعة من القرود الذكية الشامبانزي ، على آلة الطباعة وتضرب عشوائيا وبقيت على هذا فترة طويلة، طبعا كلما طالت الفترة كلما عَظُمَ احتمال النجاح .. ونحن نعرف ان الاحتمالات يُعبر عنها بعدد كسري يعني: البسط فيه هو امكان النجاح، والمقام فيه هو عدد المحاولات في اربعين من مية، يعني الاحتمال يكون نهاية اربعة من عشرة، قال انا اظن انه بعد فترة طويلة ليس مستبعدا بالمرة ان نجد هذه القردة وقد تمخّض عن ضربها للآلة العشوائي الغير قاصد الغير واعي الدارك الأعمال الكاملة كأعمال(ويليام شكسبير)".. يعني اعطيني زمنا وعشوائية لانظامية لاهادفة ابدا تعمل..سترى نجاحا.

طبعا الملاحدة يتشبثون بهذا بطريقة او بأخرى، احيانا ليس بهذه الطريقة الفجّة ولكن بطريقة اخرى يؤكدون انهم يؤمنون بقدرة العشوائية في الزمانية الطويلة على انتاج شيء غير عشوائي ومُصمَّم وجميل وقوي جدا..
الآن المجلس القومي البريطاني للفنون والعلوم اراد ان يجرب هذه المبرهنة، قال عندنا امكانيات ليس علينا ان ننتظر عشرة بلايين سنة لكي نرى النتيجة.. وهي تجربة لايمكن ان تصمم اصلا.. كيف تُصمم فلايوجد قرد يعيش عشرة بلايين سنة..كلام فارغ وهذا امر غير قابل للإختبار وبالتالي غير قابل للدحض و للتزييف، لكن المجلس قال نحن ممكن ان نعمل تمثيل لهذه التجربة حاسوبية، لدينا حواسيب الان عملاقة بعض تقوم بعشرات المليارات العمليات الحسابية في ثانية!، فقاموا بهذه التجربة تمثيليا بمجموعة قرود ربما ستة او عشرة، وجعلوها تضرب تمثيليا على لوحة المفاتيح عشوائيا لشهر كامل، بعد هذا الشهر وجدنا صحائف أي خمسين ورقة ملئانة، خمسين ورقة في شهر كامل لم نجد كلمة واحدة تتكون من حرف ! .. أي باللغة الانجليزية حرف A ممكن تكون كلمة اذا كانت مسبوقة بمسافة فارغة، ومتبوعة بمسافة فارغة.. هنا تصبح كلمة، ولدينا 30 مدخل هنا 26 للحروف الابجدية و 4 للرموز، والاحتمال عندنا سيكون هو اننا نريد مثلا كلمة من ثلاثة احرف التي هي مسافة فارغة بعدها حرف A ومسافة فارغة، يعني واحد على ثلاثين ، ثلاثين اُس ثلاثة ، يطلع معنا واحد على سبعة وعشرين ألف، يعني من بين كل سبعة وعشرين ألف محاولة لدينا احتمال واحد فقط محاولة واحدة قد تنجح تفلت ونجد (فراغ A فراغ).. ولكـن حتى هذه النتيجة والاحتمالية لم نجدها في شهر كـامل في تجربة المجلس... فهذا هزّ الثقة بمبرهنة القرد هذه، ولدينا ايضا مبرهنة القرد اللامتناهية أي ادخلوا فيها زمانا لا نهائيا، هنـــا اثبات واقعية وعلمية وإمكان ان يكون هذا الزمان اللانهائي متاحا للتجريب لا تقع على عاتق المؤلّهة، تقع على عاتق العلم، اسألو علماء الكونيات وعلماء الفيزياء الكونية، هل هذا الكون لا نهاية اصلا ؟ هل وُجِد من اللانهاية بلا بداية ويستمر الى مالانهاية؟، ام أن له بداية و نهاية مرشحة له ايضا؟، لمَ حتى الكفر بالعلم ايضا صار؟!.. العلم نفسه حتى لابد ان يُستبعد ولابد ان نكابر عليه ليس الكفر بالفلسفة والعقل... وهذه تُرّهات وكلام لا اساس له من الصحة، انه نوع من الاصرار او كما سماه (بليز باسكال) > ارادة الإلحاد !.. فيه ناس هكذا تفكر ..بالرغم من وجود كل البراهين الا انها تريد ان تلحد .. انتم احرار ماذا بأيدينا ان نفعل!.. لكن نريد ان نتبع العقل نحن ننادي من وراء (مارثن لوثر) كان يقول إلهي اغفرلي ، هذا كل ماعندي. مشيرا الى عقله، كان يقول انا افكر بعقلي،لا استطيع ان افكر خارج عقلي! كما انا الان اقول في مأساتي مع هؤلاء المنغلقين التائهين، لااستطيع ان تحبني في اناس عقلي لايحبهم.. البراهين لاتُحببني فيهم لا استطيع فيا رب اغفر لي فهذا كل مــاعندي! دماغي انا كل ماعندي، اما انتم اذا اردتم ان تفكروا بلا دماغ فأنتم احرار .. انتحروا عقليا ..ليست عندي اية مشاكل فلن انتحر عقليا ،، عندي عقل علي ان اتبّعه.. يـــوم القيامة سيدخل النار كـل من عطّـلَ عقلــهُ عند الله، لا يوجد احد يقول لك انت تأكل وانا بطني ستشبع عنك،، ولكن نحن نرضى بـما يسمى بـ "فكّـِر عني" !. وهذا ماسيدخلك نارجهنم على فكرة !! .. النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وأهل النار خمسة: والضعيف الذي لا زَبْرَ له الذين هم فيكم تبعٌ لايبتغون اهلا ولا مالا .. "الحديث . معنى الحديث ان من اهل النار هم الناس العوام (اللي عليهم عليهم، معاهم معاهم) وليسوا مستفيدون لا ماديا ولا عائد عليه بشيء يستفيد منه، إنما يتبع الكبراء والسادة مهما قالوا مهما كان موقفهم هم متبعون لهم ورائهم ويموتون ويفجرون انفسهم لهم.. مامعنى (لا زَبْرَ له) أي لاعقل له يَـزْبُـرُهُ عن متابعة المبطلين في باطلهم والظالمين في ظلمهم ! ولا يوجد عندنا منطق قالوا اطلق النار فأطلقت ، اعمل فعملت، انا عبد مأمور يارب، ..قال النبي ان هؤلاء من اهل النار !!! في الدين لدينا عقل يرى و يفكر فيميز ويقرر، لم يخلقه لك لتعطّله..أليس ذلك بصحيح؟! وعلى فكرة لو استعملت المخ تجده يستوعب الامور العلمية والفلسفية والقرآن والدب والشعر فيجعلك من ارقى الناس! .. لكنك ان لم تستخدمه فأحببت ان تعيش شبيه بدابة او بهيمة، فيقول الله هذه نعمة كفرتها وجزاء الكفر بها جهنم، فجوهر ماذكره في الحديث ان العبد الضعيف الذي حاله يقول: انا عبد مأمور> هو من اهل جهنم..فلا يوجد عندنا هذا المنطق . نحن المؤمنون نحب ان نفكر بعقولنا ، وينبغي على الملحد ان

يحترم هذه الخاصية، فكّر بعقلك، لاَ تحاول ان تفكر بخارج حدود العقل وخارج حدود العلم، فهذا يُعتبر انتحار لعقلك هو جنون وليس بتفكير! واسمه ايضا عدمية عقلية أي تكفر بعقلك وتكفر بالعلم ومنجزاته لكي تبرهن مالايتبرهن. وهذا هو الإلحاد العجيب .

أتى عَالِم يبدو انه من اصل الماني (جيرالد شرودر) صاحب كتاب < الوجه الخفي لله> - عالم كوني فيزيائي مشهور- وقال انا اريد ان امشي خطوة للأمام، وسآخذ قصيدة لشكسبير ، إنما سأجرى محاسبة لكن هذه المرة ليس على حرف A مسبوقا ومتبوعا بالفراغ وإنما على قصيدة سوناتا، هذه القصيدة مكونة من 488 حرفا، فوجد بعد اجراء المحاسبة انه احتمال ان هذه القرود الذكية المتطورة ان تكتب فقط هذه الـ سوناتا، احتمـال ضعيــف جدا الى درجة تستعصي على التخيل يساوي واحد على عشرة مرفوعة للأُس ستمئة وتسعين ! أي يعني الرقم واحد وامامه 690 صفرا !!.. يأتيك ملحدا مكابرا ويقول: اذن مازال هناك احتمالا وإن كان ضعيفا ! .. فنسأله هل عُمرُ الكون يسمح بهذا ؟! هل المادة في الكون تسمح بهذا ؟! من اين للقرد طاقة ليظل يضرب عشوائيا الى هذا العدد من المرات؟ هل الطاقة في الكون تسمح بهذا؟ فيقول منتحرا عقله: نعم طاقة الكون يسمح بهذا.. > هذا لافاهم في الرياضيات ولا كونيات ولا عارف أي شيء..منتحر عقليا بالفعل! .. أتعرفون الدقائق الصغيرة الذرية كالألكترون والنيوترون والبروتون .. الخ في الكـون كم يبلغ عددها؟ يعني مثلا في رأس هذا القلم مئات الألوف من الذرات وفي كل ذرة – كما توصل اليها العلماء بالتقريب- مئتي دقيقة ! وفي الكون كم تبلغ عدد الدقائق ؟ عشرة أُس 80 دقيقة، كما اجمع عليه العلماء.. نـريد ان نفترض ان المادة في الكون (التي وزنها عشرة أُوس 58 كيلو غرام، هذا وزن المادة في كل الكون) لو حولنا كل هذه المادة الى رقائق حاسوبية وكل رقاقة منها تزن واحد على مليون مل غرام، يعني في كيلو لدينا مليار دقيقة، والان كل دقيقة بمثابة قرد يضرب عشوائيا على لوحة المفاتيح بمعدل مليون ضربة في الثانية، وننظر في عمر الكون ستظل القردة تضرب 13,7,000 000 000 سنة وليس شهرا كما جربها لمجلس البريطاني!.. الكومبيوتر يعينه على إجراء هذه الحوسبات العملاقة، والنتيجة ستكون لدينا عدد المحاولات، اتعرف كم محاولة؟ انها عشرة أُس تسعين محاولة فقـط! بالرغم من كل هذا الزمان وأعداد تلك الرقائق التي تضرب المحاولات ومليون ضربة في الثانية ..! انها عدد المحاولات فقط وليست امكانية النجاح، فَلكي احصل على عدد المحاولات المطلوبة هذه (عشرة أُس 690 محاولة) يعني بقي لي 600 محاولة، وبمعنى آخر أنني اريد كونا أوسع من كوننا هذا وتتحول كل المادة فيه الى كما ذكرنا سابقا .. سـتمئة مـرة ، احتاج الى ستمئة كون، او كونا واحد لكن يطول عمره ستمئة مرة.. يعني 13,7,000 000 000 × 600 سنة!! وفي الأخير ليصبح عندي عشرة أُس 690 محاولة، والاحتمال ان تنجح المحاولة هي : واحد فقط !! .. الله اكبر، شيء يقشعر بدنك، وليس الامر يتعلق بخلق الانسان ولاشيء بروتيني..لا لا، انها قصيدة سوناتا تحتوي على 488 حرفا فقط !!!.. يأتيك احدهم يقول لك: لكن هذا لايساوي الصفر. نعم؟!.. مامعنى الصّفر عندك؟.. في نظري انا ارى هذا العدد الاحتمالي دون الصفر بلايين بلايين المرات. لذلك علماء الرياضيات قالو اذا اردت ان تضع احتمال متناهي الضآلة يساوي الصفر، اتعرفون ماهو؟ انه واحد على عشرة أُس 150 .. هذا صِفر انتهى . و الواحد على عشرة أُس 160 ؟ .. هنا دخلنا بالسالب أي مادون الصفر! . لا تقول لي: لكني الان اراه واَحد على الأقل . ههههه وهل رأيت هذا الاحتمال الواحد؟!.. انك تراه على الورقة فقط، في الكون فانت لن تراه في آلاف آلاف مليارات السنين وفي مليارات مليارات مليارات المحاولات .. ولن تـراه ! أغرّك انك رأيته على الورق رقم واحد ؟!!!! ليــس له وجود، كلام خيالي انه وجود رمزي عدمي.. لذلك (هاكسلي) انتهى بمبرهنته هذه عن القردة.

للك (انطونيو فلو) قال لما وقفت على هذه المحاسبة اخبرت (جيرالد شرودر) بالقول: " إن مبرهنة القرد مجرد كومٌ من النفايـات !". وهذا ماحمل (انطونيو فلو) على ان يؤمن بعد ثمانيـن سنة من التنظير للإلحـاد، وكتابة الكتب والمحاضرات بالعشرات بل بالمئات في الإلحاد حول العالم، والرجل انتهى الى الايمان! .. انها آيات الله في الخلق.

(دمسكي) هو أتى بمفهوم عتبة احتمالية معينة ندخل بعدها في العَدَم، حدده بـ واحد على عشرة أُس 150 سمّاه < universal probability pound > يعني نستطيع ان نقول حد الاحتمالية الشمولية العامة، بمعنى أي شيء احتمال وقوعه واحد على عشرة أُس 49 سيظل في حيّز الامكان، في تاريخ الكون هذا ممكن ان يحصل ولو مرة واحدة .. أي شيء احتمال وقوعه واحد على عشرة أُس 150 أو أزيَد من هذا، فهو مستحيـــــــل ان يقع وغير متصوَّر الوقوع، و عشرة أُس – 150 تساوي الصفر عندي.. لمَ قال (دمسكي) ذلك؟ .. سنرى ..
قال (دمسكي) اذا اردنا ان نعد الدقائق الذرية في الكون، نجد انها عشرة أُس 80 دقيقة، ثـانيا معدل الحد الاقصى ايها الاخوة للتحولات والعمليات التي تحدث في كل ثانية في هذا الكون هو عشرة أُس 45 في الثانية على مستوى الكون وهذا عدد مخيف!. لمَ هو عشرة أُس 45؟ لئن هذا معكوس زمن بلانك، اصغر شيء ممكن تتخيله هو وقت زمان بلانك، فقال نحن نعمل معكوسه، فأكثر عدد متخيل وليس بشرط ان واقعي، لكن لو افترضنا خياليا نأخذ أي شيء ممكن ان يقع في دائرة الوجود، بالاحتمال الضعيف جدا جدا جدا، فاحتمالية وقوعه لن يحدث مطلقا. ثـالثا، لدينا عشرة أُس 25 ، نريد ان نرى طول عمر الكون اطول من المعروف بـ عشرة أُس 25 مليار مرة، فالك اضرب عشرة أُس 80 بـ عشرة أُس 45 بـ عشرة أُس 25 = ستكون النتيجة عندي عشرة أُس 150 قال أي احداث ممـكن تقع مهما كانت صغيرة وبسيطة وحقيرة في الكون كله لا يـوجد احتمال لحدوثها بعد هذا الحد (عشرة أُس 150) ، الكون لاتسمح بهذا أي حدث مهما كان صغيرا وليس الحديث عن تكون جسم الانسان او بمئة التريليون خلية، وكل خلية كـون بحد ذاته وعـالم من التصاميم الذكية.. اذا اردتَ ان تتكلم بمنطق العلم، هذا منطق العلم، منطق المحاسبات، وليس بمنطق ارادة الإلحاد، اريد ان اُلحِد هكذا بالقوة! وتبدأ تأتيني بـ (دواكنز) و < وهم الإله > و (داروين) .. الخ ..لايهمنا ذلك فنحن نتحدث باللغة الرياضية كما تحدث بها المتخصصون فيها .
فاحفظوا هذا : حد الاحتمالية الشاملة هو عشرة أُس – 150 وهذا يساوي صفرا فكل شيء بعده اقل من صفر ، فـ عشرة أُس – 190 < شيء مرعب في عدميته في تأبِّيه على التصور شيء لا يُتخَيّل !!!! يُكتب هكذا ويُقال، لكن يمكن ان يتخيل ذلك ولو بأي طريقة من الطرق، لايسمح بهذا لا موارد الكون لا طاقته لا زَمَنُه لا طوله لا عرضه ولااَاَ شيء يسمح بتصوره على الاطلاق، فضلا عن ان نفسِّر به نشوء الحياة، والحياة العاقلة الذكية والحياة الباحثة عن الله، والحياة الباحثة في المجردات وهكذا ... قال تعالى: } قُتِل الإنسان ما أكفره { .
بعض العلماء ايضا كانت لهم محاولات اخرى، بعضهم قال نريد ان نرى قردة (هاكسلي) هذه تكتب عشوائية رواية لـ (هلمام ملْفيل)، رواية رائعة ومن اطول الروايات، او رواية اخرى، او تكتب الـ <KJB> الكتاب المقدس نسخة الملك جيمس، <KJB> هذه تتكون من تقريبا اربعة ملايين حرف، فقالوا سنأخذ 26 حرفا من دون مسافة الفراغ، لكي تضرب عليها القردة عشوائيةً على لوحة المفاتيح، سنقول انها تساوي 26 مرفوعة للأس4,855,063 تكون النتيجة رقم مذهل ومخيف: ثلاثة فاصلة ثمانية من عشرة × عشرة مرفوعة للأُس 5032323 . يعني بتكون النتيجة : واحد على ثلاثة فاصلة ثمانية من عشرة × عشرة مرفوعة للأُس 5032323 .. ليس خلق الإنسان بالصدفة ويتطور لا، خلق هذا النص فقط معدوم احتماليته، ومن الاكثر تعقيدا؟ الإنجيل ام الانسان ؟! ..
العلم الرياضيات او الحوسبة يتحدث ايها الاخوة .. وليس الاوهام والشعر والخطابات والوعظيات .. انه العلم، على الإلحاد هنا ان يحترم نفسه و أن يلزم حدوده، لا يتكلم بإسم العلم وكذا وهو لايحترم مقررات العلم .

نكتفي بهذه الحلقة على ان نلقاكم في الحلقات المقبلة بإذن الله تعالى والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته ..

الحلقة السابعة برهان النظم 2

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه
اللهم افتح علينا بالحق وأنت خير الفاتحين..
اخواني اخواتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لم اكمل ماوددت ان اقوله في نهاية الحلقة السابقة وهي: اني لـن أتورّط في هذا التوقيت من هذه السلسلة مع الملاحـدة ونصرائهم بأن اناقش كيفية تكوّن بعض النظم المصممة وادخل في نقاش مع التطوّريين واحتمالية ذلك وامكانيته، لالالا .. انا سأبدا من البداية الصحيحة، سأبدأ من الكون نفسه ،، اكبر منظومة على الاطلاق وأهول منظومة هي الكون، لأنه مبدأ الانتخاب الطبيعي المفروض لايعمل في الكونيات الا بتدعيم متكلّف، فضلا ان يعمل في ام مسائل الكونيات وهي مسألة نشوء الكون نفسه، لايوجد ابدا مجال للإختيار والاصطفاء، يوجد لدي كون تكوّن بطريقة الانفجار العظيم.
واعتقد انه أي مثقف بسيط وعادي عنده فكرة مبدئية عن نظرية الانفجار الكبير، كيف كان الكون كله قبل 13,7,000 000 000 ثلاثة عشر فاصل سبعة مليار سنة مضغوطا في الشـُذَيْذَة او المتفردة، حيث كانت القوى الاربع: القوة الجاذبية، والقوة الكهرومغناطيسية، والقوة النووية الضعيفة، والنووية القوية، كلها كانت بمثابة شيء واحد غير متميز في حيـِز اصغر من البروتون ملايين ملايين المرات على ما اذكر انه عشرة اُس -32 من متر تقريبا، شيء مذهل في صغره بعضهم وصفه بالعدم. في ظـروف معينة حصل هذا الانفجار الرهيب، والان بدأ الكون يتمدد بسرعة هائلة في جميع الاتجاهات، لم يكن هناك فراغات اصلا، يُخلق الاتجاه ويُخلَق الزمان حتى بهذا الانفجار هكذا، وعلى كل حال الزمان والحيِّز هي مفاهيم بُعدِية أي لا يُبحث عنها كأجزاء في الكون.. انتبهوا، وكما ذكرت لكم ان مكمن الصعوبة في المسائل الفلسفية في تصويرها، بعكس المسائل الرياضية فإذا صوّرت المسألة الفلسفية بشكل دقيق وصحيح، يسهُل حلها والعكس صحيح.. اذا لم تصورها ولم تتصورها بشكل دقيق يصعب حلها ويظل يتكرر السؤال لأن التصوير خاطيء، بمعنى الى اليوم قد نقع على علماء كبار مشاهير حول العالم ويقولوا لك نحن لم نجدِ الله تحت المايكروسكوب، لم نُحسّهُ لم نمسّه، كيف نؤمن بشيء لم نجربه! .. عجيـب! ومن قال لك اصلا ان الله الذي يُبحث في مسألة وجوده من عدمها يُبحث عنه في عرض اشياء الكون؟! أي فيلسوف إلهي طرح المسألة بهذه الطريقة؟! أقول له يا سيدي العالم الكبير حتى و إن كان من حَمَلَة جائزة نوبل: ابحث لي بالله عليك بنفس الطريقة عن الزمن ؟!! نريد ان نضبط الزمان متلبسا تحت التليسكوب او المايكروسكوب او بأي وسيلة، الزمـان ولا المكان يمكن البحث عنهما في عرض الاشياء الطبيعية، يعني كشيء من اشياء الطبيعة، كجزء من أجزاء الطبيعة.. أي عالم فيزيائي يفهم هذا جيدا.. أما الزمان وأما المكان فيُنظر اليها على انهما بـُعدان يوجدان في الاشياء ومع الاشياء وتحيطان بالاشياء، هذا بُعْد ليس شيئا! كذلك البحث عن الله لايُبحث عنه لا كشيء ولا كبعد، لـكن كوجـود محيط بكل شيء و بكل بعد (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) (وهو معكم أينما كنتم) نريد ان نبحث نحن كإلهيين عن الله لكن وفق مفهوم محدد عن الله، لانريد ان نمسخ ونختزل للإله بحيث يُصور انه شيء من اشياء الطبيعة، ثم اذا فشلنا بعد ذلك في العثور عليه ووضع الاصبع عليه نقول: "آه العلم قد فشل.. الله ليس موجودا!

..." ماهذه الحماقة؟! من قال لك هذا؟ هذا لايصلح في البحث عن الزمان فكيف يصلح في البحث عن رب الزمان؟!!! .. هذه مشكلة الضعف الفلسفي عند العلماء للأسف الشديد، عالم كبير يتورط في حماقة فلسفية كهذه ! لأنه لم يدرس الفلسفة ولم يفهم حتى كيف تُصاغ المفاهيم الفلسفية.. او حتى الروح يُبحث عنها كشيء! عن نفسي انا أؤمن بالروح كأفق للمعنى افق للقيمة.

بدأ الكون يتوسع بشكل سريع جدا في جميع الاتجاهات.. الان يخضع الكون في توسعه وتوازنه لفعل و أثر قوتين متضادتين، قوة التمدد بفعل قوة الانفجار، وقوة الانكماش بفعل قوة الجاذبية، لكن الكون لا يزال يتمدد ونشأت المجرات السُدُم الكواكب النجوم مذنبات .. الخ الكون كما نعرفه وهو كون قابل للدراسة وقابل لئن يُفهم، ويُختبر بمعنى من معاني الاختبار، و الى الان هو كون متوازن ولا يزال يتوسع بدليل الـ (red shift) الإزاحة نحو الاحمر في المطياف، اذن هو يتوسع. يقول العلماء ومنهم العالم الشهير (بول ديفيس) لديه كتاب <سوبر فورس القوة الفائقة>، يقول فيه: " الكون متوازن ولا يزال يتوسع تحت تاثير قوتين (قوة الانفجار وقوة الجاذبية)، لكن هذا التاثير متوازن وهو الذي يعطي للكون امكانية ان يظل يتوسع بهذه الطريقة المعقولة والمفهومة، كان يمكن لهذا الكون ان ينهار على نفسه مرة ثانية ، تحت تأثير غلَبَة الجاذبية على قوة الانفجار، او يتـلاشى الكون، أي يتوسع بمعدل اسرعبحيث يكون ربما تلاشي من ملايين او ربما حتى من بلايين السنين، لكن الكون موجود ونحن نرصده ونراقبه"، اذن فيه توازن دقيق.

يقول (بول ديفيس): "لو اختل هذا التوازن بأكثر من عشرة مرفوعة للأُس السالب -18 ثانية، (يعني بجزء من مليون تريليون جزء من الثانية)اسراعا او ابطاءا، إما ان ينهار على نفسه هذا الكون أو إما ان يتلاشى" بهذا المقدار؟!! ليس بمقدار ثانية بل جزء من مليون التريليون من الثانية > ينعدم الكون ! .. وقالك منذ البداية الى اليوم، واستدلى غيره يقول مؤكدا كلامه: "وكلما طال الزمان والكون يتمدد زادت دقة ورهافة هذا التوازن! .

(ستيفن هوكينق) وهذا مشهور اكثر من (بول ديفيس)، له كتاب <تاريخ موجز للزمان> يقول :"لو كان معدل التمدد بعد ثانية واحدة من الانفجار، أي بمعدل جزء من مئة مليون التريليون جزء من الثانية<لإنهار الكون على نفسه قبل ان يصل الى حجمه الحالي". ولايزال هناك ماهو اعجب من هذا، صديق (ستيفن هوكينق) هو (روجر بنروز) فيزيائي ورياضياتي كبير انجليزي، لديه كتاب اسمه <اباطرة العقل الحديث> يقول فيه، درس فيه مقدار الاحتمال ان يكون جاء هذا الكون صدفة، ظهرت الحياة جاء الانسان بالصدفة، ويكون هذا الاحتمال بمقدار واحد على عشرة مرفوعة لعشرة مرفوعة لـأس 123 ، القوقول 100، ولدينا 23 صفر، والكونتيليون 18، ولدينا 5 مئة ألف، يعني واحد على عشرة مرفوعة الى عشرة مرفوعة لأُس مئة ألف كونتيليون قوقول ! .. لاااا يمكن تخيّـل هـذا الرقم !! لو ذهبت تكتب على كل دقيقة (اليكترون،نيوترون،..الخ) في الكون تكتب صفرا، اتعتقد انك ستنتهي؟! ماستكتبه عشرة أُس 8 . معناها انه لو مثلا: رب العالمين كلّفَ انسانا احمقاً وقال له لن ادخلك الجنة ولا النار الا اذا نجحت في هذا الاختبار، فأجاب الاحمق ماهو الاختبار؟ ان تكتب هذا الرقم بالطريقة العادية (الواحد وأمامه الاصفار)، فقال الاحمق: هذه سهلة، فذهب المسكين ليكتبها، فلو عاش بلايين بلايين بلايين بلايين السنوات لـن يفرغ من كتابة هذه الاصفار!..وستكون جهنم ارحم له من ان يواصل هذا العمل!. وتبسيطا للناس الذين لم يسمعوا بهذه الارقام والامور الحاسبية المحيّرة، عندما نقول عشر أُس 3 معناها: ألف، واحد وامامه ثلاثة اصفار. .. و عشرة أُس 6 < أي مليون، و عشرة أُس 12 < أي تريليون، واحد و أمامه اثناعشر صفرا، و عشرة أُس 18 < كونتيليون، واحد وأمامه ثمانية عشر صفرا، و عشرة أُس 100 < القوقول.. (وقصة القوقل: هو عالم رياضيات امريكي فكر في هذا الرقم < واحد وأمامه مئة صفر، ماذا يسميه، فذهب الى ابن اخته الصغير وناداه: فسأله لدينا واحد وأمامه مئة صفر ماذا نسميه، فأجاب الطفل الصغير الذي مازال صغيرا لايستطيع الكلام بوضوح: قوقو ، فأعجبته الكلمة فاستخدمها كـ

قوقول لهذا الرقم!). والآن: عشرة أُس عشرة أُس 6 كيف تقرأها هذه؟ عشرة مرفوعة للأُس مليون، فالرقم يعني: واحد وأمامه مليون صفر، ولن تنتهي من كتابة الرقم. سنكبر الرقم قليلا كـ عشرة مرفوعة للعشرة أُس 9 ؟ أي تعني عشرة أُس مليار، أي ستكتب واحد وأمامه مليـار صفر !! والتريليون تعني واحد وأمامه تريليون صفر ، وعشرة أُس عشرة أُس قوقول، أي عشرة مرفوعة للعشرة أُس 100 ؟ أي ستكتب الرقم: واحد و أمامه قوقل صفر وليس تريليون صفر !. فهنـا مقدار الاحتمال الذي ذكره (روجر بنروز) في نشوء الكون والحياة فيه صدفةً هو مئة ألف كونتيليون قوقول، معناها أن واحد على عشرة أُس 690 اصبح لا شيء ، ومقارنة بهذا مع عشرة أُس 150 فهذا الأخير أهون بكثير . فهو صفر واحتمال حدوثه لاشيء، فمابالك بـ مئة ألف كونتيليون قوقول؟! اذن فلاتوجد ادنى احتمالية لحدوث أي شيء .

نشأة الكون وكيف نشأ، والشروط اللازمة لاستبقاء التوازن لكي تنشأ المنظومات وتنشأ الحياة، وينشأ الانسان والذكاء الانساني والرّصد، وتقوم هذه العلوم والمحاسبات، كـل هذا ياإخواني نشأ مرة واحدة، وعلى الاقل فيه مسار يُعرَف بهذا الكون في كوننا، لم يحدث هذا مئة بليون مرة وفي آلية عظمى هائلة اسمها الانتخاب الكوني مثلا، ابدا فقد حث هذا مرة واحدة وبطريقة واحدة.. اين دور الصدفة.. اين دور العشوائية.. اين دور المراكمات ؟! لاهذا ولا هذا ولا هذا . لاتتورطوا في نقاش أي ملحد تطوري بأن تناقشوا امكانية انبثاق تصميم صغير، على مستوى خَلَوي او مستوى برتيني او كذا بالصدفة في مدى عمر الكون، لاتتورطوا في هذا، و قل له قبل هذا انا سأناقش عن الكون كله لا في انتخاب ولا غير انتخاب، لمرة واحدة حصل هذا .. وكيف حصل هذا ..

للأسف توجد اشكالات طرحوها، وهي ترداد عصري سبق وطرحها (ديفيد هيوم) الذي كان اذكى من طرحها ونسّقها آنذاك في كتابه الكبير <محاورات بخصوص الدين الطبيعي>. مـاهي الاعتراضات التي تقدم بها الرجل؟ .. هي ستة اعتراضات اثنــان منها فقط يتعلقان ببرهان التصميم اوالنظم، والاربع الاخرى لا علاقة لها بالبرهان، وهذا يؤكد ايضا تهوّش فكر الفلاسفة،

ولذلك قبل عرضنا لإعتراضاته لابد لنا من ايضاحات حول برهان النظم، كما ذكرنا سابق: ان برهان النظم ليس تجريبيا ولا تمثيليا، ليس برهانا حسيا، ليس برهانا استقرائيا، هو برهان عقلي محض، وكما نعلاف انه من اساليب الاستدلال هي التمثيل الذي يسمى بلغة الفقهاء والاصوليون بالقياس، ويسميه المناطقة بالتمثيل، ماهو التمثيل باختصار : هو تعدية حكم فرد او جزئية مفردة الى جزئية اخرى بجامع الاشتراك في العلّة. مثال: ان المشترك في تحريم اواع الخمر هو العلة وهي الإسكار، وبطرق استنباط العلة وجدنا ان العلة الشرعية تحريم خمر العنب هي الإسكار، وقد وُجِدَت وقد حققنا من وجود هذه العلة في خمر التفاح > فيصبح محرما .. وهذا اسمه بلغة المنطق "قياس تمثيلي" والغالب يسموه القياس.

ثانيا بعد التمثيل لدينا الاستقراء، وتعني الاستقراء: أي تصفح جزئيات كثيرة للخروج منها بحكم يعمها، كما ان هناك استقراء ناقص واستقراء تام، والاستقراء التام مختلف حتى في استقرائيته، كأن اختبر هذه القطعة من الحديد ارها تتمدد بالحرارة وتنكش بالبرودة، قد يكون لعلة خاصة بها، اختبر القطعة الثانية الثالثة الرابعة المئة قطع لانهاية لها تقريبا ، لكن اجد خفس الشيء ان الحديد يتمدد بالحرارة و ينكش بالبرودة . قد أُعدّي هذه التجربة الى المعادن عموما، أي سأختبرك غير الحديد والعشرات منه، وغير الرصاص ، وغير النحاس، وغير كذا وكذا، ثم اقول المعادن بشكل عام.. هذا الاستقراء

اما التجربة فهي معروفة لن نشرحها، لكن في التجربة لابد من السنخية، لابد من اتحاد طبيعة الأشياء المجربة تماما. برهان النظم هذا ليــس استقراءا ولا تجريبا ولا تمثيلا، لأنه كما شرحنا سابقا انه برهان عقلي، مالفرق بين التمثيل او الاستقراء او التجربة وبين البرهان العقلي ؟.. أن البرهان العقلي عُلوّهُ و اهتمامه بالشيء في ذاته، مباشرة يذهب اليه مرة واحدة، بمعنى ان برهان النظم مثلا يهتم بأن هذا الشيء المنظم > لابد ان يكون له منظّم، بغض النظر عن

طبيعة التنظيفي، وحتى بغض النظر عن طبيعة المنظِم وكامل صفاته ومشخّصاته، المهم أن الشيء المنظّم لابد ان يكون له منظِّم، الشيء المصنوع لابد ان يكون له صانع، لأن العقل هنا يلاحظ مبدأ العلّية قانون العلّية، مباشرة يلتفت > اليه يطبِّقه > يحكم به !. وهذه مسألة ليست تجريبية ولا تحتاج الى تجربة، وليست مسألة حسية وان كانت المقدمة الصغرى حسية، لكن جوهره عقلي في المقدمة الكبرى ثم الحكم !.
نبّه العلماء الى وعلى وأن برهان النظم لايُحتاجُ في اثباته الى تصفح كل موجودات الكون، مجرد تصفح بعض هذه الموجودات، و وجدان انها تمثل مقدمات لبرهان النظم مقدمات صغرى ، فهو يكفي في اثبات صدقية واعتبار هذا البرهان، ومثلوا له بمثال معقول جدا.. قيل: دخلت على مكتبة من تأليف شخص معين، قيل لك هاهنا سبعون كتابا، كلها منسوبة الى شخص معين، وانت لم تسمع بهذا الشخص من قبل، فأخذت كتابا وتصفحته، وجدته مبوّباً حسن التبويب، مفصل فصولا، له مقدمة قرأتها مرتبة تماما، تذكر عن الباعث على التأليف الهف منه، المنهج المتبع في دراسة مسائله، قرأتَ شيئا في بعض الفصول التابع لبعض الأبواب في الكتاب، وجدت احتجاجا قويا تنسيقا للحجج .. الخ، هذا يدل مباشرة الى ان صاحب هذه الكتب رجـل فيلسوف ذو عقل منظم وعقل جبار وذكاء وقريحة، يكفي ام لايكفي؟.. يكفي فكيف لو تصفحت كتابين ثلاث او اربع ؟! يكفي ذلك انه رجل عاقل وفي اعلى طبقات العقل والتفكير، كذلك قال المتكلمون يكفي فقط ان نقف على بعض النظم، بعض التصاميم في الطبيعة والكون، آية آيتين ثلاث.. يكفي، وهذا الذي ذكره علماؤنا قبل مئات السنين ونبهوا عليه ، للأسف يتورط ويتخوّض الملاحدة المعاصرون في جعله شبهة و ارادة، كما يقولون:"نحن تصفحنا بعض الاشياء ولم نتصفح كل شيء في الكون، مايدرينا؟ لعل الذي لم نتصفحه ..." > ان هؤلاء حتى لا يفهمون مبادىء الاستدلال!.
ذكرتُ لكم ان هذا البرهان من البراهين السهلة والواضحة التي تناسب العلماء والاخصائيين بل وحتى العـامة، ولهذا القرآن الكريم لم يزل يُظهر العناية الزائدة به!، حين يوجّه النظر .. (افلا ينظرون ..) (افلا ينظر الانسان ..) (وفي الأرض آيات ..) كــل البراهين الآيوية تتحدث عن برهان النظم تقريبا، او معظمها على الاطلاق.. قرآن اعتني به مالم يعتنِ بغيره بحمد الله تبارك وتعالى. يأتينا شخص يقول: " لكن هذا البرهان لايناسب خطة القرآن وهدفه التوحيدي في علم التوحيد، العرب انفسهم كانوا يؤمنون بالله كخالق، لكن لايؤمنون بتوحيده في العبادة في الألوهة!" .. لا ياسيدي، نحن سنزيد عادة، وهنا نفترق كمتكلمين اسلاميين او فلاسفة اسلاميين، نفترق عن اصحاب نظرية التصميم الذكي، هم يقولون: الذي يقع على عاتق برهان التصميم الذكي فقط هو اثبات او برهنة او التدليل على ان كل نظام لابد له من منظِّم فقط، وجود الله فقط، اما ماعدا ذلك فنحن نفترق معهم. وهذا كلام غير حيح وغير دقيق، وأنتم تحدثتم عن علامات الذكاء. نحن نقول – وهذا البرهان الآيوي يعني دلالة الآية على ذي الآية وهو مَدٌ لبرهان النظم– كما قبل قليل عرفت من اثر يُنسب لرجل اسمه ابن سينا (مثلا) لم يسمع به ابدا من قبل وقلت هذا الرجل عاقل وهو فيلسوف، من اين عرفت هذا ؟ من آثاره انها قطعة من نظم عقله، فأنت عرفت ليس فقط وجود الصانع، بل استعت ان تستدل ببعض خصائص المصنوع على بعض خصائص الصانع وليس على كل خصائصه! . واضح من نظرية الانفجار الكبير أن صانع هذا الكون ومفجر هذه المفردة قديــر، عليم، دقيق جدا أي حكيــم، وخلق الانسان (حن خلقناكم فلولا تصدقون (57)) .
بعض المتكلمين المعاصرين وحتى القدماء خـلطوا بين برهان النظم وبين برهان الهداية، مع ان القرآن عَرَضَ انهما برهانان متمايزان وإن كانا متكافلين، طبعا لاهداية الا بنظم اصلا، والهداية فرع النظم، قال تعالى: } الذي خلقني فهو يهدين { }سبِّح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوّى { ، خلق فسوّى = النظم. ونصــحتي للعالمين ليس للمسلمين فحسب > من اراد ان يستمع الى اله خالق الوجود ان كان يؤمن به او كان مازال يريد تصورا حوله، فاليستمع الى القرآن كيف يعرِّف الله بنفسه، اترك الكلام الفارغ المذكور عن الله.. الإله متجسد في شكل بشر في شكل انثى في شكل ... الخ من كلام فارغ، استمع الى الله الحق يتحث عن نفسه: }وخلق كل شيء فقدّرَهُ تقديرا{، } إنا كل

شيء خلقناه بِقَدَر {، فكل شيء مقدّر تقديرا، سبّح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى {، فهدى > هذا برهان الهداية،لكي نستفيد من هذا الايضاح حول برهان الهداية: كفرق بينه وبين برهان النظم ان هذا الاخير يتعلق بـ البنية، اما برهان الهداية يتحدث بالمسار ، بالفاعلية كيف تفعل هذا، كيف تحقق الاهداف بعد ذلك، بل وكيف تتكيف مع البيئة م الشروط مع الظروف، هنا يُفسح برهان الهداية بعد برهان النظم المجال للإصطفاء الطبيعي الدارويني،

(ستيفين جي قولت) في كتابه < إبهام الباندا > - وهو امريكي يهودي، لكنه يؤمن ان للدين مجاله وللعلم مجاله لكنه تطوّري على فكرة، وله مقاربات جديدة في التطور لايرضاها المتطورون الاخرون! – يقول: " الباندا قبل ألوف السنين كانت من عائلة الراكون تقريبا، وكانت تسعى على الارض على اطرافها الاربعة مثل القطط والفهود ..الخ، لذلك هي لم تحتاج الى الابهام، بعد ذلك اختلفت الظروف البيئية، اضطرت الباندا الى ان تدخل الى الغابات، والان تبدأ تتسلق وتريد ان تقشّر ثمرة البامبو لكن ليس لها الابهام، عند المعصم برزت لها زائدة صغيرة وبالوف السنين تحولت هذه الزائدة الى شيء اشبه الى الابهام،" وبالفعل ترون عندها الآن، هناك كتبا أُلِّفت عنها!، في كتاب آخر من مؤيدي التصميم الذكي اسمه <الباندا والناس> يجاوب فيه عن شبهات ابهام الباندا، فهذا الابهام الزائد عند المعصم مترهِّل وضعيف، > يسخر منه (ريتشارد داوكنز) قائلا:" ماهذا المُصمِّم الذي لم يكن من البداية يعرف حاجات المخلوق!"

وعلى فكرة هذا الرجل (ريتشارد داوكنز) - مع احترامنا له كعالم – يتورط في غباوات رهيبة! وهو غير منصف ابدا، لكن عنده اشياء قوية لابد ان نأخذها بذكاء..

الكلام حتى في التصميم بطريقة كالتي فعلنا جميل جدا ومهم، لكن عندما نتورط في أمور جزئية داخل منظومات الكون (اصبع الباندا، العين، اشياء اخرى كثيرة..) فمازلنا نحتاج الى معلومات علمية مختلفة و أدق، لكن لو وقفنا عند حدود الكون فهذا مفحـــم يُفحِم أي ملحد، ولن اتورط في اشياء العلم يتطور في فهمها وتفسيرها.. فالنسبة لإبهام الباندا ان خطأ (داوكنز) انه يُقيِّم دور الابهام ضمن نظرة انعزالية لا ضمن النظرة الكلية له لهذا المخلوق في هذه الظروف ، وعلى فكرة.. أليس من السخرية او من اللافت ان تكون الباندا من احذق المخلوقات في تخشيب البامبو؟! > اذن ابهامها يؤدي وظيفته، وهي ليست عاجزة !!، يأتيك احدهم يقول لك "هي ليست مسألة عجز الباندا او غير عاجزة، او نظرة منعزلة او نظرة كلية، انما الرب ليس لديه النظرة المعرفية كنظرة الفنان او المهندس قبل ان يرسم او يصمم شيئا يكون على علم بماذا سيرسم ". نحن نقول له انت مسكين، مـن قال لك ان الرب حين وصف نفسه قبل (داروين) بـ 1200 سنة في هذا القرآن، من قال لك انه اصلا في خطته اراد ان يخلق مخلوقات كاملة او تامة ؟! هل هو قال هذا ؟!! هـو يُفهمنا بأن الكمال المطلق له وحده، وكل ماعداه تعتريه الآفات وتتناوشه النقائص .. هو يقول هذا!، وليس هذا فحسـب.. هو يقول لك: أنا خلقت المخلوقات – عضويا- و أنا تركت هامشا وسيعا لتطويرها وتحسينها، انا افعل هذا، هذا في خطتي، اين قال الرب هذا ؟ > بشكل واضح قال تعالى: } الحمد لله فاطرِ السماوات والأرض جاعلِ الملائكة رُسُلا أولي أجنحة مثنى و ثُلاثَ و رُباع يَزيـدُ في الخلْقِ مايشاء{ ، في زيادة فيه امكانية للإضافات!، وقال عزّ من قائل: } بل هم في لَبْسٍ من خَلْقٍ جديـد{ ، لذلك هناك اناس يتحدثون عن " التطور الإلـهي"، ليست لديهم مشكلة مع التطور يؤمنون بهذا، لكن هذا ضمن خطة إلهية وغائية إلـهية، الله يحب هذا ويريد هذا،

ولـذلك (فرانسيس كولينز)- طبيب عالم جينات، امريكي مشهور جدا،وهو رائد ومدير مشروع <الجينوم البشري>- كتب قائلا: " بالنسبة لي لايعني شيئا ان يُطلَب في خلق الانسان ان يكون الانسان كاملا، انا لا استطيع ان اتعرف على اشياء كثيرة في خطة الرب الا من خلال ضعفي، من خلال معاناتي" ، وانا اقول لك : نحن الان نتحدث كعقل بشري منظومة بشرية – واغفرلنا يارب هذا كل ماعندنا- نحن سنفقد انسانيتنا، اجمل مافي انسانيتنا وبشريتنا اننا لو صِرنا كاملين، لانمرض، لانموت، لا نصاب بأي خلل او تراجع وظيفي، لانفتقر، لا نضعف، لا نجهل ونعلم كل شيء..

يعني آلهة مصغرة، لن يُصبح للمعنى الذي نفتخر به و يَلَذّ لنا أي معنى، انا كإنسان لا أحب هذه الكمالية !.. الجمال في أننا نجهل في ظرف نحب فيه ان نعرف !.. انه من الجميل ان تكون جاهلا وتدرك انك جاهلا ينقصك العلم، فتحاول لتتعلم وتخوض التجارب و قد تكتشف امورا أخرى ايضا لم تكن تتوقع انك ستتعلمها، هنا اللذة .. في طعم الانتصار في الاستكشاف اثناء التعلم و نحوزَ على فهما جديدا !.. جميل جدا ان اكون ذاك الانسان الصغير من معيار متر و سبعين سنتم في المتوسط و امامي جبال الهملايا وقمم إيفيرست ثمانية ونصف كيلو متر.. و أتسلقها كإنسان واجتهد الى ان اصل الى القمة.. هنا تجد طعم اللذة بعد الوصول وتحقيق مرادك بعد جهد وصبر و تحدّي .. جميل جدا ان يمرض الانسان ويموت انسان عزيز عليك فتبحث عن هذا المرض فتفك شيفرتها، فتقهر هذا المرض بالدواء والعلاج وبالطعم وباللقاح.. الان انتهت تلك الامراض تقريبا كالحصبة والكوليرا والطاعون، وبإذن الله سيختفي السرطان والإيدز، وتأتيك امراض اخرى فتحاول وتبحث لتهزمها.. هذه الملحمة الانسانية هذه الدراما الانسانية.. جميل أن ينهار البطل و تحيا القيمة، يموت البطل ويحيا المعنى من بعده، هذا أجمل شيء عندما نلاحظ الدراما الانسانية. الأبطال معظم انتصاراتهم في مظلوميتهم و موتهم، لانه يموت الانسان الفانِ وهو سيموت اليوم او بعد ألف سنة، لكن بموته تألقت القيمة، تألّق المعنى مباشرة وبشكل ابدي تقريبا، تأبّدت القيمة ... هذا الجمال. هذا ما اردت ان اذهب بكلمة (فرانسيس كولينز) وهو ابعد ما قال، فلو كنا كاملين فنحن لن نتعرف على ربنا بالطريقة هذه ! . وانت ترى بنفسك ان من بعض اسرار و حِكَم البلايا والمصائب والضعف البشري أنها تعود بالإنسان إلى الله، تعود بالإنسان إلى إنسانيته!. اقبح مافي الانسان انه يظن انه كامل و أنه إله، هل تستطيع ان تتحمل الانسان المُستغني؟! هذا الانسان لا يُطاق انه انسان محقور، هذا مخلوق يريد ان ينسلخ من انسانيته، فالانسان من الجميل ان يبكي احيانا للضعف للخسارة للألم لفداحة المصاب.. يبكي، وهذا اجمل مافيه،هذه الدموع هي برهان انسانيته، لكن الاجمل منها هي ان يتحامل على جراحه ويكمل مسيرته إيمانا منه بقيمة الحياة وبجدارة الانسان، أن يُخط قَدَرُه ومصيره، ويكمل مسيرته.. هذا هو الانسان الذي نعشقه. والله ولا مرة تاقت نفسي الى ان اكون مَلَكاً، بل "كإنسان" ارى نفسي اجل من مَلَك، والمَلَك باختصار بلغة حاسوبية هو كائن مبرمج، الا له مقام معلوم،، انا لااريد ان اكون كائنا مبرمجا، ومعنى الكائن المبرمج أي انه ناجٍ على الاطلاق دائما هو الرابح ليس عنده احتمال خسارة، لكني اقول لك: نجاته لا معنى لها !، وعلى فكرة هو لايشعر بنجاته، انت تكون تتمنّن عليه و تَمُنّ عليه بقيمة النجاة التي لا يفهمها هو ولا يدركها، لانه لا معنى للنجاة بدون احتمال الخسارة !. كائن يسبح يُقدّس ليلا نهارا، لايوجد اختيار، هو لم يدخل اختبارا بالاصل. انا كإنسان حياتي أجمل، لأني أختار الجزء الملائكي فيني لكن بإختياري و عَبْرَ معاناة وانصهار وتمحّض للخير وجهاد نفس، هذا هو الجمال في الإنسان يا إخواني .. ((لاينال المجدَ الا سيّد فطنُ ** لما يَشُقُّ على السادات فعّالُ، لاجهولٌ جهلةُ له ماكسبت ** ولا سئولُ بغيرِ السيف سئّالُ)).. وهذا هو الفرق بين الانسان والمَلَك، انت سبّحت وقدّست عن برمجة من غير اختبار من غير معاناة، اما الانسان فسبّحَ وقدّسَ عن مجاهدة وعن تعب وعن معاناة !. من البلاهة والغباء ان يُقال: "لو كان الانسان مصمما لإله حكيم قدير و و .. ، كان ينبغي تصميمه ان يكون على احسن مايكون!". لا لا ، هو مُراد ان يكون تصميمه هكذا، وعلى فكرة هذا النقص الذي تراه في بعض الاعضاء والأجهزة > مُراد اصلا كمسار او انبوب للإبتلاء ! كيف يحدث انفصال الشبكية عند بعض الناس ويعمل في لحظة؟! لأن الشبكية موضوعة بطريقة تسمح بانفصالها، ويقولون:"هذا عيب في التصميم"، بل هذا ليس عيبا، الله يريد هذا !، وكم نسبة حدوث هذا ؟!! .. يحدث كمصيبة كإبتلاء كعبرة كأشياء معينة، حتى بما يسمى بالأخطاء الوراثية، يولد الانسان احيانا باعضاء زائدة او ناقصة، كل هذا مُرادٌ لحدوثه.. و لو لم يكن هناك امراض وراثية ولا اخطاء خِلقية ولا .. الخ >> لما وجَدَ العلماء انفسهم مدفوعين ان يدخلوا في عمق هذا العالم السحري في الصندوق الاسود – كما سماه (مايكل بيهي) <صندوق داروين الاسود> أي عالم الخلية الذي يجهله داروين تماما – نحن في هذا اليوم اطّلعنا على دقائق هذا الصندوق الاسود وقدمنا تحديات جديدة للمقاربات

التطورية، لماذا العلماء دخلو هذا العالم ؟ حتى يتغلبوا على هذه الأدواء والامراض على هذه الاخطاء كما يسمونها هم، الله يريد هذا، هذا جزء من الدراما ....

بـرهان النظم لكثرة شواهده و كونُ الكونِ غاصاً بها ملئان بها، يغفل عنه الكثير من الناس. كما عرّفنا "المعجزة" سابقا في احدى خُطَبِ الجمعات كما حددناه وفقا هذا التعريف: فكل شيء في الوجود مُعجِز، ذا كان المعجز مالا تستطيع انت انجازه، مالا تستقل الصدفة و فرص الاتفاق بإنجازه، وما يحكي قدرة خارقة ودقيقة وحكيمة وجبارة كـل مافي الوجود معجز من الذرة الى المجرة > عبارة (شاتو بريان). وليس مايُعَد عاديا او غير معجز بأقل في اعجازيته او في دخول باب الاعجاز مما جرت العادة بعدّه معجزة . والله يسميها الآيات، يسمي المعاجز التي جرت على الانبياء بالآيات، ويسمي الظواهر الطبيعية والكونية كلها آيــــات، هذه آيات وهذه آيات، لأنه في النهاية كله معجز لو التفتّ اليه!، لكـن لماذا يحدث الغفلة عنها؟! لِلإلْف والتعوّد، قال تعالى: { وكأيِّن من آيةٍ في السماوات والأرض يمرُّون عليها وهم عنها مُعرِضون ومايؤمنوا اكثرهم بالله إلا وهم مشركون } . (ومايؤمنوا اكثرهم) > هذه من برهان الآية، والآية في الآية!، لأن الآية تدل على ذي الآية، وهذه الآية تدل على جدارته، واستحقاقه وحــده الافراد بالعبـودية ! لمَ الوقوع في الشرك؟، من الذي شَرَكَهُ في خلق هذه الآيات وتصميمها الذي لا إله الا هو – ان جاز التعبير- لا احـد .. فلماذا يُعبَد غيره ؟!! فهي آيات تدل على وجوده وتدل على قَدْر ما من صفاته توجِب هذه الصفات افراده بالعبودية والألوهة وحده.. فلأنها كثيرة ايها الاخوة لذلك يحتاج الانسان احيانا الى فضول عالِم، ودهشة فيلسوف، و إحساس فنان مرهف، لكي يلتقط الآيات !، والذي ليس عنده تلك المواصفات فهو لن يفهم الآيات ولن يلتفت اليها، وعلى فكرة، الحقيقة لها اكثر من وجه، من ضمنها الوجه الفني الجمالي، وفيه الوجه العلمي، وفيه الوجه العقلي المحض، وفيه وجوه اخرى، والانسان المتكامل ينظر للحقيقة من وجوهها المتعددة، حدثتكم في اكثر من مرة عن (بول سيزان) الذي مكث خمس سنوات > يرسم لوحة غروب الشمس ! ثم لم يقضي نهمته من بلوغ النجاح الذي يرتضيه كفنان رهيف الحِسّ في تقليد هذه الظاهرة الطبيعية التي تتكرر كل يوم ! ونحن نجدها عادي، لكن عند الفنان ليست عادية بتاتا، ثم قال اعيدوها اعيدوها، ان خمس سنوات لزمن يسير لتصوير لحظة غروب شمس، لا تكفي ! مالذي رآه (سيزان) في غروب الشمس اذن؟! ونحن لا نلتفت اليه حى لو كنا نسكن في صحراء او شَطٍّ جميل و رأيناه كل يوم. . .

اذن كما عرفنا ان برهان النظم رسالته الرئيسة و الاساسية هي اثبتا وجود الله وخالقيّتَهُ، ثم بعد ذلك يمكن ان يُستفاد من برهان النظم – اذا بسطناه الى برهان الآيوي- الوصول والاستدلال على بعض صفات هذا الخالق الصانع، اما اثبات سائر الصفات الإلهية فبرهان النظم ليس مسؤلا عنها، انتبهوا، يعني اثبات العدالة ان الله عدل الذي لا اله الا هو، اثبات الحكمة من كل وجه > لا ليس برهان النظم ! واثبات اشياء كثيرة اخرى > لاتقع على عاتق برهان النظم. . . فلا يصح ان تورد هذه الإيرادات كإشكالات على برهان النظم فهذا خطأ التفكير.

نكتفي بهذه الحلقة على ان نلقاكم في الحلقات المقبلة بإذن الله تعالى والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته ..

الحلقة الثامنة برهان النظم 3

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ { 1
{ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ {
2 { خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ { 3 } خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ { 4
{ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ { 5 } وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ { 6
{ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ {
7 { وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ { 8
{ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ { 9
{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ { 10
{ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ { 11
{ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ { 12
{ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ {
13 { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ { 14 } وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ { 15
{ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ { 16 } أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ { 17
{ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ { 18 {}،سورة النحل/1- 18 صدق الله العظيم وبلّغ رسوله الكريم، ونحن على ذلك من الشاهدين، اللهم اجعلنا من شداء الحق القائمين بالقسط.. اللهم آمين
الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ويرضى عدد خلقه و رضى نفسه ومداد كلماته و حمَلة عرشه.
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، و اشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله..اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الميامين واتباعهم بإحسان الى يوم الدين. سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك انت العليم الحكيم، اللهم علمنا بما ينفعنا، ونفعنا بما علمتنا و زدنا علما واهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك انك تهدي من تشاء الى سراط مستقيم . اما بعد،
اخواني اخواتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته....
ذكرت سابقا ان (ديفيد هيوم) اورد شبهاته في كتابه الشهير الذي طُبِع بعد وفاته <محاورات حول الدين الطبيعي>، ادار هذه الشبهات على لسانين شخصين افتراضيين، الشخصية الاولى "فيلون" وهو الذي يدافع عن برهان النظم، في مقابل "كلينثس" الذي يتشكك ويبدي اعتراضات و إيرادات وشبهات حول هذا البرهان. وقد تتساءلون لماذا نحن انتخبنا واخترنا ان نقف طويلا مع (ديفيد هيوم)، لأن شبهاته قوية جدا، بلا شك هذا فيلسوف عملاق!. بعض الناس يظنون ان الذكاء دائما يعني الصواب، غير صحيح يا اخواني، الذكاء لايعني الصواب.. لأنه ليس ذكاءا الاهيا، هذا ذكاء بشر، البشر مهما كان عبقريا ذكيا فهو يخطيء ويصيب، بعض الناس وهذا مسلك عامي اقرب الى التفكير العامي وليس للتفكير العلمي الفلسفي الممنهج يقولون: "انت تتناقض، من جهة تصفه فيلسوف عبقري، ومن جهة تقول انه تهافت ولم يفهم البرهان". نعم هذا يحصل دائما مع الفلاسفة العباقرة مع العلماء الكبار مع المفكرين المشاهير، يحدث دائما ومعنا نحن ايضا.. لسنا بدعا نحن بشر، نحن كائنات نسبية ضعيفة، نخطيء

ونصيب، لسنا آلهة ونتعلم من اخطائنا، يجب ان نتعلم التواضع، ان لم نتعلم التواضع لن نتعلم ولن نعتاد ان نخضع للحقيــقة اذا لاحَ برهــانها لنا و أسفرت عن وجهها! سنكابر ونركب رؤسنا فنبقى جهلة ونبقى مدعاة للسخرية ممن هم اذكى مننا او ممن هم اقرب لمعرفة الحقيقة منّا ببرهانها ودليلها. فالذكـاَء لايعني الصواب ،، لكن طبعا الذكاء إزاء الغباء > يعني صوابا اكثر ! لكن هذا لايعني ان الذكي يصيب دائما ، وإلا لنسلّم ادمغتنا لعالم فيلسوف ذكي واحد و نكفّ عن البحث ونشطب على الباقين.. من يقول هذا .. تشوهات عامية لا معنى لها.

اخترنا ان نقف على شبهات هذا الرجل (ديفيد هيوم) لانه فيلسوف ذكي عملاق، ولأن شبهاته تلقي بظلالها، وتطبع بطابعها اعتراضات وإيرادات كثيرة الـــى اليـوم ! كثير جدا من الاعتراضات لاتزال تُكرر وهي مجرد استدعا واقتباس لشبهات (هيوم) بصياغة اخرى بتعبير وتمثيل آخر، لكن نفس الجوهر تقريبا، هناك شبهات جديدة بلاشك، لكن هذه الشبهات هي الاكثر تواردا. شبهات (ديفيد هيوم) اولا، ثم بعد ذلك نظرية التطور لـ (تشارلز داروين) والشبهات التي اتى بها داروين على مسألة برهان العناية او برهان النظام ألجئت اللاهوتيين الغربيين على التخلّي عن برهان النظام نهائيــا !

الشبـهة الاولى التي اوردها هي قوله: "لقد جربنا المصنوعات البشرية – واتضح لنا انه مامن صنعة متقنة ومحكمة تحكي قصدا وتشير الى غاية وهدفٍ إلا ولها مصمم ما يتصف بدوره بالذكاء والاحكام والدقة والبراعة والحذاقة- قال (هيوم) عن انه امر مُسلّم ولااعتراض على هذه المسألة التي لا يُكابَرُ عليها، فالصناعات البشرية موجودة وكثيرة، وبلا شك مامن صنعة بشرية وامثولة الساعة التي استخدمها (ويليام بيلي) في كتابه الشهير الذي طبع عام 1803 م تقريبا، هذه الامثولة اصبحت ايقونة في باب الاستدلال او التمثيل لبرهان النظام، ايقونة هذا البرهان، فـ (هيوم) لااعتراض له، قال ولكننا نزعم من باب القياس والتمثيل، أن الكون بدوره لأن فيه نظاما، فيه دقة، وإحكامٌ، لابد ان يكون له مصمم خالق ذكيّ > (هيوم) قال هنا انا اختلف معكم في هذا، قال لأننا نقيس صنعةٍ طبيعية على صنعة بشرية، هذا القياس مع الفارق، من جهة اخرى، لأننا جربنا الصناعات البشرية، ومامن صنعة حذقناها وابدعناها من ضربة واحدة، انما بطريقة التجربة والخطأ وتتطور وتترقى، وتتثقف هذه الصناعات أي تُرهَف حتى تاخذ صورتها ربما المعاصرة المتّسِمة بالدقة والرهافة، لقد جربنا واتضح لنا صحة هذا المبدأ، لكننا لم نجرب الكون! الكون يبدو انه وُجِد مرة واحدة هكذا نحـن لم نجربة، الكون ليس بصدد التجريب. وفـي ردنا على (هيوم) بيّنا انه أُوتِيَ من عدم فهمه بعمقٍ لبرهان النظام، برهان النظام ليس برهانا تمثيليا، وليس تجريبيا، برهان التصميم في حقيقته برهــان عقلي، العقل فيه يتوجه الى الموضوع من حيث هو، اما ان مقدمات هذا البرهان مأخوذة من الحس مأخوذة من المشاهد هذا لا يؤثر عليه، لأن المقدمة الأخرى مقدمة عقلية وهي المهمة في البرهان. ..

الشبـهة الثانية: يقول (هيوم): " اذا كان النظام السائد حاليا في هذا الكون القابل للرصد يدل على وجود الخالق المنظم المصمم، اذن كيف نفسر وجود الظواهر العشوائية، الظواهر الفوضوية، - الان هذا الاعتراض اخذ صورة منقّحة، ونسخة اكثر احكاما ودقة في شكل مايعرف بفيزياء الفوضى، هذه الشبهة لن اجيب عنها الان لأنهاتحتاج الى محاضرة مطولة و مطولة جدا، على اننا يمكن ان نجتزيء بجملة يسيرة فنقول: هذه الفوضى فلننقل مثلا في شكل البراكين، الزلازل، الطوفانات، الاعاصير .. هذه كلها ظواهر عشوائية، نحن نسلّم بهذا ،ولكن هذه الظواهر الفوضوية لا تسمح ان نقول ان الكون الذي نقطنه ونعيش فيه، هو كون فضوي .. هذا غير صحيح، انه كون منظّم بدليـــل انه لو كان بجملته وتفاصيله كوناً عشوائيا يضرب على غير هدى وعلى غير خطة مرسومة محددة، لما قامت للعلم قيامة، والعلم لاينجح ولاشتغل ولا ينجع الا في عالم مُقنّن، عالم مدستر، عالم محكوم بقوانين محددة، اذن عالم منظّــم.. هذه الجملة سنتحدث عنها ان شاءالله في الحلقات المقبلة حين نتحدث عن عقلانية الكون، هل الكون عقلاني يحكي ذكاءا؟ .

الشبهة الثالثة يقول (ديفيد هيوم): "مالذي يحول بيننا وبين ان نعتقد ان هذا النظام وهذه الدقة و ذاكم الاحكام في الكون انما يُدار ويُنظّم و يُتحكّم فيه من قِبَل المادة ذاتها؟" أي يقصد ان المادة هي التي تقوم بهذا التحكم، المادة هي التي تنتج النظام.. و أقول لكم كثير من الماديين اليوم في هذه الحقبة من حياة العلم والانسان يعتقدون بصحة هذه الفكرة!، يعزون الى المادة، وهي النظرية المعروفة بنظرية خاصية المادة.
الشبهة الرابعة: يقول (ديفيد هيوم): من اين وكيف لنا ان نثبت ان هذا النظام الذي نلاحظه وندرسه ونقرره نعترف به، هو النظام الأكمـل ؟! لكي تكون الأكمل لابد ان يكون ما بإزائه نظاما آخر بل نُظُم اخرى حتى تتسنى المقارنة، لاتوجد مقارنة لدينا كون واحد وحيد هنا. هذا الكون هو القابل للتجريب او بعض ظواهره، وبعضها قابل للرصد.. هذا هو الكون كون واحد وحيد، من اين لك ان تزعم انه كون يتسم بأنه كامل ؟!. . شبهته قوية بلا شك !
الشبهة الخامسة: قال (ديفيد هيوم): "لنسلّم اعتباطا وتعسفا > أن هذا الكون مصنوع لله، مصمم لهذا الرب القدير > قد سلمنا بهذا ، ولكن من اين لنا ان هذا الإله الذي صمم هذا الكون وخلقه وابدعه يتصف بسائر الصفات الكمالية من العدل والرحمة والخيرية والحكمة.. الخ، لانستطيع ان نعرف!
الشبهة السادسة: قال (ديفيد هيوم): اذا سلمنا ان الله هو الذي خلق هذا الكون، من يدري لعل الخالق حين أبدع هذا الكون وخلقه، قد جرّبَ مرارا و تكرارا قبل ان يصل الى هذه الصيغة النهائية الحالية الفعلية لهذا الكون ؟! لماذا تقولون انه صممه بضربة واحدة؟!
كما تعلمون في آخر خمسة عشر سنة من القرن العشرين أُعيد بعث برهان النظم من جديد في نسخة جديدة وصفتها بأنها نسخة منقحة، وهي نسخة : برهان التصميم الذكي، حجة التصميم الذكي، هذا البرهان ايها الاخوة هناك مؤسسات ترعاه، مئات من كبار العلماء ثلة منهم لابأس بها كانوا من التطوريين على الطريقة الداروينية طبعا بالمذاهب المستحدثة الداروينية، كانوا متحمسين لهذه الطريقة، لكنهم نزولا على مقتضى ادلة علمية كثيرة في حقول علمية متعددة، تركوا هذه القناعات وتحولوا الى مشايعة التصميم الذكي، وألفوا كتبا قوية وانباع منها مئات الألوف من النسخ. فما حكاية هذا التصميم، لمَ هو قوي الى هذه الدرجة؟ الذين يناقشون هذا البرهان – وهم يفعلون هذا تقريبا الى اليوم – يظنون ان هذا البرهان اصالة يتوجه الى الموجودات الجزئية الى النظم الجزئية، يفعل هذا البرهان.. صحيح، والذين يدافعون عنه ويأتون بالامثلة والنماذج يفعلون هذا، لكن اصل هذا البرهان التصميم الذكي لايُعنى بهذا قدرَ عنايته بالقوانين المؤسسة للكون. ولذلك هذا البرهان سيكون قويا جدا في مواجهة الداروينية، حيث تفشل ينجح هو !.
واضح اخواني اخواتي ان شبهات (ديفيد هيوم) الرابعة والخامسة والسادسة لاعلاقة لها حقيقية وفعلية ببرهان النظام، برهان النظام يُلقى على عاتقه مسؤلية شيء واحد هو اثبات ان هذا الوجود لم يأتِ صدفة، وأن له مصمما او خالقا. الآن كون هذا الخالق حكيما عادلا رحيما لايتدخل فيه برهان النظام وليس من اعباء البرهان، وغير مطلوب من هذا البرهان ان هذا النظام الموجود هو النظام الاكمل ةالاكثر كمالا.. برهان النظام لا علاقة له بهذه المسألة !.. ولم يقُل لك انه سيثبت لك ان هذا النظام هو الاكمل.. اكمل ازاء ماذا؟! لم يقل هذا. انتبهوا، هكذا الدقة الفكرية والفلسفية.. (ديفيد هيوم) هنا لم يكن دقيقا بالمرة، ونَسَب الى اللاهوتيين والى برهان العناية او برهان النظام مالا يدعيه هذا البرهان في نفسه، دقيق جدا تحرير محل النزاع كما يقول المناطقة او علماء المناظرة محل النزاع ماهو، نقطة البحث ماهي، لابد ان يكون هذا دقيقا جدا، برهان النظام يقول هذا الكون ليس ناشئا عن صدفة بل هناك منظم موجد له، كون هذا الموجد هو إله الأديان إله المسلمين او إله النصارى او .. الخ فلا علاقة للبرهان بهذا، والعجيب ان بمثل (ريتشارد داوكنز) يتدخل في هذه المسائل، وهذا البرهان لا علاقة له بهذه القضايا!.. طبعا لا يسوغ لمسلم ان يقول ان برهان النظم يثبت ان الله إلهنا كما نفهمه منزل القرآن العظيم هو الذي اوجد الكون > هذا غير صحيح فبرهان النظم لايقول هذا ! . فهذه مسائل متقدمة، وتطرح بطرح آخر وبنحوٍ آخر، ويستدل عليها ايضا

بنحوٍ آخر وببراهين اخرى، مهم جدا الدقة في هذه المسائل، حى لا نتورط في اشياء تؤخذ علينا وتجعلنا بمحل السخرية ...
لنفصِّل بعض الأشياء ايها الاخوة، طلب وحدانية الله انه الواحد، انه كلي العلم، أنه رحيم، انه حكيم، هذا ممكن طلب هذه الامور، لكـن ليس من برهان النظم.. اللاهوتيون ليس في الاسلام فقط بل حى في الاديان السماوية الاخرى لديهم الادلة الاخرى لإثبات هذه المسائل، يعني لايعولون فقط على برهان النظم حتى يُقال موقفهم متضعضع قلق و هش، يقول (هيوم) برهان النظم لا يثبت هذه المسائل، اذن انتم دينكم هش وضعيف.. غيـر صحيح، نحن لانعوّل فقط على برهان النظم حتى في مسألة خلق الله و كون الله هو خالق هذا الكون ، لانعوّل فقط على برهان النظم.. لدينا براهين اخرى، سنتحدث عنها بعـد ان نفرغ من برهان النظم!. هذه البراهين التي تثبت ان الله هو خالق هذا الوجود أو ان هذا الوجود مخلوق لإله - لا اله الا هو .
شبـهة ان الله تبارك وتعالى لعله جرّب خلق الكون مرارا وتكرارا الى ان انتهى وأفلح في الوصول لهذا النسخة وهي الكون الفعلي الان، هذه الشبهة مطروحة في علم اللاهوت، يعني ليست من بنات افكار (ديفيد هيوم)، وتتعلق بمسألة : هل علم الله فعلي او غير فعلي؟. مامعنى فعلي؟ لدينا مصطلحان ارسطويان شهيران: <الإمكاني، والفعلي> يعني مابالقوة وما بالفعل. علم الانسان امكاني وفعلي، كل فعلي فيه كان امكانيا، { وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا } (سورة النحل/78)، اذن لايوجد علم، والنركة في سياق النفي تعُم،يعني ولا أي معلومة لدى الانسان حين يخرج من بطن امه، ولكن هذا الانسان يصبح عالما كبيرا، لماذا؟... الشامبانزي لايستطيع، الغوريلا لاتستطيع والقط لايستطيع ... ان يصبح عالما كبيرا كالانسان ويدرس الكون ويضع نماذج رياضية، لأن الإنسان مهيّأ بالقوة ليعلم فالانسان عليم او عالم بالقوة، ومابالقوة ضمن شروط معينة و ظروف خاصة، يتحول الى مابالفعل. هـل علم اللـه هـكذا ؟ يخرج من القوة الى الفعل ؟
نحن كلاهوتيين أي علماء الدين نقول لاااااا غير صحيح، عـلم الله كـلّه فعلي، بعض اللاهوتيين عندهم نظرية تقول علم الله فعـله اصلا!، (كلام عميق لكن له موضوع اخر لاهوتي).. اذن شبهة (هيوم) ان الله جرب وجرب .. ثم اهتدى الى الصورة الاكمل > هذا الكلام مضمّن به فكرة لاهوتية خاطئة، لا يوافق عليها اللاهوتيون، تقول ان علم الله يخرج من قوة الى فعل عبر التجريب، فعلم الله بأن هذه النسخة من هذا الكون انها الافضل والاكمل – هذا الان علم فعلي لكن لم يكن فعليا باستمرار انما كان بالقوة- مالذي اخره من الفعل؟ التجربة والخطأ.. يعني على نحوِ علم الانســان!.. وهذا كلام غير صحيح، لـــكن أنا لي رأيي الخاص في هذه المسالة بالذات والرد او المحاجة مع (هيوم): لو تأملنا اسلوب الله تبارك وتعالى في الخلق، للفت نظرنا شيء عجيب .. وحتى لا انسى.. في كتاب (بول ديفيس) الجميل والماتع <عقل الله> يقول فيه: " من الجدير بالملاحظة أن الاعتقاد في وقت واحد، بعوالم أكوان متعددة، وبإله مصمم مسؤل عن هذه الاكوان ومنها انتخب هذا الكون، هو اعتقاد متّسق تماما" على ان (بول ديفيس) ضد نظرية الاكوان المتعددة، ووجه لها اكثر من نقد قوي ولايعتقد بها تماما حتى انه قال: " في النهاية اذا اضطررت الى الترجيح بين الاكوان المتعددة وبين إله مصمم، فمبدأ <نصل اوكام> يضطرني ان ارجح الإله المصمم !." لأنه لتفسير وجود النظام والدقة والتصميم في كون واحد هو كوننا، ندخل ونقحِم تعقيدات لا نهائية بالاحرى، لأن النظرية تتحدث عن اكوان لا نهائية، لكي نفسر بهذا التعقيد اللانهائي تعقيدا محدودا في كوننا هذا، هذا ضد <نصل اوكام> كما يقول (بول ديفيس) على طول الخط، هذا معنى كلامه، لذا قال: "انا كرياضياتي وكفيزيائي محترف وحائز على الجوائز العالمية سأنحاز الى الإله المصمم !". بإسم العلم تجترح هذاه النظريات هروبا من الاقرار بإله صمم وخلق، لايريدون. ..
من وجهة نظري انه بالتأمل في اسلوب الله في الخلق يضح لنا .. ربـما صحة مقولة (بول ديفيس)، يعني ان الله تبارك وتعالى خلق اكثر من كون ثم انتخب هذا الكون، في هذه الفكرة ليست عندي مشكلة، لكن عندي مشكلة في

التضمينات الفلسفية، في اعادة قراءة هذه المسألة ان كانت حقيقية .. كمسلم .. لأن الله يقول في اول سورة في كتاب الله : } الحمد لله ربِّ العـــالميـن { مباشرة هذا التعبير القرآني يُنعش خيالنا الاسلامي.. الخيال المؤمن المؤلِّه الموحد لكي يفهم انه ليس ثمة عالم واحد فقط هو هذا العالم! – كما قلنا – القابل للتجريب والقابل للرصد .. لا لا، هناك عوالم } الحمد لله ربِّ العـــالميـن { < اذن مسألة تعدد العوالم مسألة ليست مطروحة، مسألة منصوص عليها!، في كتاب الله (رب العالميـن)، لهذا السبب بالذات لقيَ (جيوردانو برونو) مصيره المأساوي على الخازوق محروقا، لأنه اعتقد بتعدد العوالم، كيف يقول بتعدد العوالم والمسيـح بعث في هذا العالم فقط !. كيف ينجون اذن، كيف يتخلصون.. عندنا لاتوجد مشكلة، كلّه عبيد الله :

}وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ { الاسراء/44.

}الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن{ الطلاق/12

يعني لم يقل الله تبارك وتعالى (سبعة كواكب) لا، انها سبعة أراضيــن كأن يقول لك كوكب مثل هذا الكوكب!، بشروط مقاربة، قطعا السبع السماوات ليست متماثلة دائما وفي كل شيء، متماثلة من حيث الاصل، لكن كل سماء لها خصائصها و سماتها، لكن البنية يبدو انها واحدة، كذلك الاراضون .. ليس تماثلا تاما، مع ان الحديث الذي اخرجه البيهقي وقال في اسناده صحيح، لكنه شاذ بالمرة، حديث ابي الضحى عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: " سبع اراضين كأرضكم هذه، في كل ارضٍ آدم كآدم، ابراهيم كإبراهيم، محمد كمحمد، وابن عباس كإبن عباسكم!". هذا الحديث قد يكون فيه نوع من المبالغة..

كما اننا نجد عند اسلوب الله تبارك وتعالى في الخلق، نجد شيئا شبيها في عالم الانسان، مئات ملايين الحيوانات المنوية لكن واحد منها فقط هو من يجتاز الاختبار ويخصب ويلقح البويضة، الباقي يفنى ويهلك.. لماذا؟ نفس الشيء، كان الله تبارك وتعالى يستطيع ان يصمم الانسان بطريقة يتماثل فيها الذكر والانثى، بويضة هنا و حيمن واحد فقط، لكـن لماذا مئات الملايين لادور لها وتهلك وواحد فقط هو من ينجح في المسابقة؟. اذن في الميدان الاكبر اقصويا الكون او الاكوان، هناك اكثر من كون اكثر من عالم.. هل يمكن ان يكون بالفعل الله تعالى اختار منها كونا واحدا يكون كوننا هذا العاقل مثلا؟ ربما اكثر من كون، لاندري.. عودة الى مقولة (بول ديفيس): يمكن ان يتسق الايمان بعوالم متعددة وبالله كصانع و مصمم، ليس بالضرورة ان هذا يقود الى الالحاد او التشكيك في وجود الذات الالهـية، على خلفية دينية.. هذا ممكن و هذا ممكن. لكن (ديفيد هيوم) كيف فسر هذه المسألة لو وقعت بافتراض وقوعها، لدينا هذا الافتراض مرجح.. فسرها على ان علم الله ليس علما فعليا، فالعلم ينتقل من القوة الى الفعل، فيقع الله تحت طائلة مبدا التجربة والخطأ، حتى يعرف بعد ذلك ماهو الانسب والاكثر ملائمة، وهذا غير صحيح... اما نحن نفسره كمبدأين على الاقل اثنين مختلفين، مبدأ التفضيل، الله يريد ان يخلق من شيء اكثر من نسخة واكثر من نموذج ليفضِّل بعضنا على بعض، هذا داخل في حكمة الله، في العالم الانساني نفسه، البشر ليسوا متماثلين تماما، حتى الانبياء وهم سادات و خيرة البشر، } تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض { البقرة/ 285 ، السماوات السبع متفاوتة في الفضل والشرف، واشرفها اعلاها ليس للعلو لكن لمعنى معروف لدى المِلّيين، الجبال تختلف في فضلها (أُحُد جبل يحبنا و نحبه)، الشهور بعضها افضل من بعض، الأيام منها الجمعة .. وهكذا، مبدأ التفضيل وليس مبدا التجربة والخطأ.. مالذي يمنع بنفس المنطق ونفس المعنى ان خلق وابدع وصمم اكثر من كون؟ ليفضل بعضنا على بعض..اذن مبدأ التفضيل هو الساري وليس مبدا التجربة والخطا كما كان يعتقد (هيوم)، دائما لابد ان تطلقوا العنان لأخيلتكم، ان تتعدد الافتراضات، السقوط دائما تحت طـــائلة افتراض واحد قد يكون سقوطاً مدوِّيــاً في الخطأ يحكي قصور الفكر قصور النظر ...

المبدأ الثاني هو الاختيـار أي الاصطفاء، نوع من الاصطفاء ليس من التفضيل ابدا.. وانما اختيار وانتخاب لحكمة } وربك يخلق مايشاء و يختار { القصص/ 68. الملائكة مثلا منها ملائكة يختار الله لتبليغ رسالاته، وهي

مهمة شريفة جدا، ومنها ملائكة تُختار لأغراض اخرى كنصرة المؤمنين مثلا، ليس بالضرورة ان يكون الملائكة الاعلى والارقى مثابة هم الذين ينصرون المؤمنين، وانما هذه مهمة يوكل بها هؤلاء، مهمة اخرى توكل بنوع اخر من الملائكة.. }الله يصطفي من الملائكة رسُلا ومن الناس{ الحج/75، مبدا الاختيار هذا لا علاقة له بالتفضيل - هذا الكلام على خلفية مؤمنين مؤلّهين امثالنا، نحن لنا نظرية كمؤلّهة كما نفهمها من كتاب الله، كلام على الفرض، كلام (هيوم) عن فرض، و (هيوم) لايؤمن بالله اصلا، وكلامه عن إله يجرب وينتخب على فرض ، وجوابنا على الفرض ايضا لانصادر على المطلوب وإلا المحاضرات كلهاغايتها البعيدة وقصدها الاساسي والرئيس هو اثبات وجود الذات الالهية و ادحاض شبهات الملاحدة عبر العصور- يحدث ايضا في عالم التخصيب في عالم تخليق الانسان، من بين مئات ملايين الحيوانات المنوية وكثير جدا منها صالح، يختار حيمنا واحدا يحمل امراضا وراثية، يحمل طفرات تؤدي الى جنين مشوّه.. انسان ناقص بعاهة، لماذا اختاره الله تبارك وتعالى؟! لحكمة قد يبدو لنا وجه منها، وتخفى وجوه، هو الذي اختاره، ليس للتفضيل لم يختر الاكمل، لم يختر الاكمل، وانما اختيار .. ولذلك الله تبارك وتعالى لأنه يعلم ان من البشر سيعترض على امثال هذه الاختيارات، فقال سبحانه وتعالى: }و ربك يخلق مايشاءُ ويختار{، يختار مايشاء على وِفق الحكمة }و ربك يخلق مايشاءُ ويختار مــاكان لهم الخيَرَة { ، اذن تفسيرنا يقوم على مبدئين.

على ذِكر الاصطفاء، تذكرت الآية: }إن الله اصطفى آدمَ و نوحاً{ آل عمران/33، وهذه تعزز موقفنا لكن من زاوية اخرى، وفيها اشارة الى مبحثٍ آخر، كيف اتى هذا التعزيز؟ حتى آدم ، قد يكون – وهذا يُسعِد التطوريين- حلقة ليس بالضرورة تطورية لكن حلقة في سلسلة خلق شبيه، حلقة متقدمة (زمنيا متأخرة اقرب الينا) والمتقدم هو الابعد زمنيا، لماذا؟ في الادبيات الصوفية، يُنسب الى النبي عليه افضل الصلاة والسلام حديث او خبر : (قبل آدم ألفُ آدم)، طبعا لم تصح من جهة الاسناد لكن موجودة في الادبيات الصوفية في بعض كتب الحديث، اهل السنة، والامامية الاثنى عشرية عندهم ربما خبران او ثلاثة على الاكثر، (قبل آدم ألفُ آدم، وفي رواية ألف ألف آدم) .. لماذا؟ قــد يشير قوله عزّ من قائل: : }إن الله اصطفى آدمَ و نوحاً وآل ابرهيم و آل عمران على العالمين{، الى هذا . كيف؟ لأن الاصطفاء عموما يكون لفرد او مجموعة بين افراد او مجموعات بحسب المصطفى، هنا الذي وقع عليه الاصطفاء المصطفى هو شخص واحد هو آدم ، من بين مَن اصطفاه الله؟ اذن من بين أوادم آخرين (قبل آدم ألف آدم)، لو كان آدم هو الحلقة الاولى بإطلاق في الخِلقة المعروفة بالبشر مثلا لما ساغَ ان يقول: }إن الله اصطفى آدمَ{، يبدو انه كان مسبوقا .. ولذلك حين استفصلت واستفسرت الملائكة }قالوا اتجعلُ فيها من يفسدُ فيها ويسفكُ الدماء ونحن نسبح بحمدك و نقدّسُ لك{ البقرة/30، بعض الاحتمالات التي طرقت هذه الاية معنويا أن الملائكة كيف عرفت هذا ؟! كيف عرفت ان هذه الخليقة – المفروض انها جديدة كما كنا نُلقّن- انها خليقة جديدة؟، يمكن ان يُستأنس بهذا الاستفسار من الملائكة أن آدم ليس هو أول هذه الخليقة، انما منه او شبيهه او من جنسه أوادم آخرون سبقــوه، وكانوا في الارض خلفاء استخلفهم الله تبارك وتعالى من بعضهم بعضا، }وجعلكم خلائفَ الأرض{ فاطر/39، فقاسوا آدم على أولئكم وظنوا انه سيفسد كما افسد من قبله، وفي الحقيقة أفسد ابن آدم مفسد الى اليوم، بعض العلماء و بذور هذه الفكرة وُلدت مع الامام محمد عبده رحمة الله عليه ثم طورها بعض الاسلاميين لاحقا، يتحدثون عن الفرق والتفرقة بين البشر والانسان، البشر أعم والانسان أخص، نحن الان بشر بلا شك لأننا بادو البشرة، ظاهر الجلد يسمى البشرة، فالانسان هو المخلوق البادي البشرة، لأن الحيوانات مغطاه بشعر بصوف بوبر بحراشف.،. من تعرفات الانسان هو الكائن الذي يمشي على قدمين بـادي البشرة، فنحن بشر لكننا ايضا علاوة على ذلك نحن أناسي نحن ناس –جمع انسان – نحن

انسان } إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ{71} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {72} سورة ص، بالتسوية ونفخ الروح فيه يستحيل انسانا !، العلاقة بين البشرية والانسانية علاقة عموم وخصوص مطلق، دائرتان متداخلتان والركز واحد، الدائرة الكبرى هي البشر، والدائرة الصغرى هي الانسان فكل انسان

بشر، لكن ليس كل بشر انســاناً ! .. فهل ياترى كان قبل آدم بشر آخرون؟! ربما نعرض بجواب سريع لأن هذا ليس مبحثنا..
لكن في الحلقة المقبلة ان شاءالله تعالى .. فالسلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته ..



الحلقة التاسعة برهان النظم 4:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ويرضى عدد خلقه و رضى نفسه ومداد كلماته و حَمَلة عرشه.
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، و اشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله..اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الميامين واتباعهم بإحسان الى يوم الدين. سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك انت العليم الحكيم، اللهم علمنا بما ينفعنا، ونفعنا بما علمتنا و زدنا علما.
اخواني اخواتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته....
نعود الى اسلوب الله في الخلق، انه يخلق من كل شيء نسخا متعددة من الاكوان ومن الأوادم ومن الاشياء، وحتى لانطيل في هذه المسألة اردت ان اختم بالقول أن ادعاء فهم اسلوب الله في الخلق فهما تاما ومنتهيا، ادّعــاءٌ شِركِيّ، ادعاء وثني شركي، ولو زعم هذا احد اكبر الأولياء او احد اكبر العلماء في هذا العصر او في غيره، لأنه يُعادل بمساواة علم الانسان بعلم الله .. كمن يقول" نحن نعلم كل مايعلمه الله لذلك نستطيع ان نفسر اسلوبه في الخلق!" > هذا لايقول به مؤمن، هذا لايقوله انسان يدرك نسبيته ومحدوديته، يبقى موضوع اسلوب الله في الخلق موضوعا مفتوحا .. نكتفي بهذا القدر من التعليق عن موقف (هيوم) من هذه المسألة (مسألة فعلية علم الله او انه يخرج من القوة الى الفعل).
الآن افضت النوبة كما يقال الى بسط الحديث وتشقيق الكلام في الشبهة الثالثة من شُبَه (هيوم) وهي الشبهة التي تدور حول (خاصية المادة): قابلية المادة واهلية المادة ولياقة المادة لئن يُفسر بها كل مانراه من وجوه ومظاهر الانتظام والدقة والتصميم والاحكام. مـا معنى نظرية خاصية المادة؟ معناها باختصار وببساطة أن المادة عناصر ومركبات سواءا تحدثنا على مستوى العناصر او عن مستوى المركبات مركبات العناصر، هذه الخاصية فيها قابلية لا تنفك عنها، هذه القابلية هي التي تفسر لنا الاحكام والدقة والنظام في الكون. للمزيد من الشرح بما ذكرناه الان، لنضرب مثالا ليتضح لنا المعنى، مثلا لنأخذ شيء مركّب تركيبا معقدا جدا كالخلية الحيوانية او الخلية النباتية فيها القابلية ان تقوم بما تقوم به، الجزيء البروتيني في الخلية مثلا، هذا مركّب ايضا من اربعين ألف ذرة احيانا تنميه عناصر خمسة معروفة، فيه قابلية ان يؤدي مايؤديه ويفعل مايفعله، لكن كيف تكوّن ؟ العناصر التي كونت هذا الجزيء فيها قابلية ان تلتئم بعضها ببعض، وبتركب بعضها مع بعض وعلى بعض. طبعا واضح الان .. بضربة واحدة ان مثل هذه النظرية تقريبا .. هُـراء مجرد هُراء، تُفسّر كل شيء وبالتالي لاتفسر شيئا، هذه النظرية في تقويمي الشخصي تُنهي العلم، كل شيء سنقول: قابلية، ولكنهم يقولون لا لايُنهي العلم، ويبقى دور عتيد للعلم وهو ان يصف مفاعيل منتوجات انتاج قابلية المادة. وهذا كلام ايضا قوي، يمكن ان يُجاب به عن شبهة انها تنهي العلم!. ومقصدته بكلمة" تنهي العلم" بمستوى اعمق و أدق وهو مستوى التعليل. .. يأتي احدهم ويقول: لا، العلم فقط يقنع بالتوصيف، لا يريد التعليل التعليل ليس من مهمات العلم .. هذا كلام للأسف، نجده في جملة وفي عدد كبير من كتب فلسفة العلم ، لكنه فعليا غير صحيح وغير مطبق، وكما ذكرت في خطبة "ويسألونك من خلق الله". ما من عالم تقريبا يستبحر علمه وتتسع مداركه ومعارفه الا ويستحيل فيلسوفا صغيرا، العلم في النهاية لا يستطيع ان يكبح جماح نفسه وشغفه المشبوب الى معرفة الاجوبة النهائية، معرفة اعماق الاشياء، العلل النهائية، التي تنتهي عند الموحدين المؤمنين، الى المبدأ الاول، وهكذا يمارس دورا ميتافيزيقيا، يتورط في الفلسفة الميتافيزيقية... هنا نظرية خاصية المادة تبطل المسعى العلمي !، ويبقى العلم ساذجا طفوليا تجريبيا حسيا، جافا خشنا ،يصف فقط ماذا

يحدث.. وبالأساس ان تقدم العلم لايمكن ان يكون رهنا بمجرد الوصف، العلم لايتقدم الا بمستويات من التعليل، يعمق بعضها فيكون اعمق من اعمق من بعض.
اذن نظرية خاصية المادة من حيث انها تزعم انها تفسر، في الحقيقة لاتفسر شيئا!. فعندما تسأل عن أي شيء تريده، ستجد الاجابة "انها خاصية المادة، المادة تفعل هذا". كأن تسأل كيف نشأت الحياة؟ نقول نشأت مثلا مع الجزيء السحري DNA (الحامض البروتيني المنزوع الاكسجين)، لكن كيف تكون هذا؟ تكوينه مسألة معضلة مسألة خوارقية اعجازية؟ يقول لك: "انها خاصية المادة، المادة تفعل هذا"، قد يكون الأصل RNA أي فرضية RNA أي:
(RNA hypothesis) في علم الاحياء الان، يقول لك فرضية RNA اولا، وكيف تكوّنَ هذا ؟!! يقول لك :" "خاصية المادة"!، كيف وجد الشطر الآخر له التحم معه و كوّن الـ DNA؟ : "خاصية المادة"! ماشاء الله على الاسلوب الجميل !!!. كيف تطورت المملكة الحيوانية؟. "خاصية المادة"! كيف تعمل المادة .. كيف .. كيف ؟ "خاصية المادة"!. > هذه نظرية مادية و جافة لكنها نظرية بلهاء ! بمعنى، انها في الحقيقة تهرب من التفسير، وتسلم بالواقع كمُعطى خام، وهنا طبعا كما قلت ينتحر العلم،أو يجمد.. لاعلم هنا، تقولي : لأنه هكذا، هذا معنى خاصية المادة لأنه هكذا، هو هكذا لأنه هكذا!. هذا اسمه بلغة فلسفة العلم: التسليم بالمعطيات الخام. نحن لا نريد ان نسلّم لا فلاسفة ولا علماء، نحن نريد ان نفهم، نريد ان نستدل، ان نُعلل، فهذه النظرية لا تُسعفنا على الاطلاق ايها الاخوة ..
طبعا وجود هدف بعيد، وغاية قَصِيّة للنظم المختلفة تسعى الى تحقيقها او الى بلوغها المفروض اذن هذه النظرية تفشل ايضا في التعاطي معها .. لماذا؟! وجود تناسق بين البِنَى المختلفة لتحقق منظومات اوسع، تفشل هذه النظرية في تفسيرها. وهذا اهم شيء في نقاش خاصية المادة .. لماذا تفشل هنا وتفشل هناك ايضا.. لأن المفروض في خاصية المادة ان تفسّر لنا كيف تتراكب وكيف تتعانق العناصر أو بعض المركبات. أما كيف يتم تنسيق ومؤازرة وتعاون، يحكي ترجمة لخطة معينة، وهذه الخطة في النهاية تحكي هدف اقصى وهدف واعٍ وعاقل وذكيّ، هذه النظرية"خاصية المادة" تفشل تماااما لا تتعاطى على هذا المستوى، لا تستطيع!. كما قلت لكم نسخة من هذه النظرية او فصل في كتاب هذه النظرية، فصل القابلية الكيميائية، كقابلية الكلور كلورين ان يتعاشق مع الصوديوم ليُكوّن بلورات ملح الطعام، يقول لك: هذا له قابلية لهذا.. (حسب التركيب الذرّي لهذا ولهذا)، وهذا مفهوم وممكن ان يحدث هذا،لكن ماهو ابعد من هذا.. تفشل هذه النظرية تماما.
نأتي الان لنوضح.. اننا ذكرنا في خطبة الخلية قبل اسابيع، أن في البدن الإنساني زُهاء مئة تريليون خليــة(التريليون: عشرة أس 12) كل خلية باستثناء كريات الدم الحمراء، وباستثناء الخلايا الجنسية التي فيها نصف الجينوم البشري، وخلايا كريات الدم الحمراء ليس فيها نواة ولذلك ليس فيها أي شيء له علاقة بالجينات اصلا.. بـإستثناء هذه و هذه > كل خلية في بدننا تحتوي على الجينوم كاملا. بواقع زُهاء اربعٍ وعشرين ألف جين مورّث هي التي تحدد بما يُعرَف بالنمط الظاهري، هذا رهن و محدد بـ المكوّن الوراثي، الجينوم، الحقيبة الوراثية الكاملة 46 كروموزوم في اربع وعشرين ألف مورّثة. اريد ان اقول نقاشا في خاصية المادة. . كل خلية تقريبا من هذه المئة تريليون خلية قادرة على ان تعكس وعلى ان تنجز كل وظائف البدن الإنساني، لأنها تحتـوي على الجينوم كــاملا، اذن لغنا الان سر التخصص.. سر كبير مدهش، لماذا تتخصص الخلية الكبدية بأن تكون خلية كبدية ؟!! فتعمل فقط فيها الجينات المطلوبة والمحدودة، وتدخل اخرى في سبات خلوي. لماذا؟! لا تقل لي قابلية المادة، هناك خطة على فكرة ، على مستوى البنية الانسانية كلها من مئة تريليون خلية، الخطة هذه توزع ال مئة تريليون خلية توزيعا دقيقا جدا جدا على الاجهزة والاعضاء! .. بحيث ينتج كل شيء من هذه المتوزعات الوظيفة، ويقوم ويطلع بالمهمة الموكولة.. مَــن الذي حدّد المهمة؟ من الذي رَسَم الغاية؟ من الذي اعطى الأوامر؟ من الذي نسّق بين المئة تريليون خلية بحيث تقوم

كل خلية المطلوب منها ؟!!!.. هنا ليس تفشل.. بل تنتحر نظرية خاصية المادة ! لا تستطيع ان تقدم شيئا على الاطلاق. مثل هذه البِنية التي تقوم على التناسق والموائمة والتكييف ومؤازرة وتعاون شامل اجمالي وتفصيلي، على مستوى البنية وعلى مستوى المئة تريليون خلية كيف تفسر لنا نظرية خاصية المادة هذه الحقيقة؟! .. لا تستطيع !
خاصية الماة تستطيع ان تزعم انها تعمل على المستوى الإفرادي، بمعنى انها تقول لك : انا استطيع ان اعرف هذه الطوبة كيف تكون مثلا، حسنا لنفترض مثلا ان النظرية فسّرت كيف نشأت الخلية ولن تستطيع طبعا.. مستحيييل، الكلام عن كومة من الطوب عشرون ألف ثلاثون ألف طوبة، والفرق بينها وبين منزل مستقل كبير او قصر مشيد شامخ ؟ كل عاقل يدرك ان ثمة فرق شاسعا بين كومة الطوب وبين القصر ! مع ان القصر في النهاية وفي الجملة عبارة عن كومة طوب ايضا.. اذن مالفرق؟ لو سألت أي عاقل عن الفرق لقال لك : ان يكمن في كلمة واحدة وهي كلمة: مخطط نُفّذ. هناك مخطط معين، لاعلاقة للطوب به، اليس كذلك ؟ تماما كما لاعلاقة للخلية بهذا المخطط !. اذن هناك مخطط عام حتى قبل انجاز البِنيَة ! انجاز البنية محكوم بهذا المخطط... الطوب مفرقا تفاريق هكذا لايساوي قصرا ولا يساوي منزلا، لايمكن ان يستحيل الطوب الى قصرا بغير مخطط يحكي وعيا ويحكي قصدا و غائية سابقة و حاكمة على اعادة مَوْضعَة هذا الطوب في اماكنها المناسبة لها، المخطط حاكم ، كما هو المخطط حاكم على كل خلية من خلايا البدن.. اين عمل قابلية المادة هنا؟ لا يوجد.
اذن تكلمنا عن البشر والتكوين البشري.. هذا الجنين الذي يكون في البداية مجرد حيمناً وبويضة مفترقين مستقلين، يتم التخصيب، ويبدأ يتكاثر الى ان يتم جنينا تاما في اشهر.. السر ان الظروف التي وُجِد فيها هذا الجنين مناسبة تماما (الرّحم) بتكويناته المعروفة، والاجواء الثلاثة، والمشيمة وكيف يتم تغذية هذا الجنين .. قصة طويلة ، علم الأجنة علم كامل، يحكي الاعجاز والإدهاش والإبهار.. اتقولون ايضا ان هذا من خاصية المادة ؟!! قبل ان يتم التلقيح الرّحم مهيّأ تماما لهذا، وحده .. هذا عالم وهذا عالم، كيف تم التنسيق بين عالمين او شيئين منفصلين ؟! اذا تم التلقيح فكل الظروف مهيأة، يتم الان الجنين رحلته ويمضي قَدَرهُ في عالمه الصغير، وهو مهيأ الان للخروج الى العالم الكبير الى الدنيا.. (ثمّ السبيل يسّرَه) الظروف مهيأة ايضا لخروجه و من مخرج ضيّق جدا ، كيف تتم عملية الولادة.. اقرؤا أي كتاب ثقافة علمية عامة في علم الولادة.. شيء عجيب ومدهش جدا الله اشار اليه بقول: (ثمّ السبيل يسّرَه) من هذا المخرج الضيق جدا كيف يتم خروج هذا الكائن ذو الثلاث كيلو جرامات او اربع واحيانا خمسة كيلوجرامات!.. بهذه الرأس الكبيرة والتكوين الغضروفي الذي سيستحيل عظما، كل شيء مهيأ، حتى اذا خرج وجد صدر امه الجنون وثدييها المهيئين تماما لئن يلتقمهما وهو مهيأ للإلتقام، ولأخذهما بيديه لكي يمتص الحليب والمطلوب والمهيّأ هذا الحليب ايضا الذي تختلف درجة كثافته، وملوحته او حلاوته ، ودفئه في اليوم اكثر من مرة بحسب ماهو المطلوب لهذا الجنين، كيف يخرج هذا الجنين وهو مزوّد بمناعة في الأشهر الاولى الستة بالذات ، مناعة اقصوية تجعله محصنا ضد الجراثيم والامراض، لانه ضعيف ليس عنده اية مناعة مكتسبة المسكين.. من الذي هيأ كل هذه الامور؟! من الذي ربط هذا بهذا وهذا بهذا ؟! قابلية المادة؟!! انا اقول لكم يبدو ان هؤلاء اخطئوا في التسمية ءامنوا بالله تبارك وتعالى، وبدلا من ان يقولوا الله هو الذي هيأ و أوجد هذه القابليات وهذه المؤازرات والتناسقات .. قالوا : المادة او خاصية المادة سمّوه خاصية المادة .. هم يتحدثون عن الله ! وإلا أريني هذه الخاصية، ماهو هذا العقل الذي يديرها.. أين؟! إن زعموا ان العلم يقف بنا على هذه الخاصية تفصيلا في كل بِنيَة .. كذب هذا غير صحيح ليس موجودا. الموجود هو العكس تماما، اشياء يمكن ان توصَف تفاريق كما هي لا نجد فيها لاعقلا ولا ذكاءا ولا ارادة ولا مخططا عاما يحكم على الجملة هلى البِنيَة كلها.. ليس موجودا هذا ! فمن اين اتى هذا المخطط ؟! . نفس الورطة التي اشرت اليها التي تورط فيها الدراونة والماديون عموما، حين يواجهون النسخة الجديدة من التصميم الذكي، والذي يُصرّ على طلب جواب عن مصدرية القوانين المؤسسة للوجود .. وليس عن تفسير بعض البُنَى لهذا الوجود ! لا لا..

بل كيف انبثق هذا الوجود، لدينا شروط ابتدائية فريدة، لأنه هذا هو الكون الوحيد لا يوجد غيره، نحن على الاقل الذي ندرسه وقابل للدراسة وقابل للتنظير، هو هذا الكون، ونه توجد اكوان اخرى، هذه لم نرها وغير قابلة للإختبار، على الاقل نحن استطعنا ان نعرف عمر هذا الكون و بوسائل علمية دقيقة، استطعنا ان نحدد الى حد بعيد جدا ارجحية صدق نظرية الانفجار الكبير بأكثر من شاهد واكثر من دليل، من ضمن ذلك اشعاع الخلفية الكونية هذا كان مددا جديدا لهذه النظرية، اذن نحن في كون قابل للإختبار، للرصد ، لذلك يقول بعض الفيزيائيين نظرية الاكوان المتعددة ايضا تعاني من مشكلة، ماذا تفعل مع من يُنكرها؟! هيا اقنعني.. ولاتستطيع ، لانها فرضية خيالية، بخلاف نظرية الانفجار الكبير مثلا، فيه اشياء هنا تشهد، مثل التطور لداروين ليس امرا خياليا، بل فرضية علمية محترمة، وفيه لها شواهد مادية على الاقل تحاول تعطيها ارجحية، فالتطوّر مثل الانفجار الكبير على فكرة .. واذا اردنا ان نكون متعصبين لمبدأ (بوبر) في قابلية التكذيب و ننكر علمية التطور ، تقريبا ممكن ننكر في عملية الانفجار الكبير ! .

سؤالنا الان .. من الذي أعدّ كل هذه الشروط، وهيأ كل تلك الظروف؟ و تحسّب لكل العوارض، انتبهوا، لدينا التحسب لعوارض مستقبلية في التكوينات الحيوية، ليس فقط التكيف الراهني، لا .. تحسب لأشياء مستقبلية. وفي التكوين الحيوي والكوني عموما خصوصيات ، كل هذه الاشياء من الذي هيأها ونسّق بينها؟! هل يمكن رد كل هذا الى خاصية المادة ؟ او الى خواص الخلية الحية مثلا؟ مستحيل لايمكن.. اذن مالسر ؟!. التناسق على مستوى البنية، سواءا البنية الكونية او البنية الحيوية، هذا التناسق امامه ثلاثة فروض ليُفسّر بها لا رابع لها،

اولا: ان يكون هذا التناسق أثر وخاصية كل مادة من مواد الطبيعة على حِدا، ان كل مادة من مواد الطبيعة أي عنصر من العناصر يمكن ان يفسر لك سر هذا التناسق. مستحيل طبعا ! هذا ساقط تماما، لكنها فرضية .

ثانيا: ان يكون هذا التناسق أثر وخاصية اجتماع هذه المواد كلها.

الفرضية الثالثة: ان يكون هذا التناسق والتآزر أثر اجتماع هذه المواد جميعها، ولكن على نحوٍ خاص.. بتعبيري: اجتمعت على نحو يُنجز تنفيذ خطة سابقة.

طبعا الاحتمال الاول ساقط في اول درجة من درجات البحث، ليس هناك احد يقول انه فيه خاصية في كل عنصر تفسر لنا الانتظام في كل بنية.. مستحيل لم يقل بهذا احد على الاطلاق. لأن العنصر وحده لا يكوّن بنية، فكيف تفسر بنية بخاصة عنصر؟! مستحيييل لابد فيه اجتماع عنصر مع عنصر مع عنصر. الان اجتمعت هذه العناصر، اجتمعت هذه المواد مجـرد اجتماع، هل هذا الاجتماع وحده مجرده يُفسر لنا التناسق والتآزر ؟؟ مستحيل، لأنه ممكن يجتمع على ايّ نحو وليس على نحوٍ خاص ! فيكون اجتماعا عشوائيا فوضويا تمــاما كالخلايا السرطانية، تتكاثر بطريقة سرطانية فتسبب الهلاك. الخلية الصحيحة والصحية تتكاثر بحسب المطلوب، ان تكاثرت خارج عن البرنامج تصبح سرطانا تُهلك !. لكـن الان بقيَ الاحتمال الثالث أن التناسق والتآزر هو مفعول ونتاج اجتماع المواد لكن على نحــوٍ خاص، يعني انها اجتمعت على هيئة وبشكل محدد كان يمكن ان تجتمع على شكل آخر الى ملايين الاشكال، يعني خذ مثلا جزيئا بروتينيا واحدا هذا الجزيء المركب من اربعين ألف ذرة، كـان يمكن لأي ذرة أن تتموضع في موضع جارتها فيستحيل الى مركب آخر، قد يستحيل الى مركب سُمٍّ زعاف! اربعون ألف يجب ان تتموضع كل ذرة في موضعها تماااما.

الحامض النووي الرّيبوزي منزوع الاكسجين DNA ، عرفنا كيف يتكون من سلسلتين والقواعد النيتروجينية تتابع بطريقة محددة ليس يغير هذه الطريقة ، لو تتابعت بطريقة اخرى > صار مركبا آخر تمــاما يفشل في اداء مهمته وهي تشفير المعلومات. اذن المادة تجتمع على نحو خاص، هذا النحو ليس ضروريا، يعني العقل لايمنع والواقع لايمنع بدليل حدوث الطفرات، او يتدخل عالِم متخصص يتلاعب في تركيب المواد فتختلف هذه التموضعات والتموقعات يستحيل النافع ضارًا والصالح فاسداً والصحيح خطئا .. اذن ليس بالضرورة ان تجتمع هكذا. انتبهوا، مهم جدا جدا في البحث عن التصميم، والبحث عن الغاية والذكاء وراء التصميم دائما ان نؤكد ان الضرورة غير حاكمة، أي يوجد مجال

للإختيار .. فيثور السؤال: و من صاحب هذا الاختيار؟! من الذي اختار الصيغة الصالحة والصحيحة التي تنتج بنية صحيحة وصالحة ؟!
يعني مثلا لو اخذنا بيت شعر لأبي الطيب المتنبي رحمه الله الذي كان يقول:
(و إذا كانت النفوس كبارا ~ تَعِبَت في مُرادها الأجساد) اذا جئنا نفككه ونحلله وجدناه حروفا، كل حرف له خاصية صوت خاص به، حسنا لو جاء احدهم وادّعى بأن وراء كل خاصية لكل حرف من هذه الحروف أمرا آخر، وهو التآزر ، التعالق، التنسيق وبهذه الصفات نرى في الأخير هذا البيت من الشعر امامنا، يحكي المعنى الذي اراده ابو الطيب المتنبي، فيه معنى في ذهن المتنبي، لو زَعَم احدا وقال: ان هذا البيت قد تولّد بهذه الطريقة، بعيـدة عن ارادة المتنبي وعن ذكـائه وعن لياقاته الادبية والشعرية، لأن الأحرف فيها خاصية المادة.. حرف الواو فيه خاصية تستدعي ان تتلوه الهمزة .. والهمزة فيها خاصية تستدعي ان يكون قبلها حرف الواو..ويتلوها حرف الذال.. > هل يُعقل هذا الكلام ؟! مستحيــل، اتعرفون لماذا؟ لأن هذا بيت من ابيات الشعر لدينا ملايين من الابيات ملايين من الجُمَل تتموضع فيها الاحرف ايضا بطريقة مختلفة ! كذلك في الطبيعة في الكون.. لدينا مركبات مختلفة، كما لدينا مركبات تحتاجها بنيتنا، ولدينا مركبات ليست لأجسامنا سُمِّيّة قاتلة كسُم الثعبان يحتاجها الثعبان، تتناوله انت فتموت يقضي عليك.. اذن لماذا خاصية المادة تفعل هنا (وفق خطة؟) هذا الذي نريده.. وهناك تفعل شيئا آخر وفق ماذا، لاندري نقول وفق خاصية.. خاصية ماذا؟ نفس الذرات نفس العناصر، لكن في هذه البنية تنتج شيئا، وفي تلك البنية تنتج شيئا مختلفاً !.. نفس الأحرف، احفظوا هذا المثال لأنه مثال جيد جدا، خذ لك أي بيت شعر لامشكلة عندي، وقولي انا اناقش خاصية المادة على هذا النحو، تفهم هذه النظرية تماما و تصيـبها في مقتل !.. لا احد يقول ان هذا البيت هو نتاج خواص الحروف، كل حرف له خاصية معينة وهو الصوت الذي يُصَوّت به، ويعبر عن كيانه، يستدعي ماذكرت لكم، فنرى بعد ذلك المعنى الكامن في قلبي الشاعر، عُبِّر عنه ببيت شعر كالذي تلوناه عليكم.. لم يقل بهذا ولايقول بهذا عاقل.. لكن للأسف، فلاسفة علماء ماديون يقولون بهذا فيما هو اصعـــب منه !
سنرى الان بعض الاشياء الحسابية السريعة.. عـالِم شهير جدا سويسري فيزيائي توفي سنة 1942 (تشارل أُوقِن قـِي) بالفرنسية، وبالعربية يسمونه (جاي)، هذا العالم حَسَب احتمال تكون جزيء بروتيني واحد بطريق الصدفة، كما يدَّعي الماديون!.. اعطني مكونات اصلية و زمنا واترك الصدفة تنجز الباقي.. (يقولون لك الباقي الصحيح هو عمل الصدفة). اذن جزيء بروتيني واحد مكون من اربعين الف ذرة، ما احتمال ان يتكون بالصدقة، بحسابات طويلة معقدة مرهقة؟! قال العالم (جاي) ان الاحتمال هو : عشرة مرفوعة الى الأُس -160 ، يعني واحد على عشرة أُس 160، يعني واحد على واحد امامه 160 صفرا !! يعني مليون مليون مليون، طبعا هذا الرقم ونذكركم للمرة الثانية انه يساوي الصفر. بعضهم كتب قبل ايام ، ينقّد عليّ في موقع اسمه الحقيقة بعنوان (الرد على احتمالات عدنان ابراهيم) عجيب.. و أنا متعجّب و حزين.. حتى خطبة أمس عن (الطاقة والمادة) بعض الناس كتبوا تحتها تعليقات .. للأسف، المستوى العلمي ضعيف جدا جدا لدى هؤلاء الإخوة!.. لايستوعبون ماذا تقول !، حتى مباديء العلم لايعرفونها، الذي ردّ على احتمالاتي قال: انت وُجِدت كله اصلا خضع لاحتمال معناه انك موجود من بين كم مئة حيوان منوي ...، يـا أخي، القضية في تكون حيوان منوي واحـد، خلية هي في الجينوم، في حامض نووي في الـ DNA واحد، وليس ألوفا منه!، هنا المبحث. عجيب، لا اعرف كيف يفكرون، او كأنه يُصِر ان يكون ملحدا، ولو ببلاهة.. عيب، حاول ان تفهم ماذا يُلقى إليك. انا لستُ في حرب مع هؤلاء، بل على العكس انا اتمنى لهم كل خير، وأسعد جدا حينما يهتدون الى ما اعتقد انها الحقيقة التي اعيش بها وأنا بها سعيد ومكتمل بفضل الله تعالى، هذه ليست حـرب.. حتى عنوان المطرقة هذه عنوان صحفي دعائي فقط، لكن ليس فيه اسلوب الطرق ولا التهشيم ابدا ابدا. لست قدّوما ولا ارى غيري مساميرا، ادق في اخشاب البلاهة وأخشاب الحصرية والانغلاقية، لا لست احب ان ارى نفسي كذلك.. كتب المنتقد

: ينتقد على موضوع حد الاحتمالية الشاملة المُلزمة لـ (ويليام دِمسكي) قال " لا ادري اصلا كيف حسبها (دمسكي) وهذا من نجوم التصميم الذكي.. > كأن هذا بحده بالذات تهمة!! < اذا كنت تقول بالتصميم الذكي فأنت غبي!.. ابدا ليس كذلك، نـاقش الحجة كما هي، وسأتلو عليكم مرة اخرى من أين اتى بهذا الرقم العجيب، (دمسكي) قال: " أي احتمال يتجاوز هذا الاحتمال الذي حددته يساوي الصفر، عدم، مستحييل ان يقع: عشرة مرفوعة للأس -150" إذا عشرة مرفوعة للأس -151 =عَدم، -150 = عدم، -149= احتمال وارد، وهذا مقدار احتماله! واحد على واحد وأمامه 149 صفر = احتمال ضعيف جدا جدا جدا، لكنه ممكن في هذا الحد فقط، لكنه ليس عدم فالعدم هو الصفر. اذا عشرة مرفوعة للأس -150 لماذا ؟ ويقول الناقد"لا اعرف من اين اتى بها دمسكي"، أتى بها بطريقة ذكية جدا جدا ذكية و محكمة، هذا الرجل (دمسكي) قال انها بحسب معطيات العلماء ومقرراتهم، وهي عدد الدقائق الذرية في الكون المرصود والقابل للرصد – هكذا كتب بالضبط- عددها عشرة أُس 80 فقط في الكون كله ! وهذا عدد الدقائق الذرية وليست الذرات، معناها ان عشرة أُس 100 مخيف.. طبعا!، ليس بسهل، بعضهم يقول "هذا شيء عادي في اصبع يدي من الدقائق الذرية عشرة أُس "500، هذا ليس بفاهم شيء! ثانيا: التحولات الفيزيائية التي تحدث في الثانية الواحدة اقصـ معدل لها كم؟ عشرة أُس 45 تحول في الثانية، هذا اسرع تحول ممكن غير هذا مستحييل، لأنه يتخطى حتى زمان بلانك، وهذا عكس زمان بلانك، وقال (دمسكي) هذا معكوس زمان بلانك!، غير هكذا لاتوجد امكانية يحصل أي تحول، فنحن عندنا اكبر احتمال اقصى حد ممكن لأكبر عدد من التحولات يقع في الثانية (عشرة أس 45 تحول) يعني اجراء العمليات اسرع مايكون في الثانية. بعد ذلك لديك عشرة أُس 25 مليار مرة طول عمر الكون محسوبا بالثواني، هيا احسبها: اضرب عشرة أُس 80 بِـ عشرة أُس 45 بِـ عشرة أُس 25 ستكون النتيجة عشرة أُس 150 !! فكرة عبقريــة.. فإذا لدينا أي احتمال سيكون واحد على عشرة أُس 150 ولن يكون هذا الاحتمال موجودا فالكون لايسمح، الدقائق لاتسمح، سرعة العمليات لاتسمح، عمر الكون لايسمح، كله لايسمح.. اذا كان نشوء وانبثاق جزيء بروتيني واحد كما قال (تشارل يوقن قـِي) انه عشرة أُس -160 معناته هذا يساوي الصفر او لايساويه؟ انه يساوي الصفر. أي حسابيا علميا .. مستحيل ان يتكون جزيء بروتيني واحد بالصـــدفة!..

(تشارل يوقن قـِي) حسب الزمن الذي سنعطيه نحن زمن طويل جدا جدا.. تتفاعل هذه المواد تشتغل وتُخَض في عشرة أُس 243 سنة ! لايوجد عمر مثل هذا !! الكون كم يبلغ عمره؟ ثلاثة عشر مليار سنة و سبعمئة مليون ، يعني 13,7 × عشرة أُس 9 . فقط. هذا عمر الكون. ومع ذلـك سيظل الاحتمال عشرة أُس -160 . فالذين يلحدون ويتكلموا بإسم العلم نرجوا ان يسمعوا هذا، يقولون : لالا نحن عندنا الأجوبة.. عندنا التطور التعاوني، لدينا التطور التراكمي، لدينا التطور قبل البيولوجي.... سوف نرى الحيلة القابعة خلف كـل هذا الكلام.

لدينا عشرة أُس 243 الكون الذي يتم فيه تفاعل المكونات والعناصر، كلما كان اكبر كلما كان افضل، لأن تكون فيه المادة كثيرة جدا، وكلما كان الكون اصغر كلما كان الاحتمال اضعف. قال لك انا اريد كون يكون نصف قطره عشرة أُس 82 سنة ضوئية!. حسنا من يقول لي كم يبلغ نصف قطر كَوْنُنا ؟ إنه 13,7 × عشرة أُس 9 سنة ضوئية الان.. لماذا هذه العملية معقدة الى الدرجة هذه؟! لأن عالم انجليزي آخر حَسَب رياضيا عدد الطرق التي ممكن ان تتحد بها ذرات الجزيء البروتيني، نحن قلنا اربعين ألف ذرة من عناصر خمسة تتحد بشكل محدد، والطرق التي ممكن تتحد بها هذه الذرات عددها كثير جدا جدا قال لك تساوي عشرة أُس 48 ، تريليونات الطُرّق ! أي تريليون تريليون تريليون تريليون طريقة.. ونحن نريد طريقة واحدة منها فقط، كالإختبار فيه سؤال و له من الأجوبة : تريليون اربع مرات .. وفيه اجابة واحدة فقط هي الصحيحة!.. عمل مرهق للتفكير حقا، قد يقول احدهم: لالا، هذه امتحانات جنونية، هذه امتحانات لا مجال فيها للنجاح، لا مجال فيها لدخول التحدي، لا مجال فيها للصدفة... اتعرفون لماذا ؟ بالضبـط لأنها تحكي الفرق بين الخالق والمخلوق !!! { أفمن يخلقُ كمن لا يخلُق افلا تعقلون} الحديث عن الخـلق

الآن، خلق الحياة ، خلق المادة، خلق كذا .. عن الخلْق من العَــدَم ، لا مجال للتحدي اصلا، لا مجال للنجاح، لا مجال للصدفة والعشوائية.. لاااا يوجد نهائيا، بالضبط هو الفرق بين الإنسان وبين ربّ الإنسان، بين الكون و ربِّ الكون، بين المادة و ربِّ المادة الذي لا إله إلا هو. امور تُدخلنا في العدم دائما وفي الصّفرية وفي اللانهائيات.
حُجّة مهمة، حتى لا انسى، لو كان هذا النظام الذي نراه في أي بنية من البناء هو فعلا من خواص المادة وخاصية المادة وقابلية العناصر تُفسّرهُ، لكان معنى ذلك اننا وصلنا الى "الكأس المقدّسة"، لكل المباحث العلمية كأس المقدسة للفيزياء، كأس المقدسة للكونيات، الكأس المقدسة للحيويات، لكل شيء. اذا كانت خواص المادة تفسر لنا النظام هذا و أي نظام في أي منظومة معاناها فقط المعرفة بالمادة معرفة دقيقة تستطيع ان تدلنا على كل نظام محتمل دون ان نقف على تفاصيله. القــاعدة الفلسفيـة: < المعرفة بالعلة، تستلزم المعرفة بالمعلول > ماهي علّة النظام هذا؟ المادة و حواص المادة، نحاول ان نعرف المادة وخواص المادة، ويتساءل احدهم: وما اعرفني بخواص المادة؟ اذن معناتها انت تفسّر بشيء انت تجهله، وهو مجهول، وتريد ان تقنعني انك تريد ان تفسّر فتقول لي"من خواص المادة"... أي خواص ؟ انه كما تفسر بـ : x x x يُفسر لي النظام !. اذا انت صادق و جاد في الاعتقاد بنظرية خاصية المادة بطريقة واضحة جدا، فهذا يستلزم لزوما منطقيا واضحا: أن الوقوف على المادة ومعرفة خواص المادة يستلزم منطقيا المعرفة بالنظم الناتجة والمفعولة لهذه الخواص، ضرورة ان المعرفة بالعلة معرفة بالمعلومة.. وهذا الكلام غير صحيح، ولاحتى الماديين يقولون بهذا، وهذه ليست طريقة للعلم وتقدم العلم.. يعرفون المادة وخواص المادة ثم يتركونها، ويبدؤن في الافتراضات واجتراح النظريات، وتخيل نماذج واختبارها، لا ، أليس عندهم طريقة مختصرة جدا وهي ان تترك كل السعي والجهد في المادة فقط !
مـادة ماذا والعلماء الكبار يقولون الكون اقرب الى فكرة منه ان يكون آلة، فضلا عن ان يكون مادة! ، وليست متركبة في شكل آلة ايضا .. (تشارلز داورين) في السيرة الذاتية عنده عبارة : "بالحَرِيْ من المستحيل هذا ماقضى به عقلي أنه من الصعب بل من المستحيل ان يوصف هذا الكون الهائل، والمُعجِب بمافيه الإنسان بقابلياته للتحسب لمصالحه ومنافعه أن تكـــون وليـدة الصدفـة العمياَء، بل على العكس، هذا يؤكد وجود ذكاء وتخطيط على نحو مشابه ومماثل للذي عند الانسان"، وهذا مبدأ مهم جدا في معقولية العالم، وهذا معنى أن الله خلق آدم على صورته، نحن فينا نفس إلهي } فنفخت فيه من روحي {، مسألة البحث الانساني، الذكاء الانساني، الوعي الانساني، تشوق الانسان الى المجهول، البحث عن الرب الذي لا اله الا هو، محاولة تفسير الأمور، طبعا ما اضيق نظرية الماديين والطبيعيين الذين يرون ان العقل والوعي مجرد وسيلة ذريعة للبقاء. كلام سخيف.. سخيف جدا، لأنه مستحيل البحث عن نشأة الكون هو شرط للبقاء.. عرفت النشأة او لم تعرفها فهذا ليس له علاقة ببقاءك كإنسان على الأرض على الاطلاق.. أليس كذلك ؟! الكائنات الأخرى سبقتنا الى كوكبنا الازرق الجميل ولا تزال تعاصرنا و ربما نفنى وتبقى هي على انها لاتعرف شيئا مما يشتغل به الوعي الإنساني !!
من مقـولاتي: الإلحـاد انتحار عقلي، والإلحـاد والإغراق في المادية مهـانة إنسانيــة ! لأننا نُصر على ان نهين الإنسان، وان نختزله وأن نخفض قيمته، نظرة تخفيضية تسخيفية وتسفيهية للإنسان و موقع الإنسان في الوجود، وموقع الانسان حتى إزاء وعيِه وإحساسه بالكرامة الذاتية، من اجل ماذا؟ ان ننكر وجود الغيبيات والآلهة والإله وكذا .. لماذا ؟! أنت من سيخسر، الإله على فرض وجوده (و في اعتقادي أنه موجود حتما) هو لا يخسر شيئاً ! دائما انت الذي تخسر .. أنت تُلحد وتخسر دائـما، هو (الإله) لايربح ولا يخسر، لأنه ليس بصدد مسابقة اصلا، هو لايدخل في مسابقة.. الطبيعيون لايفهمون هذا.. المساكين. لكن العقل – كما يقول (جون ديوي)- هو وسيلة فقط للبقاء، آلة مثل الاعضاء والاحشاء والجوارح فقط. . أهذا هو ؟! غير صحيح.. بالمررة غير صحيح، هذا لايفسر نشوء الفلسفة والأطب والفِكرِ والعلوم.. شروط البقاء جِدّ منزور ومحدودة.. لن اُعيدها فقد ذكرناها سابقاً .

نأتي الى مثال آخر، جزيء الهيموجلوبين – الجزيء السحري هذا – هو سبب من اهم اسباب حياتنا و امتدادنا لأنه ينقل الأوكسجين من الرئتين الى سائر النُسُج والخلايا، هذا الجزيء جزيء بروتيني متوسط الضخامة، فيه جزيء الأنسولين مثلا، يتكون من واحد وخمسين حمضا نوويا، في الجسم الانساني كما تعلمون عشرون حمضاً أمينياً، في العالم في الأرض زُهاء ثمانين حمضاً أمينياً، في الخلية في الجسم الانساني عشرون حمضا امينيا من توليفها وتكريرها وتركيبها تتكون البروتينات المختلفة، احماض نووية أنزيمات .. الخ، 539 حمضا أمينيا يتكون الهيموجلوبين، بياض البيض بروتينيّ فيه 670 حمضا امينيا، وهذا متوسط الضخامة ايضا!، توجد جزيئيات بروتينية اضخم من هذا. دعونا مع الهيموجلوبين فيه 539 حمض أميني هي توليف وتكرار مؤلف لعشرين حمضا امينيا .. طبعا هذه الأحماض كلها يساريّة، كيف يمكن لجزيء بروتيني محدد (ليكن الهيموجلوبين) ان يحظى بشكله الفراغي من بين امكانات كثيرة حيادية، يمينية، يسارية، يأخذ هذا الشكل الفراغي المتفرّد المطلوب لكي يؤدي مهمته، كيف تتم هذه العملية، ماهو الاحتمال ان تتم هذه العملية بالصدفة بالعشوائية؟! لأن كل هذه الأشكال بالفراغية كما قلت لكم كلها ممكنة، هل تم تجريب كل هالإمكانات في الطبيعة، وربما بخاصية المادة، ربما بالإنتخاب الطبيعي، تم فيما بعد انتخاب صيغة واحدة (للتبسيط وللتسهيل من قبل العلماء الذين قالوا لانريد ان نعمل على 539 حمض أميني، فهذا كثير وعملية مرهقة) وأخذوا 100 حمض اميني، طبعا لكل حمض اميني له 3 وقع فراغي (حيادي، يميني، يساري)، والاحتمالات لمجموع الموجود كله: ثلاثة مرفوع للأس 100 وهو ان تقوم بعملية ضرب العدد 3 في نفسه مئة مـرة..> نتيجة مخيفة في تضاعفها وهي كما حسبها العلماء: 5×10 مرفوعة للأس 47 تريليونات تريليونات المرات، يعني 500 مليار مليار مليار مليار مليار احتمال ... والمطلوب منها احتمال واحد فقط !. . التغير من تشكيل الى تشكيل ييستغرق عشرة مرفوعة للأُس -13 من الثانية، يعني جزء من عشرة آلاف من مليار جزء، لو قسمنا الثانية الى عشرة آلاف مليار جزء، جزء منها يتم تجريب شكل آخر، وهذا جزيء بروتيني واحد يا اخواني.. لنعلم كم هي معجزة، ولماذا في الأخير قال (ريشارد دوكينز) انه تصميم!.. وماقاله كان في مقطع فيديو تجدونه في موقع اليوتيوب. نعـود للهيموجلوبين .. عدد الترتيبات الآن التي يمكن ان تتراص فيها تلك الأحماض الأمينية هي: عشرة أُس 620 .. شيء لايُصدّق، ومن هذا الرقم من عشرة أُس 620 ترتيب الى 539 حامض اميني .. واحـد هو المطلوب، ترتيب واحد فقط ولاينفع غير هذا! . أي خطأ واحد في غير موضعه لن يتكون الهيموجلوبين، سيتكون شيء آخر، وأين يتم هذا؟ في الخلايـا و بأي سرعة؟ كما قلت: في كل ثانية ألفين جزيء بروتيني، كأن تقول: الله .. تكون انتهى تكوين ألفين جزيء بروتيني !! .. هذه قدرة الله العاملة هنا واضح جدا جدا جدا، هذه قدرة ربانية تعمل هنا، } أفمن يخلقُ كمن لا يخلُق { يا أخي ؟!!! هذا الحي القيوم الذي لا إله الا هو، لاتقول لي لا مادة، لا تقولي عبث.. كلام جنوني هذا ، انتحار هذا ، فعلا انتحار!. قال لك سوف نغذي حاسوب فائق وخارق بالمعلومات المطلوبة الخاصة بـِ لف السلاسل الببتيدية للجزيء البروتيني (احماض مع بعضها تكون سلاسل ببتيدية)، و تُلَف هذه السلاسل بطريقة محددة وليست بأية طريقة! ، و نريد جزيء بروتيني مكون من مئة حمض اميني ايضا ليس جزيء اليهموجلوبين، وسنرى كم يحتاج الحاسوب الخارق هذا لـِ لف هذه السلاسل لفّا عشوائيا، وفيما بعد وبالصدفة سيكون هناك احتمال واحد فقط ينجح بلفّها بالطريقة المطلوبة الصحيحة .. بالصدفة كم يحتاج ليعمل هذا الحاسوب لكي يصل الى المطلوب ..بالصدفة وليس من تعليماتنا نحن نعطيه ان يعمل كما نريد.. عشوائيا كما عمل الكون مثل ماقالوا انه عشوائيا؟! حسنا ليقم باللف عشوائيا .. اذن يحتاج الحاسوب الخارق لكي ينجح في هذا عشوائيا الى عشرة أُس 127 سنة ! .. شيء لايكاد يصدق ! يعني يكون تريليونات من عمر الكون لكي ينجح فقط في الوصول الى اللّفة المطلوبة !!!! . الخليّة تقوم بهذا بجزء يسيـر من الثانية ، تنتهي من اللف المطلوب و لفـّاً صحيـحا لايتحول الى سُمّ !!.

نختـم هذه الحلقة بالحوار عن " القابليـة الكيميائيـة" هي نسخة منقّحة تنقيحا ساذجا من "خاصية المادة" هي فصل في كتاب خاصية المادة، وقالو بالقابلية الكيمياوية نحن نفسر تكوّن الـ RNA و DNA لأن الاحماض الامينية فيها

قابلية .. طبعا لابأس هذه نقطة متقدمة جدا ، نريد ماقبل هذا وهو معرفة كيف تكون الحمض الاميني .. هل بالقابلية؟! وليس هذا فحسب.. بل سنتورط في معضلة "الدجاجة اولا ام البيضة" !، فمن الذي يُكَوِّن الحمض الاميني؟ كيف تتكوّن الاحماض الامينية؟ تتكون بالأمر من الاحماض النووية، عبر مساعدة الأنزيمات.. لكن الاحماض النووية هذه كيــف تكونت ؟! .. انتبهوا، في البدء كانت المعلومة، في الأول كان يوجد مخطّط .. دائما !، أو كما في الإنجيل: في البدء كانت الكلمة. فعلا هذه كلمة عظيمة جدا وحقيقية، و أنا اقول لكم في البدء كان الوعــي أي كانت المعلومة.. لا نحبّذ ان نصف الله بالوعي.. لكن هذه لغتهم .. لكي يفهموها ، لايفهمون غير لغة "ان في البدء كان العقل، الوعي" وهو الأصل: ان في البدء كــان اللـه .. إذا اردنا ان نعرف من الأول. فهو (الله) الأول، و (الآخر) ينتهي كل شيء عنده، الأول لا أول قبله وبلا اولية، واذا لم تصل اليه لا تصل الى تفسير نهائي، وممكن تتورط في الخرافات وتغرق في اللانهاية الخرافية، اما نحن فلا.. لدينا لا نهاية لكنه معقول جدا جدا لأنه يحكي وعيا، ويُترجم عن وعي، ويعمل بوعي، وتفسير نبي الأشياء هو التفسير الواعي، وهو الأقرب وهو الأبسط.. من غير تعقيدات ليس لها معنى.

فقالك بالقابلية الكيمياوية تتجمع الاحماض الامينية وتتكون بروتينات، تتجمع القواعد النيتروجينية (أدونين، ثايمين، ساتوزين، قوانين) بتكوّن الحمض النووي RNAو DNA . يوجد عالِم امريكي (دين كانين) مازال حيا الى اليوم لديه كتاب اسمه < القدَر الكيمياوي الحيوي >، هذا عالم كان تطوريا وهو عالم بيولوجي، وكان من المتحمسين لفرضية القابلية الكيمياوية، ثم اكتشف بعد ذلك انه هذه الفرضية لا تستطيع ان تفسر لنا شيئا، وسنرى الان لماذا هي كذلك .. انت تتكلم عن قابلية، لنرى واحدة من سلاسل الـ RNA، وكما نعلم انه يوجد تتابع معلوم بين القواعد النيتروجينية : فالأدونين دائما يقابله الثايمين، والساتوزين دائما يقابله القُوانين، كما ذكرتُ في خطبة سابقة ان هذا مايسمى بالتعاشق بين هذه القواعد.. جميل جدا.. فيأتون اصحاب فرضية القابلية الكيمياوية وينهون تفسيرهم بأنه هذا هو ..رأينا التتابع وهذا هو تفسير نشوء الحمض ! لا أنت لم تفسر شيئا.. لم تقل شيئا!، القابلية الكيميائية مثل مافهم (كانين) قال تفسِّر لنا التتابع فقط التتابع لتلك القواعد، لكن لا تفسر تتابعا مخصوصا . و نؤكد ونعيد أن العقل الفلسفي اذا عَمِلَ صحيحا فهو عقل محترم، والعلم وحده لا يجدِ بدون فلسفة، خاصة اذا تنطّع العلم يقدم تفسيرات، وينخرط في نقاشات لاهوتية حول قضايا ميتافيزيقية ودينية لاينفع، يعني قبل ان تقرأ لـ (كانين) وأمثاله، قبل أن يتوصلوا حتى الى هذه الحقائق العلمية المحترمة، العقل الفلسفي كان يقول بهذا.. خاصية المادة تفشل وفقَ الفرضين الأوليين في تفسير النظام والتناسق، وفق الفرضية الثالثة وهي الفرضية التي تقضي على خاصية المادة! لأن التناسق يُفَسّر باجتماع عدد من المواد لكن على نحوٍ خاص ومخصوص. يقول هذا العالم(كانين): " القابلية الكيمياوية تفسر لنا التتابع، لكن ممكن التتابع يكون مثلا AT AT AT AT .... ، وهذا التتابع خلو من المعنى ولا دلالة له، هذا ليس تتابعا موجودا في الـDNA هذا لا يُرَمِّز أي شيء ولايُشفّر أي شيء!، فالقابلية الكيمياوية على هذا تقتصر فقط تتابع هذا مع هذا .. لكن التتابع وفق طريقة معينة يُفهمنا انه تتابع قصدي غائي. الآن في اللغة مثلا كيف تتم التتابع؟ كأن نقول : أ بي أ بي أ بي ...... لاتوجد لغة ! لكن لو قلنا مثلا: أب يضرب ابنه ليؤدبه ... اذن هنا نجد تتابع معقد ليس بسيطا!، وهذا اول فرق ذكره (كانين) بمعنى انه التكرار ممنوع يكون فيه انتظام، أي انتظام في التكرار يخرجه عن الدلالة، يفشل في الترميز، الـDNA لايوجد فيه كهذا ولا أي تكرار بسيط، لذلك في اللغة كما في هذه البِنى الحيوية وحتى الطبيعية، لكي يكون لدينا شيء فيه دلالة لابد ان يكون فيه تتابع او تكرار غير منتظم ويُراعى قواعد بعينها. إذا اردنا ان نفهم ماهو التعقيد؟ التعقيد ينفط الى 3 اشياء: 1/ التنوّع. 2/ عدم الانتظام. 3/ عدم القابلية للتنبؤ به. الان فهي قفزة فلسفية، نوع من التفكير الفلسفي.. قوانين الطبيعة الفيزيائية في العالم: تتسم بإنتظام كطلوع الشمس كل يوم بمبدأ ودليل حتى اننا نتنبأ متى تُكسَف الشمس أليس كذلك ؟! وتتصف بالتكرار.. اذن ليست الطبيعة هي مصدر هذا، لأن فاقد الشيء لايُعطيه، يقولون الطبيعة الكون فعل هذا، ليس

كذلك، بل يوجد شيء مفارِق لهذا الشيء.. يبقى العقل والوعي مصدرا للتخطيط، للبرمجة ومصدرا للتصميم. اما ان يُنسب هذا الى الطبيعة او الى العشوائية او الصدفة او الانتخاب الطبيعي او القابلية الكيمياوية، او القوانين البيعية نفسها كل هذا للأسف، اغراق في غموض زائد، وهروب من التفسير المقبول الصحيح.

نكتفي هذه الليلة على ان نكمل في الحلقة المقبلة ان شاءالله
شكر الله لكم والسلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته



الحلقة العاشرة برهان النظم 5

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
} أوَلم يَرَوْا كيف يبدِيءُ الله الخَلقَ ثمّ يُعيدُه إنّ ذلك على اللهِ يسير قُل سيروا في الأرض فانظروا كيف بَدَأَ الخلق ثمّ اللهُ يُنشيءُ النّشأة الآخرَة إنّ الله على كل شيء قدير يُعذّبُ من يشاءُ و يرحمُ من يشاءُ وإليهِ تُقلَبون وما أنتم بمُعجزين في الأرض ولا في السّماء ومالكم من دونِ اللهِ من وليّ ولا نَصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يَئِسوا من رحمتي و أولئك لهم عذابٌ أليم فما كان جواب قومه الا أنْ قالوا اقتلوهُ او حرّقوه فأنجاهُ الله من النار إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون و قال لإنما اتخذتّم من دون اللهِ أوثاناً مودةَ بينكم في الحياة الدنيا ثمّ يومَ القيامة يكفُرُ بعضكم بِبَعض وَ يلعنُ بعضُكم بَعضاً و مأواكمُ النارُ وَ مالَكم من ناصرين { صدق الله العظيم وبلّغ رسوله الكريم، ونحن على ذلك من الشاهدين، اللهم اجعلنا من شداء الحق القائمين بالقسط.. اللهم آمين

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ويرضى عدد خلقه و رضى نفسه ومداد كلماته و حمَلة عرشه.
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، و اشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله..اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الميامين واتباعهم بإحسان الى يوم الدين. سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك انت العليم الحكيم، اللهم علمنا بما ينفعنا، ونفعنا بما علمتنا و زدنا علما واهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك انك تهدي من تشاء الى سراط مستقيم . اما بعد،

اخواني اخواتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته....

تحدثنا في آخر الحلقة السابقة عن التعقيد الذي هو سمة للمنظومات الحية بالذات، (دوكينز) في الفصل الأول من كتابه <صانع الساعات الأعمى> يزعم ان التعقيد هو سمة للمتعضّيات فقط، وأما البسائط فهي كائنات و موجودات لأشياء العالم الطبيعي الأشياء الفيزيائية، وهذا الكلام سنثبت ايضا انه غير صحيح، وهو نظرة مغالية في التخصص، ينظر الى تخصصه على انه يتّسم بنوع زائد من التعقيد الذي يحتاج الى قدرة تفسيرية اعلى... هذا غير صحيح، فالعالم الطبيعي واشياء العالم الطبيعي ليست كما يظن هو، والعجيب أنه جعل حتى "الاكواركات" من هذه البسائط، .... وقراءة سريعة وعجلى لقصة الاكوارك وكيف تمّ افتراضه في البداية كدُقَيّقة خيالية افتراضية على يد (فيرمان) ثم بعد ذلك تقريبا تبرهن او ثبت انه اقرب الى الواقع!، وله وجود واقعي يدرك انها مسألة غير بسيطة، وأن وجود هذه الدقائق تحت الذرية ليس وجودا بسيطا بل هو وجود معقد الى حد بعيد، والوجود الحيوي للمتعضيات كلها مشروط بمدى الترابطية والعلائقية بين كائنات ودقائق العالم الذري وتحت الذري، هذا واضح جدا لمن درس هذه المسائل.. لكن الرجل يرسل الكلام على عوائنه .. تحدثنا عن (كانين) عن رأيه في التعقيد، وختمنا بالقول أنه لابد من وجود عقل وذكاء و وعي وإرادة وقصد من وراء كل هذن النّظُم والتصاميم، وذكرنا أنه مثلا في تعاقب القواعد النيتروجينية في جُزَيْء الحامض النووي هناك شيء تفشل فيه نظرية خاصية المادة عامة فشلا ذريعا ومدوّياً في تفسيره .. وهو تتابع القواعد النيتروجينية، و أهم شيء في هذا الجُزَيْء للحامض النووي هو هذا التتابع.. فلو تخيلنا هذا اللولب المزدوج، لدينا هنا السكر الرّايبوزي المنقوص الأوكسجين وفي الطرف الآخر من السلسلة الأخرى ايضا موجود هذا

السكر.. مُعتلق من اعلاه مجموعة الفوسفات ومن ادناه كذلك ترتبط بسكر الرايبوز، اذن هذا السكر دائما هو هنا.. بعد ذلك تلتئم القاعدة بهذا السكر الرايبوزي مثلا (الادونين) ودائما (الادونين) يأتي مع (الثايمين) باستمرار ، بينهما رابطا هيدروجينيا، بعد ذلك يأتي ال(الساتوزين) وبينه وبين ال(إقوانين) رابطا هيدروجينيا كذلك.. كل هذه المكونات مرتبطة برابطة، إلا القواعد النيتروجينية في السلسلة الواحدة فهي غير مرتبطة.. هذه القاعدة غير مرتبطة بالقاعدة التي تليها تحتها، مايعني انه كان ممكن ان يكون (الساتوزين) بمكان (الادونين) وتتبدل المواقع.. فلو تبدلت المواقع فشلَت الشيفرة .. انتهى كل شيء وضاعت المعلومة، ونحن قلنا ان هذا التتابع ليس مجرد تتابع مجرد بسيط، إنما هو تتابع لا منتظم معقد غيـر اعتباطيا، (وامعنى كلمة اعتباطي،تعسّفي : أي الذي لايحكي معنى).. فعلمُ الوراثة يدور على فك هذه المنظومات المتتابعة تتابعا غير منتظم، مع إن القواعد النيتروجينية غير مرتبطة ببعضها البعض في السلسلة الواحدة، لاهنا ولاهنا، فيُمكن ان يحدث تبادل مواقع وبسهولة ولايوجد أي مانع كيميائي!... وهم يتحدثون عن قابلية كيميائية، وفي الحقيقة لاتتبادل ابدا – الا في حدوث طفرات بالطبع، معظمها مخرّب ومُهلك في حق الحيوانات- وهذا التتابع هو تتابع مُشفّر.. مُرمّز يحمل رسالة، هذه الرسالة هي التي تصنع البنية الحيّة.. كما قلت لكم كل مايُعرف بالنمط الظاهري > هو يَدين للنمط الجيني.. والنمط الجيني يمكن اختزاله في هذه الحامض النووي DNA أهم شيء فيه هو تتابع هذه القواعد .. والسؤال هو :

من الذي رسَم وَ حدد وخطّط هذا التتابع ؟!

إن كانت اجابتك بـ : انها القابلية الكيمياوية... > ستكون خاطئة، فالكيمياء تسمح بتبادل الامكنة بين هذه المواد، والكيمياء لاتوجب هذا التتابع !.. ابدا، ليس لدينا أي تبرير او تسويغ كيميائي لهذا التتابع لامن قريب ولا من بعيد.. و هنا أتحدى ليس الملاحدة وإنما علماء الكيمياء والوراثة نتحدى كل علماء الدنيا، بل على العكس هم بكل تواضع – لايتّسم به بعض الملاحدة البسطاء السذّج- قالوا: لا، بما ان المسألة على هذا النحو – بكل تواضع قالوا: لنطهر ضيرنا و نُنَوّر مسيرتنا العلمية، نحن نتراجع ونعلن الاستسلام ونقول (المسألة من ورائها سرّ كبير).. لاقابلية كيمياوية ولاخاصية مادة .. يوجد ذكاء يوجد مُصمّم. (اسحاق نيوتن) في ملحق كتابه العظيم المشهور جدا الان <المبادىء> الرياضية الفلسفة الطبيعية قال: ((إن الانتظام والروعة المتمثّلة في مجموعتنا الشمسية تحكي ولابد عن قصد وهدف لرب خالق مبدع مصمّم، لايـجوز أن يقال أنه روح الكـون)) .. هذا ليس علما إنه فلسفة، لكن يقولها عالم كبير، ودائـــما تذكروا هذا: عند البحث عن النهايات، والبحث عن الأجوبة الأقصوية النهائية يتتاخم العلم مع الميتافيزيقا، العلم مع الفلسفة، العلم مع الدين.. تقريبا تزول الحدود .. وهذه العبارة التي ذكرها العالِم (جورج سموت) الفيزيائي الكبير والذي اشتُهِر بفضل ابحاثه الدقيـقة على اشعة الخلفية الكونية صاحب كتاب <تجعدات الزمان> قال دائما حين نبحث عن اجوبة للاسئلة النهائية فإنه يكاد يزول الحاجز بين العلم وبين الميتافيزيقا !.. لاتقل لي اننا نتحدث كعلم، نتحدث كفلسفة الان.. رغمـا عنك، أو تبقى متواضعا اختزاليا كيمياويا، فيزيائيا، فلكيا .. تتحرك في حدود بسيطة جدا ولا علاقة لك بهذه المسائل لاتتطرق اليها لانفيا ولا اثباتا.. اما اذا اردت ان تتطرق اليها فلابد لك ان تتكلم وفق منظور مختلف، منظور فيلسوف، منظور لاهوتي. بعضهم لايحب كلمة فلسفة، سيرتها ليست حسنة عند علماء اليوم.. يعتبرونها مزيجا من الأهواء ومن التأملات ومن الانطباعيات والاشياء التي لاحقائق لها ولاوقائع تدعمها.. كما عرفون.. الميتافيزيقيا تهدم صرحها عند هؤلاء..لكنها تبقى في نظرهم افضل من الدين، لايحبون كلمة الدين والفلسفة.. ماذا يسمونه؟ يسمونه ماوراء العلم، وهو لايبحث في قضايا العلم.. لالا، يبحث في صلوحية العلم نفسه، في مشروعية العلم، في مصوّغيّة العلم، يعني هو نوع من البحث المنهجي لكن يحفر تحت الأسس ذاتها، ولذلك يقولون: (الميتا سؤال).. الأسئلة الميتاوية .. مثل هذه الاسئلة (الميتاوية).. هذا تعبير ملطّف من هؤلاء العلماء المتشبثين بلفظة العلم عن هموم ميتافيزيقية .(بولكنق هور) الإنجليزي–زميل (ستيفين هوكنق) لكنه مؤمن وهو عالم كبير وعالم في الدقائق الذرية واكتشف بعضها في السبيعينيات - هو الذي سماه : ميتاعِلم، ميتاسؤال .. عالمٌ

مؤمن بالله وله منظور فلسفي ممتاز ابرزه في كتاباته، وسبق ونقلت في خطبتي عن (ستيفين هوكنق) من الايمان الى الالحاد.. نقلت عنه سخريته من (ستيفين هوكنق)، وهي سخرية في مكانها وهي محقّة تمـاما ! قال: "(ستيفين هوكنق) عالم كبير فذ، يعني من وزن علماء نوبل -ليس اقل منهم، لكن نوبل لاتعطى الا وفق معايير محددة،وهو الى الان يتخبط لم ينتهي.. لديه بعض الكشوفات، النظريات الجيدة، لكن ليس بالحجم الذي يستحق عليه جائزة نوبل- ولكن حين يذهب (ستيفين هوكنق) يتكلم في قضايا لاهوتية فلسفية، يمكن ببساطة ان يُتهم بسذاجة !". ونحن قلنا هذا ايضا.. وعلى فكرة (سام هيريز) و(ريتشارد دوكنز) وامثال هؤلاء ليسوا احسن حالا حين يتكلمون في قضايا دينية وفلسفية فهم يعربون عن سذاجة بعيدة جدا وسطحية... لكن يغترّ بهم الشباب الذي للأسف لم يؤسس نفسه فلسفيا وربما حتى علميا بالطريقة المطلوبة..

نظرية القابلية وخاصية المادة يمكن ان تفسّر لنا شوق وانجذاب الاحجار الى بعضها البعض كما ذكرت في الحلقة السابقة عن ذلك المثال الذي ضربته عن كومة الاحجار والقصر المشيد الشامخ.. وانتبهوا، كل مثال وكل مجاز حين نذهب به الى اقصى غايته يتلاشى، يعني ممنوع في العلم ممنوع في الفكر ان تأتي بمثال، ثم تلتزم بكل تضميناته في المُمَثَّل له.. هذا خطأ تقع في مغالطات.. وجه معين ثم الى حد و تقف.. انتبهوا. ولذلك ليس النقاش حتى في المثال من دأب المحصلين كما نقول دائما. لاتناقش وتقول لي "هذا حجر ..." ، نحن نأتي بمثال، يختلف الحجر عن العنصر الكيمياوي..فعلا، هناك مايبرر الانجذاب، اما في الحقيقة الحجر لاينجذب، نحن نمثل لكي نوضّح، لهذا لاتناقش في المثال فهذا ليس من دأب المُحصّلين. حسنا القابلية الكيمياوية (حجر ينجذب الى حجر) فهمنا هذا... هـذا اقصى مايمكن ان تقدمه القابلية الكيمياوية وخاصية المادة > انجذاب عنصر الى عنصر، انجذاب حجر الى حجر، لكن لمـاذا تنجذب الأحجار هنا بطريقة مستطيلة حتى الى آخر الأحجار، تُشكّل مثلا خطا بطول عشرة امتار، لكنها تنجذب هنا بشكل عامودي نصف متر فقط، وهنا تنزوي، وهنا تكون كذا ... ، ليس ممكنا ان تكون القابلية تفسِّر هـذا، كيف يُفسّر هذا ؟ بــإرادة المخطّط، ارادة المهندس، ارادة الذي عنده المخطط الاولي (مخطط هذا القصر المَشيد) يريده ان يُنفذ بهذه الطريقة. وليس تفسيره بخاصية الأحجار، فالأحجار ولو تركتها بلايين السنين لاتبني نفسها قصرا مشيدا، تمثال موسى مثلا لمايكل انجيلو.. مستحيل ان تنحت نفسها.. اترك أي صخرة، اتركها عمر الكون كله..لن تفعل شيئا. فلو لم تكن هناك خطة محددة لتجاذب هذه الأحجار لكان الناتج عشوائيا، ركاما آخر من الحجارة.. ركامية عشوائية، لكن قصر مشيد ودقيق، مأخوذ فيه بالإعتبار حاجات ساكنيه، فهذا قبو.. وهذا مخزن، وهذه ساحة للألعاب، وهذا مكان للمسبح.. وكيف ستكون النوافذ وعلى أي جهة ستكون مفتوحة بحيث تواجه الشمس .. واضح ان هناك غايات محددة مأخوذة في التصميم.. العـــشوائية لايمكن تحكيها. سأتيكم بنقل عن عالم فيزيائي وشهير جدا وعملاق، ملحد (فريد هويل) تماما شأنه شأن (دوكنز) يُضطرّ في النهاية ان يعترف بالتخطيط والتصميم رغما عنهم ! .. (فريد هويل) وكان قد اقترح شبه نظرية مصغرة للتفاعلات النووية داخل النجوم داخل الشمس مثلا واشباه الشمس، تفسر لنا كيف ينتج الكربون الذي هو عنصر مهم جدا جدا للحياة ولكل اشكال الحياة التي نعرفها، لذلك الكيمياء العضوية تسمى بالكيمياء الكربونية، يقول (فريد هويل) بعد ان اقترح نظريته المصغرة وقد نجحت تماما: " لايملك العالِم بمطالعة الشواهد المحددة الا ان يقرّ بأن قوانين فيزيائية محددة هي التي اخذت طريقها الى العمل والى الاشتغال بحيث تُنفّذ بعد ذلك مايمكن ان يكون اشبه بخطة معينة، لكي ينتج لنا هذا المكوّن ومكونات أخرى بشكل دقيق جدا.. طبعا كما تعلمون انتم كالقوة النووية الضعيفة مثلا، لولا القوة النووية الضعيفة لما امكن اندماج نووي داخل الشمس، وأيضا تفكك النيوترونات الى بروتونات بفعل النووية الضعيفة، وهذه القوة تعمل في حدود دنيا صغيرة جدا جدا لو كانت اعلى منها قليلا، او ادنى منها قليلا لما تم هذا الاندماج، وهذا مهم جدا كما يقول (هويل) لنشأة الحياة والأحياء. اما مسألة نشأة الكربون في باطن الشمس وقد فصّل فيها (هويل) مسألة في غـاية التعقيد وهي رهن ترابطات دقيقة جدا جدا بدونها، لذلك هو اضطر اضطرارا أن يقول: قوانين فيزيائية معينة مراد لها ان

تعمل وتشتغل لكي تنفذ مايمكن ان يكون اشبه بمخطّط، إن قلنا أنه ضربة حظ (أي بالصدفة صار) فمعنى ذلك لنا الويل او لنا الرحمة لأننا نعيش في عالم كله يخبط خبطَ عشواء!" يريد ان يقول اذا وصفتَ هذا انه ضربة حظ اذن ليس في الكون نظام، لأنه هذا انظم مايمكن ان تقع عليه..منظم جدا جدا دقيــق في حدود عجيبة، وليس هذا فقط في انتاج الكربون في باطن الشمس.. شيء معقد جدا بشكل مذهل .. لكنه يحصُل كما قُدِّرَ له (و خلقَ كل شيء فقدّرهُ)، طبعا هذا ليس قفزا منا الى الاستنتاج، فيقول لنا احدهم: هذا إله الفجوات.. لالا، هذا لنا كمسلمين ، هذا ليس لأصدقائنا الملاحدة، هذا لنا فقط نحاول ان نتذكر، (و خلقَ كل شيء فقدّرهُ)، تعجبني مقولة (بولكنق هور): "انا أوثر ان انظر الى الحقيقة على انها طبقات متعددة، فالنظر الى مافي الكون من نظام، يعكس تقدير الرّب والتمتع بما في الوجود من جمال يعكس إبداع الرّب، والخضوع لمباديء الخير والشر يعكس حكمة الرّب" ..نعم هو مؤمن بالله ..ليس مسلما، لكن هي الفطرة والعقل السليم. وسنقف وقفة جميـلة، اجمل ماتتخيلون مع الذكاء الانساني، لكي توقنوا ان هذا الذكاء هو هبة الرّب الذي لااله الا هو، ولايمكن لا لداروين ولا لدوكنز ولا لكل هذه التطوريات ان يُفسرلنا مانتمتع به من ذكاء!، و وفق الصيغة الاقوى، المبدأ الانساني في صيغته القوية... لا، المسائل كان يجب ان تجري على المحو الذي جرَت عليه لكي نكون نحن هنا، طبعا هناك الصيغة الضعيفة للمبدأ نفسه، ماهي؟ نحن هنا، والامور تجري لاننا هنا، هذا كل ماهنالك !. يعني هذا اقرب للصدفة، لا، هذه الصيغة الضعيفة.. لكن الصيغة القوية هي: لايمكن تفسير وجودنا كبشر بهـذه الياقات الذكية والقابليات الذهنية والعقلية والفلسفية والبحثية إلا بأن كل ماجرى جرى لكي يُنتِج هذا النتاج !. بمعنى مبدأ المُسخريّة، القرآن سماه التسخير: (و سخّر لكم مافي السماواتِ ومافي الأرضِ جميعا منه) كلّه مسخر لأجلك ! وهذا هو المبدأ الإنساني في صيغته القوية، وتعرفون من اقترحه؟! عالم فيزيائي كبير ملحد (فرانك تِبلر)،لديه كتاب اسمه <حين دقّت الساعة الصفر>.

على كل حال، اذن القابلية تفسر لنا علاقات فردية، اما علاقات منظومية بين عدة عناصر محددة تكوّن بِنيَة التــي يؤخذ فيها حاجات مستقبلية، وقد لاحظ هذا (تشارلز داروين) ان هناك حاجات مستقبلية، الانتخاب الطبيعي يمكن ان يبرر حاجات فقط تنفع في الصراع البقائي الآن و هنا.. خاصة ان هذا الانتخاب الطبيعي اعمى لا رؤية مستقبلية، لأنه ليس كيانا، فحين يتحدث عنه (داورين) قبل (دوكنز) يمكن تشعر للحظة انه كيان معين، بديـل إله، لكـنه إله أحمق أبله، لأنه ليس له باصرة ولا بصيرة، ولاينظر الى المستقبل، لكنها ليست فكرة حمقاء، فكرة الانتخاب الطبيعي فكرة ذكية جدا، وتقدر ان تفسر امور كثيرة، وهي ليست على النحو الذي تلقاها به بعض المعارضين، لا، هي مُبرّرة ضمن المشاهدات الكثيرة.. باختصار: يحدث تغيير معين طفروي، تلقائيا الشروط البيئية الان شروط البقاء، شروط التكيف، شروط التلاؤم، هذه الطفرة التي احدثت هذا التغير، تجعل هذا الكائن اكثر صلاحية، ولايوجد راصد ولا مرصود حقيقي، لذلك هي قوة عمياء، لكن ليست عشوائية، لأنه ليس بذات ليس كيانا وليس إلها.. ابدا، وإنما هو دالّــة –بلغة رياضية- كأنه دالة لمدى صلوحية هذا التغير للتكيف مع البيئة وشروطها وتحدياتها.. هذا هو فقط ! لايوجد قرار محدد من ادارة معينة ونستبقي هذا الكائن الان..حجم التلاؤم مع البيئة اكثر من غيره، فيبقى. لذلك تشبيه (تشارلز دوكنز) تشبيه رائع، لكنه قاصر، وهو تشبيه المناخِل، الانتخاب الطبيعي يعمل مثل المنخل، لديك منخل معين تضع فيه كمية من الحصى مختلفة الاحجام، وعيون هذا المنخل صغيرة، ولن ينفذ الى الحصيات الاصغر، وتتكوّم عندك كومة واحدة فقط الان، والى حد نوع ما متجانسة، والحصيات الصغيرة التي خرجت من المنخل وتبقى كمية اكبر، الان نأتي بمنخل آخر -هكذا يعمل الانتخاب الطبيعي- بفتحات اكبر قليلا نضع فيه الحصى المتبقى، تنزل كومة اخرى متجانسة ايضا، وهي اكبر من الاولى، ثم نأتي بمنخل ثالث فتحاته اكبر من قبله بقليل.. وهكذا لدينا 3 كومات متميزات. قال الانتخاب الطبيعي يعمل على هذا النحو، أي انه لايعمل بخطوة واحدة، لكنه انتخاب تراكمي. التطوريون والماديون والملاحدة بينهم –ليس كل تطوري ملحدا، ومن ايام (داروين) كان يوجد تطوريون مؤمنون .. رجال دين، الان في الغرب رجال دين كثيرون يرون ان التطور هو الذي يتفق مع الدين، الخلق لايعني ضربة واحدة، بل

على العكس ..الخلق يعني تطورا مستمرا، نحن ايضا نتفق مع هذا المنظور من حيث الاصل- لكن ادراكا من التطوريون الى عمق وصعوبة هذا التحدي، نحتوا لنا مصطلحا جديدا، قالوا: التطور الكيميائي لانفهمه، -لكي نفهم الفرق بين التطور الكيمياوي والتطور الحيوي العضوي، اهم آلية من آليات التطور: هو الانتخاب الطبيعي، هذه الآلية لاتعمل الا ضمن شروط معينة، من ضمنها انها تعمل في المجال الحيوي، ليس في المجال الفيزيقي ولا في المجال الكيماوي، لايوجد تطور فيزيائي ولاتطور كيميائي..يوجد تطور حيوي فقط، لكن هذه ليست سوى تراجعات وترقيعات، كلما فُتِقَ في النظرية فتقٌ، راحوا يرقعونه برقعة، لكن الترقيع ليس كالتأسيس ! فالنظرية حين تُرقّع، وعلى طريقة (اعطيه اسما) تصبح النظرية في النهاية فضيحة !..نظرية مهلهلة. فالتطور الحيوي يعمل ضمن انتقاء من مجموعة او من مجموعات لا يعمل على فرد واحد مستحييل، وفي زمنية طويلة، وضربنا لكم مثالا موحيا واضحا وبسيطا، مثال الدب، لماذا الدب ابيض.. وان يكون الدب في القطب ابيض أي معناه فرصة اطول للاستمرار والنجاح، لونه بلون البيئة فيستطيع ان يتربص لطرائده دون ان يُشعَر به، يقول لك التطوريون في البداية الحال لم يكن كذلك، كان هناك دببا بألوان مختلفة اشهرها الدببة البنية، في يوم من الايام، هكذا صدفة .. حدثت طفرة في اللون، فوُلِد لدينا دَبَيْبٌ صغير ابيض اللون، بلا شك ستكون فرصة هذا الدبيب اعظم في البقاء.. في النهاية تنقرض الدببة البنية، فعلا انتخاب من مجموعة في زمنية طويلة، و تتسيّد الدببة البيضاء البيئة.. هذا مفهوم ومعقول الى حد بعيد جدا، كما قلنا هذه ليست فكرة حمقاء بل فكرة عبقرية، لكنها لاتفسر كل شيء للأسف، امثال (دوكنز) هذا يتعبد في محراب الداروينية التطورية، يريد ان يفسر كل شيء بهذه الآلية، يسميها < داروين الميتز > الآليات الداروينية، يقول لك "حتى لو وُجِد مصدر حياة على كوكب آخر على نجم آخر، فهناك حياة نشأت بالآليات الداروينية!"..... دارين ماذا؟!! يعتبر ان الداروينية منطق للوجود كله !!! غير صحيح، هذه مغالاة مضحكـة، خاصة عندما يتحدث عن نشأة الحياة في قلب نجم ، لاتوجد امكانية للحديث عن آليات داروينية، لكنه يقول هذا ..بلا استحياء، على اساس انه "مصطلح <الآليات الداروينية> !. هذا لم يقل الا ما يبعث على الضحك والسخرية !

فكيف يمكن ان يعمل التطور والانتخاب الطبيعي في المجال الكيميائي؟ غير معقول، كيف نشأ اول جزيء من الحمض النووي DNA ؟ وقد علمنا كيف يتركب هذا الجزيء المعقد جدا... يقولون هذا هو التطور الكيميائي وبما أنه لدينا DNA معناها ان الخلية موضوعها سهل جدا، فهم على كل حال يحاولون ان يتخزلوا الخلية في اعقد شيء فيها وهو الـ DNA المادة الوراثية، فيقولون ان الذي حدث: بالطفرة هكذا، طفرات عشوائية وسبحان الله الانتخاب الطبيعي الكيمياوي انتخب قواعد نيتروجينية، بالصدفة ترتّبت بالطريقة هذه ! .. عجيـب!!، أبالصدفة هذه ترتبت بطريقة محددة التي تفسر لنا نظام الحياة ونشأة الحياة، وجمالية هذه المتعضيات؟!..نعم قالوا انها بالصدفة!... لكن هنا توجد ورطة كبيرة جدا، لقد شرحنا سابقا عن احتمالية نشوء جزيء واحد بالصدفة > صفرا في النهاية!.. يتجاوز حد الاحتمال المُلزِم الذي عينه (ويليام دمسكي) بمراحـــل، يعني اقل من الصفر بمراحـل مذهـــلة !!

ثانيا: نحن نستطيع ان نفهم كيفية عملية آلية الانتخاب الطبيعي في الميدان الحيوي على اساس التكيف مع البيئة، اما هنا فلا يوجد تكيف من اصله.. لأنه لكي يوجد التكيف يجب ان تكون هنا خلية تامة، ولن توجد خلية تامة لوحدها، يجب ان تكون في نسيج، والنسيج في عضو، والعضو في متعضيّة، وهذه المتعضية تدخل في صراع على البقاء أي تنافس، وبعد ذلك يتم الانتخاب بحسب الاكثر اهلية بالموائمة، وبالتكيف الزائد... تتحدث عن مستوى حمض فقط.. كيف تم الانتخاب لماذا، على أي الأسس ؟؟.. يسكتون على هذه الأسس، وفق أي معايير؟!! لايوجد.. فقط يعطيه اسما (التطور الكيميائي)!.. يغتالون وعي الناس، فانتبهوا .. ولا أحب ان اشجب العلم، حتى لايقول بعضهم :هؤلاء المتدينون يشجبون العلم يزهّدون في العلم، ابدا، بالعكس نحن نوقّر ونقدر العلم جدا.. لكن نحب ان يعرف من يعبدون العلم حدود العلم، هناك كتاب كبير<حدود العلم> لـ (جون سوليفان) اعرف حدود العلم، ان تعديت حدوده اصبحت كهانة، اصبحت ديانة، للأسف (ستيفن وايد بيرق) - الحائز على جائزة نوبل للسلام- في كتابه <احلام النظرية

النهائية> التي هي النظرية الموحّدة العظمى، يقول: "بالنسبة لي مايعطي نظرية الحالة المستقرة جاذبية من منظور فلسفي اكثر هو : انها تجنبنا الوقوع في ورطة بداية للكون".. أي يقصد في معنى كلامه: انا منزعج جدا من قضية ان الكون له بداية! وسنأتي بمثالا جديدا لبداية الكون، هذه المادة – التي نتراجع تماما كعلماء لانستطيع، معارفنا المحدودة حاليا لاتسمح لنا ان نخوض ذاك الغمار، لأنه هذا عالم كله مكتنز في اقل من طول بلانك، احفظوا هذه المقولة: << أي شيء في اقل من طول بلانك يُعتبر فيزيائيا عَدَمَاً >> وهذا من العدم ، لكن نظرية الانفجار الكبير تقول أنه وُجِد، نعم معناها تقوله بصيغة ثانية من عدم، وطبعا اكثر من كثافة بلانك، وأعلى من حرارة بلانك... كل الحدود مخروقة هنا تماما... ليس فيها لارياضيات ولا فيزياء.. الكل يقف .... من عَدَم. بعد ذلك صار الانفجار هذا، في اقل من جزء من مئة ألف جزء من الثانية، طبعا هذا الشيء (العدم) من رُتبة عشرة أُس -34 من المتر، يعني اقل بلايين المرات من البروتون.. فعلا هذا عَدَم، هذا بعد جزء من مئة ألف جزء من الثانية!، اتعرفون كم صار حجمه؟! حجم المجموعة الشمسية !! لكن ليس هذا هو المحيّر.. لا ، يتمدد بهالسرعة الفظيعة هذه لكن متوازن.... كان ممكن ان يعود على نفسه منهارا بقوة الجاذبية، او كان ممكن ان يتمدد بشكل اسرع فيتشتت فينتهي كل شيء ولن يكون فيه كون .. لكن فيه توازن بين التمدد وبين الانجذاب والانكماش، هذا التوازن بلغ من الرهافة والدقة بحيث انه لو زاد او نقص بقدر يساوي عشرة أُس 60 لما وُجِدَ الكون !! يقول علماء الفيزياء: سنمثل لهذا بتمثيل محدد: دقة هذا التوازن = اصابة هدف هبارة عن بوصة مربع موجودة في اقصى حدود الكون !! يعني على بُعد تقريبا اربعة عشر بليون سنة ضوئية.. غير معقول اذا وضعنا الهدف على بعد مئتين متر.. لن تجد قناصا يصيبه!.. وبضربة واحــدة فقط، شيء لايصدق.. شيء يقشعر له لااقول البدن .. بل يقشعر له القلب والله العظيم!.. عندما يقولون لك: الصدفة.. بالانتخاب الكيمياوي.. ماهذا الانتحار العلمي ؟! وطبعا قبل ذلك كان الانتحار العقلي .. معروف .. لماذا تنتحرون؟ ماهذا الكِبر ؟! قرأت نصا لـ (كارل ماركس) في كتاباته المبكرة.. شيء لايصدق، الرجل لم يقدم أي مبرر فلسفي، قدّمَ عَتَهاً نفسيا، كبرا وعنجهية وعجرفة، باختصار يقول: " انا ملحد، و ادعوا الى الالحاد لأن الانسان يجب ان لايدين في وجوده الا لنفسه" رددت عليه في نفسي: بالله عليك؟ هل انت حملتَ نفسك؟ هل ولدت نفسك يعني؟ و ربيت نفسك بنفسك؟ وأوجدت اللبن غذاءا لك بنفسك وحدك ؟..ما هذا الهبل؟!!! ويقولون هذا فيلسوف.. يريد ان ينقذ البشرية!! .. هنا (ماركس) أحمـق، عندما تعاطف مع المساكين الفقراء فأنا احترمه لهذا، لكن عندما يحكي هذا الهراء فأنا اسميه أحمــق الحمقى ! قال تعالى: (إن في صدورهم إلا كِبرٌ ماهم ببالغيه فاستعذ بالله) غافر،56 .. هؤلاء بغباواتهم يجعلونك تفهم القرآن معمقا !! فالله يعلم اين يجعل رسالته.. في الحديث عن محمد ابن جبير ابن مطعم، -طبعا جبير اسلم رضوان الله عليه بعدما سمع هذه الآيات وليس قبلها،سمعها لما أتى للمدينة يفاوض في أُسارى بدر، وبعد ذلك كتب الله له الإسلام، وهذا ابنه محمد- يقول: قال ابي (جبير) : "لما سمعتُ الرسول يقرأ في المغرب بالطور (ام خُلقوا من غيرِ شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لايوقنون أم عندهم حزائن ربك أم هم المسيطرون) كاد قلبي أن يطير!" كاد يموت خوفا، وليس (ماركس): حينما قال لأدين الا لنفسي، لايوجد أحد يقول لي خلقتك!.. اذن انت مشكلتك نفسية، نوع من الكبر ، كما في (دوكنز) رأيت فيه كبرا عجيبا، لايريد ان يخضع لأي شيء، غيره من اخوانه من العلماء واكبر منه بالألوف و حملة نوبل يؤمنون بمنطق علمي قوي ايضا! . على فكرة، حتى دقة هذا التوازن العجيبة جدا جدا..واحد على عشرة أُس 60 وإلا ذهب الكون ...... أيــضا لا يُسلّمون لهـا !، يقولون: " ممكن ان يكون عندنا اكوان متعددة بشكل لا نهائي، وفي كون واحد هذه الطّلقة النارية اصابت هذا الربع(مربع الهدف)، سنشرح الان فسلسفة عميقة، ستسمعوا الشبهة وستسمعوا الجواب، الفيلسوف الملحد (جون ليزلي) يقول: "عادي، المسألة ليست فيها اية اسرار، ولا صعوبات، المسألو توشك ان تكون ذبابة على حائط، وقناص يضرب برصاصه، ثم ضربها... لدينا احتمالان: 1/ ان يكون الذي ضربها قناص ماهر. او 2/انه ليس بقناص إنما شخص هاوٍ يضرب عدة طلقات الى ان اصابت احدى تلك الطلقات

الذبابة !. (ونحن مثالنا يختلف في نوع الهدف و بُعد الهدف ومن ضربة واحدة لأن الكون انفجر مرة واحدة فقط وليس بعدة انفجارات!..)، قال هذه نظرية الاكوان المتعددة، أي لدينا اكون كثيرة متعددة المادة فيها عندها زمن لانهائي، وتتفاعل فيها من بلايين السنين من هنا ومن هناك، وفي كون واحد منها، فتراكبت المواد مع بعضها فكوّن لنا هذا الكون الذي نعيشه !... بمعنى أنه ليس لك ان تشتق أي شيء يشي بحكمة او بدقّة او بتصميم في حالة فريدة، لكنهم قالو هذه الحالة ليست فريدة فبتجاربنا العقلية هذه وبقوة الخيال سنفترض انها توجد اكون لا نهائية، وحصل ماقلت لكم.. اتعرفون كيف سنجيب على هذه الشبهة ؟! سوف نرى ....

(بولكنق هور) هو الذي اجاب بإجابة ذكية جدا جدا... قال: " نحن لانتحدث عن ذبابة زريّة القيمة، ماذا لو بدلا من التحدث عن تلك الذبابة التي لاقيمة لها، بأن نتحدث عن مفتاح كهربائي يفتح كنزا من الكنوز لم يُرى مثلُه، هذا الكنز عالم بحياله، يُفتح بضرب هذا المفتاح الكهربائي عن بعد.." فالذي حصل هل هو ذبابة انضربت ام مفتاح للكنز؟ هو المفتاح للكنز. فالذي حصل ليس عندما انفجر الكون اعتدل بطريقة عادية، وليس فقط اتّزن واعتدل.. لالا، بل ايضا نشأت الحياة بل حيوات، وجاء عندنا كائن اسمه الإنسان بذكاء عجيب وياقات مدهشة محيّرة تبحـــث في هذه القضايا ومن جميع الزوايا، وتضع كل الاحتمالات، ففرق كبير بين رصاصة تضرب ذبابة زريّة وبين ضربة مفتاحا لكنز !! ..في حالة الذبابة ممكن ان نستميل الى فكرة الصدفة.. لكن في حالة المفتاح نقول لا، لابد من خطة، لأنه لدينا كنز مرصود، يوجد خارطة، فيبدو ان الذي ضرب المفتاح هذا عنده فكرة عن عالم الكنوز هذا.... علينا ان ننتبه جيدا.. امثلة خطيرة على ألسنة علماء .. و إكمالا لمقولة (ستيفن وايد بيرق) يقول:" من ناحية فلسفية انا أجد جاذبية اكثر في نظرية الحالة المستقرّة اكثر من اية نظرية اخرى " كنظرية الانفجار الكبير.. يكرهون هذه النظرية كثيرا، لأنه لايتخيل نفسه متورطا في حكاية بداية الكون.. لكن الانفجار الكبير له بداية رغما عنك، وبداية من عَدَم ايضا ! ... وهذا يُزعجهم جدا جدا.. لكن الحالة المستقرة الكون أزلي و أبدي، وفي كل اللحظات لايتغير و متجانس وفيه تخليق. لكن على فكرة، حتى هذه النظرية (ستيفن وايد بيرق)هنا يقوم بعمل تفضيلات بين نظريات علمية على اسس اعتقادية وفلسفية و اَيدلوجية، هو يحب ان يلحد، يرفض أي شيء يأتيه بإسم الله لايريده، فـ عندنا نظريتين :

نظرية علمية محترمة تقودك للإيمان

ونظرية ترفض الا ان تلحد و تنكِر

عجيب كيف للعلماء ان يقعوا في هذه التفضيلات العقائدية والاَيدلوجية، فلا تعتقدوا ان العالِم هو مَلَك العلم منزّه بالكامل.. فالعالم في نهاية المطاف بشر و يعيش ضمن سياق اجتماعي حضاري وثقافي معين ..صحيح ؟! كما يكذب علينا من يقول أن العلم في العالم كله واحد الثقافات مختلفة .. غير صحيح، هذا كلام لم يدرسوا حتى فلسفة العلم، كما ان العلم ليس واحد.. الفيزياء في اليابان ليست كالفيزياء في امريكا ايضا .. فما رأيكم ؟! مع ان المباىء شبه واحدة، لكن التضمينات تختلف تماما ..! وكذلك علم الأحياء يختلف ..

نكتفي هذه الليلة على ان نكمل في الحلقة المقبلة ان شاءالله

شكر الله لكم والسلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته

تفريغ : منال الذيباني

الحلقة الحادية عشر برهان النظم6

بسم الله والحمد له والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه
سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك انت العليم الحكيم، اللهم علمنا بما ينفعنا، ونفعنا بما علمتنا و زدنا علما ....
إخواني أخواتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
وقفنا في الحلقة السابقة عند التطور الكيمياوي، وفي الحقيقة لامعنى لمصطلح التطور الكيمياوي ولا التطور الفيزيائي، التطور الذي نتقبله من حيث الاصل هو التطور الحيوي .. ولذلك لديهم مصطلح آخر : " الانتخاب الطبيعي قبل البيولوجي"، مصطلح يبدو انه مخيفا..!. لانفهم هذا!، انتم لم تقدموا لنا أي صيغة للإنتخاب الطبيعي تُفهَم خارج حدود الحيوي، وغير معقول ولا يُفهم بأي طريقة، يعني عدنا الى معضلة "الدجاجة قبل أم البيضة"! بالمناسبة على ذكر هذه المفارقة ان احد العلماء الألمان – نسيت اسمه- اعتقد انه حائز على جائزة نوبل اقترح مازحا: ان يُعطى ارسطو جائزة نوبل للوراثة، لماذا؟ قال: لأن ارسطو في معلوماته العلمية قدّمَ لنا صورة مبسطة وحقق بها سَبَقاً على العلماء المحدثين حين قال: "المعلومة في البداية" أي المعلومات اولا ، يمعنى ان البيضة قبل الدجاجة. علم الوراثة يقوم على هذه الفكرة، المعلومة اولا، معنى المعلومة: المخطط، الخطة، التصميـم... لايمكن ان تنجز البنية من غير خطة ! الخطة اين نجدها؟ نجدها في الشيفرة DNA خطة متكاملة كاملة،لكي يهربوا من هذه الالتزامات وقعوا في المفارقة!.. وسبب هذا التشابه بين مصطلحهم الجديد وبين مفارقة "الدجاجة قبل أم البيضة" باختصار: الشيفرة الوراثية DNA لكي تعمل نحتاج الى انزيمات، والانزيمات هي نوع من البروتين، ولكي نبني بروتين نحتاج الى شيفرة وراثية، ها نحن ندور في حلقة مفرغة ! من اين بدأت العملية؟!..وهذا ليس تساؤلي، انما تساؤل علماء الاحياء وعلماء الوراثة، وهذا التحدي الذي رُفِع في وجه الملاحدة والتطوريين...
لذلكم قالو هيا نهرب الى فرضية جديدة... فرضية الـ RNA اولا، ويقصدون بها أن الكائنات بدأت بسيطة جدا شيفرتها الوراثية ليست محمولة في الحمض النوويDNA لا، بل محمولة في الحمض النووي RNA هو اكثر بساطة، وبعد ذلك تم – بمحض الصدفة ايضا- أن سلسلة RNA وجدت سلسلة RNA اخرى ملائمة لها (انتم تعرفون في الـ RNA انه بدل الثايمين يوجد يوراسيل، وهذا لن يتعرضوا له، وسنغض الطرف عنها) فظُفِرَت هذه السلسلة بتلك فتكوّن لدينا الـ DNA ! ... هكذا، كضربة ساحر..ليس لديهم تفسير علمي! بل افتراض سَخيف جدا وباهت، ولا عليه أي دليل، مجرد هروب من إلزامات محددة.
حسنا اول تحدي... كيف تكوّن الـ RNA نفسه اصلا ؟!! وهو مكوّن بحسب تتابع محدد، منتظم ومعقد، فكيف نشأ بالصدفة ؟ ...اي مسألة حيوية هي بحث في المعقد، وقد نقلت لكم عن (ريتشارد دوكنز) في الفصل الاول من كتابه أن علم الأحياء (تعريفه):]هو العلم المعني بدراسة المنظومات المعقدة التـي تشي بطابع من التصميم[اعترف

بذلك، لكن نحن نقول ان هذا التصميم يعود الى ذكاء أو عقل(بلغتهم التي يفهموها) مثل ماقال (نيوتن):]لا نقدر ان نقول أن الإله هو روح الكون، بل هو مـالك الكون و لكل شيء[طبعا بمعنى عندما تقول ان الله هو روح الكون = أي أنه يُعادل الكون ليس اكبر منه ولا اصغر من الكون، بمعنى في الأخير ان الله هو الكون نفسه، دخلنا في نظرية وحدوية، أي انه لاداعي للبحث عن الله كـذكاء كـعقل كقصد كإرادة كمعنى خارج الوجود هذا الحسي المادي.. (نيوتن) رفض هذه النظرية وقال انا اؤمن بالله الذي أُعدّه مالكا للكون ولكـــل شيء.. ويعني هذا من الناحية الفلسفية : أن الله اكبر من الكون، واكبر من كل شيء، وبالتالي اكثر (ان جاز التعبير) ذكاءا وعقلا، و وعيا مما حتى ترصده في الكون، وهذا صحيح لأنك سترصد في الكون عقلا و وعيا وقصدا !. وعلى فكرة، الله خلقنا.. وهذه هي معنى النصوص الدينية سواء عند اليهود أو عند المسلمين او حتى عند النصارى، أن الله خلق الانسان على صورة الرب.. ليس المقصود معناه بالشكل .. لا، بل يقصدون بالصورة أي على الصفة، وليس كصفات الجبروت مثلا .. الخ.. لا، بل اكثر صفة مرادة اتعرفون ماهي؟ انها صفة الفَهْـــم. وهذا ظل العلماء يلاحظونه الى اليوم بمن فيهم (تشارلز داروين) الذي قال في نصه الذي بعثه لـ (قراي): " عنده ذكاء كالذي لنا نسبيا"، و إلى اليوم علماء الفيزياء ايضا يتحدثون بنفس المنطق... (هوكنق) قبل ان يُعلن الحاده ماذا قال؟ قال:]"الله في نهاية المطاف كما نفهمه هو مايُعادل هذه النظم الرياضية التي نفهم بها الوجود"[، وكان (اَينشتاين) يقول:]"أحب ان اصل ان اعرف كيف خلق الله الكون، أحب ان اعرف افكار الله"[، وهذا ممكن جدا، لئن الله خلق كونا يشي بكثير من صفاته، وهو البرهان الآيوي: (.. إن في ذلك لآيات ..) كما ذُكِر في القرآن الكريم، ومعنى الآية: أي هي العلامة التي تدل على صاحبها، فالكون يدل على صانعه. وهل لدينا القدرة واللياقة لئن نفهم هذا؟ نعم نحن نفعل هذا ! والعجيب جد جدا –وهذا لن يُفسّر الا بعد ان نفهم- اننا منذ وقت طويل جدا مخلوقون بذكاء اكثر بكثير مما نحتاجه للبقاء، لماذا هذا الذكاء؟!.. وهذا ورّط الدراونة فذهبوا يحيكون حيلة جديدة هي: (التكيف المُسبَق) .. اسمٌ اعطَوْنا اياه ولم يُفسر شيئا، عند الدراونة هذه النظرية (التكيف المُسبَق) يتكلم فيها نشوء الذكاء الانساني العجيب الذي هو ابعد بكثير من حاجات البقاء، لأن الله خلق الإنسان لكي يعرفه، وهذا هو المبدأ الإنساني!، (إلا ليعبدون) (إلا ليعرفون)، هو أراد ذلك لا اله الا هو، وهيأ الكون بحيث جعله قابلا لئن يُعرَف.. كلمة (اَينشتاين):]"أكثر الأشياء غير قابلة للفهم هو أن الكون قابل للفهم"[، قال هذا مُحيّرهُ، لكنه ليس محيرا لنا، اذا سلّمنا بالله تبارك وتعالى، اذا وافقنا على فرضية الله، أنّ الأمور تُحَل !. الله خلق الكون بنظام معين، الكون كما قال (السّير جيمس) في : "هذا الكون اقرب الى ان يكون فكرة منه الى ان يكون آلة" انتهى التفسير الميكانيكي، نحن اليوم في فيزياء أخرى في فَلَك آخر، قال هذا فكرة، عالم من المعقولية، هذا الكون عالم من العقل.. وأنت عقل، اذن يمكن ان يتناظران، وأن يتراسلا.. وهذا الذي يبرر نجاحاتنا العلمية، الآن نحن نفهم الكون و نسخّره فعلا لا اله الا الله.. كيف يتم هذا؟! وهذا ما حيّر (اَينشتاين).

لنعود ونرى كيف ان سلسلة الـ RNA هذه بتتابع مطلوب منظم دقيق، كيف تم اختبارها اصلا، لماذا تبقى؟ نفس التساؤل على الـ DNAالذي هربوا منه!.. كيف تم انتخاب الـ RNA هذا بالتتابع المطلوب؟! من عرفَ انه مطلوب؟! والعمعيار الذي استند اليه الانتخاب الكيمياوي الانتخاب ماقبل الطبيعي ..سمّه ماشئت،لا يهمنا..انتخاب x لكي يستبقي بالذات هذا الجزيء.. لماذا ؟؟ الجزيء غير موجود في منظومة، صحيح؟! والحـال أنه يُشفّر لخدمة منظـــومة!، اين هذه المنظومة؟ ليست مخلوقة غير موجودة..والذي اختاره هذا؟ من الذي استبقاه اذن؟ اعدتونا الى مربع الإله رغما عنكم و عنّا، او الى مربع هذه القوة الذكية المسيطرة على الكون، لكن الانتخاب الاعمى لايستطيع، اتعرفون لماذا؟ لأنه لايوجد تكيف هنا!، لايوجد نجاح بالمعيار الانتخابي، انتبهوا... يجب ان نفهم هذا الفكرة جيدا لكي نستطيع ان نحاجج بها..

بعد ذلك تورطوا في خطوة اعمق .. قالوا: بالصدفة التقت هذه السلسلة بسلسلة اخرى RNA وبتتابع منظّم (بالصدفة)!!يعني الصدفة فسرت التعالق بينهما! الذي سيجعلهما يكونان جزيء الـ DNA.. المطلوب، المادة

الوراثية السحرية هذه ... كل هذا كلام فارغ ، لذلك سنرى (ريتشارد دوكنز) كيف يفر في الأخير الى النجوم والكواكب البعيدة، حيث قال ممكن ان يكون تخلّق كل هذا خارجا وجاء الى هنا.. أنت لم تفعل شيء، طوّلت على نفسك الطريق، وسيعود السؤال نفسه: وكيف تم تخليق الحياة هناك ؟!.. فكّر أنه رمى فكرته بعيدا وانتهى، واقبلوها سحريا.. لا، لن نتقبل ان ننتحر عقليا، ليس لأننا مؤمنين وكذا... لا، بل لأننا عقلاء، لانريد ان يُغتال عقلنا وذكاؤنا، اجمل وأثمن مالدينا هو العقـل..أليس كذلك؟! أتحسّر على نفسي كإنسان.. فكل الحيوانات تتفوق عليّ فيما عدا عقلي هذا ..فلن اقبل ان تُلقى فيه أية افكار وتحليلات، لااريد ان يُلقى به إلا مايليق بعقلي، ميزتي كإنسان ...العقـل. وياللأسف، معظم عباد الله معطّلين عقولهم! يعيرونه، يقولون: أعرتُك عقلي، فكّر به ثم اعِدهُ لي...! بهذه الحالة يصبح الإنسان أدنى من الأنعــام، لأنها ارقى من الانسان في كل شيء بمختلف ميزات كل منها، إلا في العقل، فإذا عطّله الانسان... فقد ضاع!

جزيء الـ RNA جزيء غير مستقر، معروف .. وأقوى جزيء هو جزيء الـ DNA هذا.. مستقر جدا جدا و قوي بعكس جزيء الـ RNA جزيء ضعيف غير مستقر، في الفترة الذين هم يتحدثون عنها هذا قبل مليار سنة، لأنه بالطريقة عندهم ان الحياة نشأت بعد ثلاثة مليار و سبعمئة مليون سنة، فقبل مليار سنة كانت بيئة الارض هذه عواصف و شروط لايمكن ان تعمل على استقرار هذا الجزيء، كانت تهلكه مباشرةً.. فكيف استقر؟! ليس لديهم اية اجابة..

واحفظ مني هذا المثال الذي ضربه على ما اعتقد (جون سيل)عالم كبير وفيلسوف، عنده دارسات في علم المخ والاعصاب، يعني تتفق معه كفيلسوف اصيل، يقول: "لنفترض أن سجينا يقبع في غرفة لاعلاقة له بالخارج، وليست لديه اية وسائل اتصال بالخارج، من نافذة صغيرة سُرِّبت اليه اوراق، وفيها رموز لا يعرفها غير مفهومة، ثم سُرِّب اليه مايفك الرمز الاول، والرمز الثاني والذي يليه، أي فكّ تلك الرموز وكتب معانيها، في الأخير ظهرت عندنا معادلات دقيقة تصف حالة معينة، بعد ذلك قيلَ له: اتعرف ماهذه الرموز (الرياضية او اللغوية)؟ هذه باللغة الصينية. لقد طبّق اللغة الصينية واستفاد منها دون أن يكون لديه أي إلمام باللغة الصينية!، كيف تمت هذه الاعجوبة؟! ليس اعتمادا عليه، بل اعتمادا على خارج السجن.. الذي اعطاه هذه الأمور، واعطاه مفاتيحها، مَن في خارج السجن هو الذي يعرف دلالات هذه الرموز ... طبعا (جون سيل) ضرب هذا المثل للحاسوب، لكي يقول لك مهما بلغ الحاسوب من قدرات، لن يكون في ذكاء البشر، اذن ابحث عن المبرمج، لا تبحث عن البرنامج، الحاسوب حتى لايفهم برنامجه!.

(هالدين) كتب مرة يقول: "لو كنا فعلا مجرد عالم من المادة، وبالتالي تفكيرنا كان تفكيرا ماديا .. وصحّت النظرية المادية، لما استطعنا ان نعرف انها كذلك!" فإذا كل شيء مادي والتفكير ايضا ماديا، ونتاجه المادة، ومجرد نبضات كهروكيماوية -كما يقول علماء الاعصاب الاختزاليون التحجيميون- معناها لايمكن للكيمياء ان تفسر إلا الكيمياء وانتهينا... لن تفهم، اذن يجب ان يكون شيء اعلى من الكيمياء هو الذي يفسرلك العقل والذكاء، والحس الجمالي، والحس الديني، والحس الفلسفي .. وهنا نفس الشيء، لو كنا نحن مجرد مادة مثل الحاسوب فهو عبارة عن مادة، لايفهم برنامجه اصلا .. تماما كسجين الزنزانة، نقدّم له لغة هو لايفهمها، نحن الذين نفهمها .. لكنه يطبّقها صحيحة دون فهمه لها!.. فلا تسأل عن البرنامج ولا عن المبَرمَج، بل اسأل عن المبَرمِج .. وعلى اساس برمَجه وماهي خطة البرمجة؟! .. فـنحن بحثنا عن الله هـــكذا، في نهاية المطاف بحثنا عن الخطة، وعن اللغة الفوق كونية، وعن هذا المبرمِج المصمم الذي لا اله الا هو. اما البحث عنه من داخل الغرفة فصعب، مستحيل لن نستطيع ان نبحث عنه ونجده، لذلك كما ذكرت لكم.. قال لك في النهاية الأسئلة النهائية تقودك الى الميتافيزيقا.. رغما عنك..

وهنا السؤال: هل نحن مؤهلين لهذا ؟!

كل اعداء برهان التصميم اجابوا بـ لا، لسنا مؤهلين. ويتورطون في انتحار عقلي وعلمي.. فيقولون: من قال لنا اصلا ان هذا نظم ؟ ينكرون حتى معقولية الكون !.. (آينشتاين) كان اذكى منهم.. كان متشبّثا لآخر لحظة بمعقولية الكون.. سأضرب لكم مقبوستين منه: في قصة فردّ عليه (مِلزبور): "لا تخبر الله كيف ينبغي ان يُدير كونه".. كلام (مِلزبور)

في نظري الى حد معين صحيح، ثم بعد ذلك يسقط !.. فالمفروض ان تكون وظيفة العالم ان يقرأ الكون أن يدرس الكون بتجرد من غير تحيّز من غير احكام مسبقة، بعد ذلك مايتحصّل عليه يُعرِب عنه ..لا أن يتسبق الاحكام دون علم او دراسة، في النهاية ويصبح كلام (أينشتاين) اقوى بقليل منه..

والقصة الأخرى عندما (جيسي ميلر) قاس لأول مرة تدفقا غير صفري للأثير – وكانت هذه صاعقة- طبعا تجربة مايكسون و مورلي والنظرية النسبية العامة اثبتت انه لايوجد شيء اسمه أثير، الأثير هذه اسطورة انتهت..الوسط المفروض التي كانت تنتقل فيه الموجات الكهرومغناطيسية بما فيها الضوء المرئي، وكل الموجات .. فـ (جيسي ميلر) قاس وتجربة اعطت تدفقا غير صفري للأثير، فقيل لـ (أينشتاين) اتفضل هذه النتائج الجديدة.. فالنظرية النسبية العامة على المحك.. فردّ (أينشتاين) بكل ثقة غير عابئا: "قدرة الله خفية نعم، لكنها ليست شريرة، نظريتي صحيحة" في الأخير نظرية (أينشتاين) تجاوزت المحنة و أثبتت صحتها .. معـنى هذا الكلام أن (أينشتاين) متشبّثا بمعقولية الكون، الكون يمكن ان يُقرأ رياضيا، وإذا فهمته رياضيا بشكل دقيق فأنت فهمته.. وعلى فكرة، مقولة اصلها وجذرها من (ديكارت) الذي كان يقول: "الله ليس مخادعا، الله ليس من غرضه ان يضللنا، ولن يسمح لشيطان ان يضللنا ايضا".

نعود لمثال السجين والحاسوب والذكاء الانساني.. الأهم والأكثر حساسية في الـ RNA هي أصل ومصدر المعلومات التي تم تشفيرها بطريقة معينة ومحددة .. كما لو وجدت مجموعة حجارة مشكّلة على هيئة معينة أي شفّرت لنا معلومة توحي لنا عن وجود مَن قام بذلك، ليس المهم الآن الشكل.. بل مَن الذي شكّل هذا الشكل، وماقصده من تشكيله على هذه الهيئة، فعندما نجد نظاما من التشفير ومايحدث هو اهم من هذا، و دون ذلك وقبل ذلك .. اساس ومصدر المعلومة، وقد يتساءل احدهم: لمَ نفترض ان لها مصدر؟ لأنها ليست معلومة مفردة، بل معلومة مركبة جدا جدا، تشفّر لنا امورا كثيرة، وهذه الامور متناسقة نظاميا بين بعضها البعض .. بمصطلحنا المعروف انها تُشفّر منظوميا ! .. فأنا سؤالي هو: عن مصدر المعلومات التي تم تشفيرها في الـ RNA من أين ؟! وليس عن عملية التشفير نفسه كيف تمت ...اتعرفون لماذا ؟ لأن قبل ما "الصدفة" ماتنتخب الـ RNA.. المعلومة موجودة ! اذن الذكـاء أولا، القصد اولا ... هنـا نحن نواجه اللـه عزّ و جلّ .. هذا الذي قاله (سموت): "كأنك تكشط الطبقات عن وجه الرّب !" . هذا كله يتغاضى عنه الدراونة والملاحدة وكأن المسألة سهلة، لذلك عالم الأحياء المكسيكي (انطونيو لازكانو) عضو في ناسا، وقد ترأس (اعظم منظمة في العالم) لدورتين، له عبارة جميلة: "كما أن الوجود ضيف جديد تماما على العدم، فالحياة ضيف جديد تماما على الوجــود." بمعنى: لن تستطيع ان تفسر نشأة الكون بدون افتراض مُضيِّف هو الله تبارك وتعالى.. اخرج هذا الكون من العدم الى الوجود ،، ولن تستطيـع ان تفسر نشأة الحياة بغير معطي الحياة الذي خلق الحياة والموت الذي لا اله الا هو.. لن تقدر ، اذهب و حاول، انتحر عقليا .. لن تستطيع. فهم كلما امعنوا خطوة اكثر، فقد خدمونا مزيد خدمة.

الأمور واضحة بفضل الله عز وجل، نسال الله ان يحفظ علينا ايماننا .. هديتي ونصيحتي لكل اخ ملحد: بكل تواضع ارفع يديك وقل يارب ان كنت موجودا فاهدني إليك، وكن صادقا.. إياك ان تخوض معركة مع عدنان ابراهيم وغير عدنان ابراهيم.. فأنت من سيخسر.. ستخسر روحك وتخسر مصيرك الابدي، اياك ان تلعب.. هذه القضية بالذات ليس فيها لعب، وكن متواضع تواضع علماء الغرب الكبار، الذي عدد منهم لابأس به عادوا الى الايمان بكل تواضع.

كما وعدتكم سأقرأ عليكم ماكتبه (تشارلز داروين) الى (آرسا جرين) العالم النباتي الكبير : "إن عقلي يقضي بأنه من الصعب جدا، بل من الأحرى من المستحيل تصور هذا الكون الهائل المعجِب، بما في ذلك الإنسان ذي القابلية على تقدير مصالحه..أن يكون نتيجة الصدفة العمياء او الضرورة اللازبة، من اجل هذا اجدني مضطرا الى النظر الى العلة الاولى على انها تمتلك عقلا ذكيا يُشابه بمعنى مالدى عقل الإنسان ، وبهذا استحق ان أُدعى مؤلّها" وهذه مقولته لاتدل على انه كافر، بل مؤمن مؤلّه..

نأتي الى (دوكنز) الذي لا يؤمن بهذا الكلام، ويأبى الا أن يأتي كل حين من قبعته بأرنب جديد.. مصطلحات واشياء جديدة .. كـ (الإنتقاء التراكمي)،ليس بضربة واحدة فلو كان كذلك فسيفشل... ولديه مثال طريف ذكرهُ في كتابه، وفي برنامجه، قال بالطريقة التي اقترحها صديقه (توماس هاكسلي) - شرحناها في الحلقات السابقة- أنه يريد ان يعيد النظر فيها.. فلو احضرنا هذا القرد ليضرب على لوحة المفاتيح ضربا عشوائيا كم شئنا من الزمان، النتيجة في الأخير لاشيء لامعنى بالمطلق، وقال ستكون الكلمة التي ستتم عليها التجربة في مبرهنة القرد هي جملة (يبدو لي انه ابن عُرْس)، وعمل (دوكنز) برنامجه في الحاسوب، في اعلى البرنامج كتب جملة: (يبدو لي انه ابن عُرْس)، وفي السطر الذي يليه كتب: ماذا يفعل القرد هذا بالضربات العشوائية؟، وبعد ذلك يوجد لدينا قرد آخر يعمل على برنامج –صممه (دوكنز)- يستخدم الآلية الداروينية التي هي آلية الانتخاب الطبيعي التراكمي، وسنرى النتيجة.. قال هذا القرد يضرب عشوائيا ولاتظهر سوى حروفا متتابعة على غير ذي معنى على الاطلاق دون اية نتيجة، قال ان هذا ممكن ان تستغرق التجربة – على ايامهم- مدة كبيرة جدا ..على ما اذكر عشر أُس واحد وأربعين محاولة تقريبا، يعني عشرة آلاف ثلاث مرات التريليون ! في احتمال واحد من عشرة آلاف التريليون تريليون تريليون محاولة.. تخرج لنا محاولة واحدة ناجحة لكتابة (يبدو لي انه ابن عرس)..صح الاحتمال ملزم ليس عدما.. لكن ضعيف جدا جدا.. عمر الكون مستحيل ان يسمح بهذا، فقال (دوكنز) سنرى على البرنامج الذي صممته: يكتب القرد، لو أي كلمة اتى منها حرف واحد يحتفظ بها الحاسوب وتبقى في مكانها لا تُطرَد، وهكذا بقية الأحرف ... فكل حرف يُكتب توضع ..فقال بعد عدد يسير جدا من المحاولات.. ربما بعد نصف ساعة..ثلث ساعة..نجد الجملة قد كُتِبَت. وبالفعل طبق العملية .. يأتي احدهم ويقول: لكن هذا غش واضح جدا جدا.. وعندما تقول لي ان الكون وُجِد بالانتخاب الطبيعي، لا انت مخطيء، فالإنتخاب الطبيعي ليس لديه خطة مُسبقة، كلمة السر في الموضوع كله هي الخطة المُسبقة.. (دوكنز) نفسه كانت عنده خطة مُسبقة، واضحة في كتابته لعنوان التجربة (يبدو لي انه ابن عرس)!! والبرنامج يعمل بالنظر الى الخطة المسبقة..الانتخاب الطبيعي صحيح هو ليس عشوائيا.. لكنه ليس لديه خطة مُسبقة اصلا! فكيف سيفسر لي نظريتك عن الانتخاب الطبيعي التراكمي ظهور اشياء معقدة جدا جدا لا يمكن الا ان تكون مخططة ليست عشوائية هي.. مثل الذكاء الانساني، بدليل انها تأتي وعلى طريقتك في الانتخاب تُنتخب قبل ان يدعو البقاء الى انتخابها ..ليس لها علاقة بالبقاء.. لانحتاجها بالمرة، لماذا موجودة؟! اذن هي ليست منتخبة.. مخلوقة.. مصمّمة !.. سنثبت هذا الكلام علميا، والتطوريون يعرفونه ويعترفون به، بالرغم من محاولاتهم ليس لديهم تفسيرا لذلك.

يعني الانتخاب الطبيعي مصطلح محترم، وعنده قدرة تفسيرية عالية، يفسّر اشياء كثيرة، لكنه لايفسر كل شيء.. بخلاف هذه المصطلحات الفارغة.. عدنان ابراهيم يسميها (رُقَع النظرية التطورية)..

فقال (دوكنز): "بالرغم من أنه هذا يُعتبر نموذجا جيدا الى حد ما للداروينية بإعتبار انها انتخاب تراكمي إلا انه من الناحية الأخرى يتضمن بعض الغش، لأن هذا البرنامج يخطط للوصول الى هدف مستقبلي، فهو على علم بالمستقبل >، أما عملية التطور الحقيقية فإنها عمياء لاترى المستقبل" اعترف (دوكنز) وسكت..معتقدا ان فكرته قد نجحت.. بل على العكس، فبعض الغش الذي تحدّث عنه هذا .. قد دمّر نظريته بالكامل !! لم يبقى لها معنى. انا أؤمن بالانتخاب الطبيعي في حدود انه يستبقي الاصلح في معركة البقاء الآن بفي الشروط الراهنة،، لن يستطيع معرفة المستقبل، لن يقدر على معرفة احتياجاتنا بعد مئة ألف سنة.. ولذلك حدثتكم ربما في حلقة سابقة عن (ريتشارد دوكنز) في لقاوه مع (بنشتاين) القانوني والاعلامي والمعلق السياسي والاقتصادي الشهير يهودي، قد اعترف بالتصميم، عندما سُئل عن اصل الحياة، وهذا السؤال الذي يحرجهم جدا، وعلى فكرة .. يوجد سؤال اكثر احراجا لهم : كيف نشأ الكون ؟! لذلك الفيلسوف الشهير (ريتشارد سوينبر) قال: "على هؤلاء التطوريين والملاحدة والماديين عموما عليهم قبل ان ينخرطوا في نقاش مسألة اصل الحياة - لأنهم يصورون الكون على انه مصنع ولديه آلية الانتخاب الطبيعي، بهذه الآليات الداروينية المصنع يصنّع الحياة-عليهم ان يقولوا لنا كيف نشأ المصنع !".. القصة ليست في الخلية بل في الكـــون.

فيجب ان نرتب افكارنا نحن، وهم عليهم ان يرتبوا نظرياتهم واطروحاتهم، وهذه القضية (نشأة الكون) لاعلاقة لها بعلم الأحياء، علاقتها بالكوزمولوجيا وهذا العلم لا يُسعِفُهم!..
هناك طُرفة عند علماء الفيزياء الامريكيين: شبّ حريق في عمارة، فجاؤا رجال الاطفاء و اطفئوا الحريق، طبعا اول شخص هرع الى المكان هو المهندس وقدّم خرائط البناء، بعد اسبوع اتى الفيزيائي قدّم تقريره فيزيائيا، بعد شهر اتى الرياضياتي ذو الشعر المنكوش وقدّم تقريره الرياضياتي قائلا: انا بعد جهد جهيد وشغل ليل نهار..اثبت ان هذا الحادث ممكن ان يقع. فشكروه كما شكروا من قبله.. كي نفهم ان الرياضيات حساس وخطير لكنه محدود، في الأخير يجب النموذج الرياضي يُبَرر بمباديء اكثر صلابة منه.. دخلنا في معضلة (كورت قودِل) النمساوي.. ..
الرياضيات لا تخلق وقائع، لذلك لابد ان تستند الى اسس دقيقة جدا عقلانية وفلسفية، بعبارة قلتها قبل ذلك و اعيدها: "جذر العالَم الفيزيائي لايوجد في الفيزياء،، فضلا عن ان يوجد في اللغة التي تجترحها الفيزياء وهي لغة الرياضيات ... انتبهوا، هذه اشارات لايفهمها الناس العاديين، ينخدعوا في اشياء معينة..
فلما سأل (بنشتاين) (دوكنز) عن اصل الحياة من اين ؟
فأجابه: "أنا افترض ان اصل الحياة جزيء ذاتي الاستنتساخ" .... لماذا فسر بـ ذتي الاستنتساخ؟ لكي يهرب من معضلة الدجاجة والبيضة! فاستغفل الصحفي المسكين ..فلو كنت مكانه لأستوقفته لحظة: ماذا تعني بجزيء ذاتي الاستنساخ ؟!! طبعا (بنشتاين) ليس عالما في الأحياء ولا في الفيزياء لهذا سكت عليها.. لكنه في النهاية ورّطهُ و سجل عليه اصابة قاهرة.. فلكي يُستنسخ الجزيء يحتاج الى شيفرة، حسنا الشيفرة موجودة.. لكي تعمل الشيفرة.. نحتاج الى انزيمات .. الإنزيمات بروتينات، والبروتينات لكي تُبنى فهي بحاجة الى الجزيء !! فهنا المعضلة مَن قبل مَن!
فقال (دوكنز) في نفسه: سأعطيه اسما (اللعبة العظيمة في استعمال قوة الكلمات والمسميات) و اقول له الاجابة بأنه جزيء ذاتي الاستنساخ" ... > شيء عجيب وهو نوع من الكذب العلمي بإجماعة، شيء ليس له أي تفسير على الاطلاق ولا حتى احتمال عنده، فيذهب ويعطي اسما من عنده،، والسامع يَرهب هذه التسمية التي في حقيقتها ليس في مضمونها أي تحليل لا منطقي ولا حتى غير منطقي..وكأن هذه التسمية وُجِدَت.. على فكرة، (فرويد) احسن عالم في القرن العشرين نبّه على خطورة هذه اللعبة، لكن في سياق آخر.. في محاربة الخرافة والسحر، قال هذا نوع من العُصاب يصيب الأشخاص ويصيب الأمم والجماعات، الاعتقاد بقدرة الكلمات على التكوين.. على فكرة، هذه خاصية لله }إنّما أمرُه إذا أرادَ شيئًا أن يقولَ لَهُ كُنْفَيَكون 82 { يس، الله فقط الذي يقول: كن.. فيكون، لأن الذي يقول كن .. فيكون الوحيد الذي عنده القدرة أن يشكّل و يُحدِث شيئا من لا شيء، شيء محير و غير مفهوم بالمرة .. هذا رب العالمين لا اله الا هو . (علي عزت بيقوفيتش) -الفيلسوف الاسلامي الكبير- كان سؤاله : لماذا الشيء كان شيئا ؟! فالذي يستطيع ان يجعل الشيء شيئا، وأن يخلّق الشيء من لاشيء .. طبــعا ينفعل كل شيء بأمرِه بعد ذلـــك ! وهو قادر تبارك وتعالى ان يجعل الانسان كذلك..مثل ماعندهم اوامر تكوينية يجعل الشمس بمكانها والأرض تلف حولها باستمرار بطريقة ومحسوبة جدا جدا، لكن حمّله الله الامانة، فمسؤليته على عاتقه، وهو الوحيد الذي لديه خاصية الاختيار اذا اراد ان يؤمن او اراد ان يكفر، الملائكة لا تتمتع بهذه الخاصية فهم لايعصون الله فيما امرهم ويفعلون مايؤمرون. فـ(فرويد) قال لك هذه الجماعات الأفاضل المعصوبين يعتقدون بقدرة الكلمات على التكوين، يعتقدون انه بكلمات يستطيعوا ان يصنعوا احداث كونية... قال عنهم فرويد انه هَبَل.. هذا الاستهبال وهذه الحماقة يقع فيها هؤلاء الملاحدة (دوكنز) يقع فيها كثيرا..فيستعمل هذا الاسلوب بإعطاء تسمية مايعجز عن تفسيره كما يريد هو..مثلا بـ ..فهل صدقته انت مباشرة؟ اذا صدقته فأنت من المعصوبين الذين وصفهم (فرويد)، اغتال عقلك هذا الـ(دوكنز) دون ان تدري !..
إرادة الله يا إخواني وهذه فائدة فلسفية..احفظــوها: إرادة الله يُمثّل بها ضرورة الشرط الكافي. في الفلسفة حين يتحدثون عن الشروط، يقولون الشروط ثلاثة، (طبعا هي نوع من التوليفة الغير كاملة من الضرورة والكفاية) :

1/فلدينا شرط كافي غير ضروري .. مثل لو قطعت رأس انسان، أيموت ام لا؟ يموت وهذا كافي، لكن ضروري ان لايموت الا بقطع الراس؟ لا

2/ولدينا شرط ضروري غير كافي، مثل: الاوكسجين ضروري للحياة، ولكن غير كافي لإستمرارية الحياة من دون المصادر الأخرى اللازمة للبقاء حيا

3/ولدينا شرط ضروري كافي، هـو الذي جعل الشيء شيئاً ..إرادة الله عزّ و جل }إنّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئًا أن يقولَ لَهُ كُـــنْ فيَكون 82{ يس.
اللهم دلّنا عليك وعرّفنا بك، واربطنا بك و لا تحرمنا يارب العالمين .. فهذا هو معناها: قال مجرد ان نقول له اذا اردناهُ فإرادة الله شرطٌ ضروريٌ وكاف..لأن تنتِج مشروطها مباشرة .. على فكرة، هذا تكيف القرآن بلغتنا، اللغة العربية تجعلك تشعر أنه توجد مساحة يُعبّر عنها بالكلمات، إلا أنه في واقع الأمر وفي نفس الأمر يُسمّوه، لايوجد فاصل زمني.... في إحدى الخطب عندما تكلمت عن اقسام الثانية... أنك ستصل الى درجة جزء من مليون مليون جزء من الثانية، ثم يأتي الكرونون..ولا يوجد منه ! الذي هو أقل مسافة وهو طول بلانك (عشرة أُس -35 متر).. طول بلانك بالتمـام هو (1,6 × 10 – 34 من المتر) ..ارأيت هذا الطول من الزمان وهو اقل شيء في الثانية؟!.. لايوجد كهذا طول ويُعتبر عَدَم، لكن افترض يوجد شيء بطول بلانك... الضـوء الذي يسير ثلاث مئة ألف كيلو متر في الثانية، في كم يقطع مسافته في طول بلانك؟! .. اصغر زمن ممكن وهو زمن بلانك وهو يساوي عشرة أُس -45 من الثانية... زمن بلانك هو الزمن الذي يستغرقه الضوء لكي يقطع مسافة بلانك، وهو لاشيء في الوجود اسمه طول بلانك بالأساس.. لكنه افتراضية العلماء فيما لو وُجِد هذا الزمن. إذا العقل الانساني استطاع ان يتخيل حَدَثاً، فيما لو افترضنا تلك الشّذَيذَة، التي اخترقت جدار طول بلانك.. وافترضنا انه يوجد ضوء من كون آخر خلقه الله واخترق الشذيذة، فتخيل في كم اخترقها ؟!! اخترقها في عشرة أُس -45 من الثانية... معناها العقل في مقدوره ان يتصوّر أن أمر الله تبارك وتعالى – حين يريد الله- لا يتخلّف عنه مأمورهُ ولا حتى اقل من زمان بلانك هذا !!!! .. والعقل يتخيل صفات الله على نحو أنسَنِي في صفة اعطاء الله امره في مدة يستغرقها كلامه (كن كذا .. وكن كذا ..) حاشا لله، لن نعرف كيفية صفاته، ليس كمثله شيء سبحانه .. فيتساءل احدهم: ولكن كيف، فقد خلق السماوات والأرض في ستة أيام ؟! هي إرادته ان تُخلق في ستة ايام .. مع انه قادر ان يخلقها في اقل زمن !..
وأحدهم يتساءل: خلق الله رجلا وقال بأمره ان يكون فقيرا في سنة، فدخل الرجل في صفقات خاسرة وتعرض لخسائر الى اصبح فقيرا في سنة؟! هو أمر الله وقوله له ان يكون فقيرا في سنة!..الأمر في سنة!، على حسب الأمر، ولن يُتخلّف عنه . وتوجد أوامر فورية آنية، لذلك }وما أمر الساعة إلا كلمح البصر{النحل،50 كلمح البصر يعني : واحد على خمسة عشر من الثانية ! كتردد صور السينما..كما ترى 16 صورة تظهر متتالية في الثانية سترى سيّال من الصور تتحرك فعلا ، لو كانت 12 صورة ستراها متقطعة.. إنها كلها آيات، وهذا روعة العلم، والفكر، والبحث، روعة الفلسفة..فالتعلم والقراءة والبحث يقرّب إلى الله تبارك وتعالى، ويُنضِج الإنسانية فيك } وعلّم آدم الأسماء { البقرة،31 . لهذا آدم هو مسجود الملائكة، لأنه يعرف مالاتعرفه الملائكة ..
على كل حال، قال(دوكنز): " لنفترض أن هذه الحياة صُـمِّمَت في عالم بعيد في الفضاء الخارجي".. فأحرجه (بنشتاين) قائلا: "معناها أنت يابروفيسور دوكنز تُقِر بالتصميم و تؤمن به، لكن بالنسبة لك هذا التصميم تعزوه الى نجوم أخرى، كواكب بعيدة، الفضاء الخارجي ... لكنك لاتريد ان تعزوها الى الله!".. إنما هي المكابرة، وليس فيها حل، لكن لو عزوناها الى الله فيوجد الحل، وإله الى حد نهائي، ذات ذكية عاقلة.. كما سماها (نيوتن) مالكا لكل شيء، هي المسؤلة عن هذا الشيء وعن البدايات، وأما التسيير والسّيْرورة فهو طبعا مسؤلٌ عنها ايضا!.. نحن لانرى ابدا انه

يوجد تناقض بين مفهوم الخلق الإلهي، وبين مفهوم الأسباب وفاعلية الأسباب، في الحلقات المقبلة سأتكلم عن إله الفجوات بإذن الله... إله الفجوات فكرة بلهاء ناشئة عن تخيل التناقض والتعارض بين مفهوم الخلق، وبين مفهوم الأسباب، ولذلك حدث هناك تعارض بين التفسير العلمي، والتفسير الديني الغائي.. إما التفسير الميكانيكي او التفسير الغائي، كل منهما ضد الآخر ..! وهذا كله غلط، وسنشرح هذا علميا فلسفيا ربما في الحلقات المقبلة ان شاءالله.
كما وعدتكم ان نتكلم عن موضوع "التكيف المُسبَق" مصطلح جديد عند التطوريين والدراونة والماديين ماقصته هذا؟ له أمثلة وساذكر مثالين [مثال الصوت عند الإنسان، ومثال الذكاء البشري] :
ومثال الذكاء البشري: طبعا (تشارلز داروين) في عصره درس الذكاء الإنساني كما درس العواطف عند الحيوانات وعند الإنسان، و عزاه الى الانتخاب الطبيعي، قال: الذكاء نشأ عند الإنسان كحاجة تخدم وجود الإنسان، وتخدم مصلحة بقائه، و تم انتخاب كل مايُعزز الذكاء الانساني بآلية الانتخاب الطبيعي.. بهذه البساطة هذه .. وكان يوجد في زمنه عالم كبير تطوري معاصر و تزامن معه في الوصول الى نظرية التطور وبالذات الانتخاب الطبيعي وهو (ألفرد راسِّل والِس) ولإحترامه لِـ(داوين) كان يسمي النظرية بالداروينية ولديه كتاب سماهُ ، لم يُنسبه لإسمه (والسيزم) لانه حتى في نشر ورقته قد سبق (داروين) الذي كان أمينا في اعترافه بأنها ورقة (والس)، لكنه عمل لعشرين سنة عمل ضخم اضخم مما عمله (والس)، واختلف معه في اشياء..
بالنسبة لِـ (ألفرد راسِّل والِس) وضّح انه يرفض أن يُفسّر الذكاء الانساني بآلية الانتخاب الطبيعي، وقال انه عنده مصطلح جديد يُبرّر له هذا الرفض وهو "الذكاء الكامن"، وبإختصار هو: (مايُعرِب عنه الإنسان من لياقات ذكائية تثبت انها ابعد بكثير و أزيد واكثر فيضا بكثير من حاجات البقـــاء) وليس من مليون، بل من ألوف ألوف ملايين السنين موجود هذا الذكاء عند الإنسان، ولذلـك عُرِفَت هذه بـ ماهي هذه المفارقة؟ انك تُسلّم بمقدّمات معينة كتطوري .. تقودك نتائج ضد المقدمات، وتقول هذه المفارقة: (كيف يتسنى للإنتخاب الطبيعي – وكما شرحت لكم ان (والس) و (داروين) كليهما يؤمنان بآلية الانتخاب الطبيعي- الى انتخاب صفات معينة هي المسؤولة عن هذا الكم الهائل من الذكاء الانساني.. في حال أن هذه المنتخبات (الذكاء) لايحتاجه الإنسان في هذا الوقت ولا لعشرات ألوف السنين القادمة، ولكن تؤدي عملية الانتخاب هذه الى انقراض الافراد التي لا تتمتع بهذا الذكاء الكامن، ومَن يبقى هو الذي عنده هذا الحجم من الذكاء، هذه القدرة ، هذه الماحة، هذا المدى ...). هذا عكس الانتخاب الطبيعي تماما !
فالانتخاب الطبيعي ينتخب ويستبقي الصفات التي تساعد على البقاء الآن وهنا، بدليل كما قال (دوكنز): الانتخاب الطبيعي أعمــى ليس لديه رؤية مستقبلية نهائيا.. فـ لكي يُنتخب ذكاء كامن لن احتاجه بالمرة.. ذكاء المهارات الموسيقية، ذكاء الصناعات الدقيقة جدا جدا كالرقائق الإلكترونية، ذكاء الرياضيات وحساب المثلثات والجبر واللوغارتمات والقصة الكبيرة المعقدة هذه الموجودة عند الانسان، ذكاء للمواهب الجمالية والفنية بكافة مجالاته... كل هذا انا لا احتاجها... و (والس) قال: بدليل ان تأتي بطفل من اقزام استراليا، هؤلاء شعوب بدائية، و ضعه في مدرسة متقدمة بلندن او في فرنسا، ويخرج منها في عمر الربع سنوات او الست سنوات بجائزة نوبل بالرياضيات او في الفيزياء او في الاحياء.. مثل أي واحد غربي! .. وفي المجتمع الذي يحيطه ومن عشرات ألوف السنين المقدار الذي يحتاجه من الذكاء ليس له علاقة بالمثلثات والفيزياء والكيمياء مطلقا ... له علاقة بـ كيف يقنُص .. كيف يصيد.. كيف يصنع سكينا او رمحا .. الخ .. وهو مايحاجته للعيش والبقاء، متغلّب على كل الظروف البيئية ومتكيف معها، وسيّد المنطقة، لماذا هذا يستطيع ان تعلم مثله مثلي كل العلوم الدقيقة.. عنده هذا الذكاء الكامن موجود بالقوة من أين ؟! هذه مفارقة والس. احفظوها، عندما تناقشوا داروينيي قولو له جاوبونا عن مفارقة والس .. من أين وكيف؟!
بالنسبة لـ (والس) فقال العملية سهلة عندي: "الذكاء الانساني هبة من الذكاء الرباني"، والعجيــب أن الجينوم عندنا في إيطار الجينات الفاعلة، يتماثل مع جينوم الشامبانزي اكثر من ثمانية وتسعين و نصف في المئة ! وأين ذكاؤه من

ذكائنا؟!.. لا مقارنة !.. والمسألة ابعد من هذا، وأنا كمتدين كمسلم ارجع لكتاب الله العزيز }ونفختُ فيه من روحي{ الحجر،15 }ثم أنشناهُ خلقا آخر{ المؤمنون،14 هذه النشأة الأخرى بالنفخ.. نفخة الروح الربانية هذه، ليست الروح كجزء من الله.. كلا، إنه سرّ إلهي خُصّ به الإنسان، مع أنه بغير هذا السر يكون شامبانزي.. لاتوجد تميزات كبيرة بينه وبين الشامبانزي حتى على المستوى الجيني! .. لكن }نفختُ فيه من روحي{ لا إله إلا الله.. هذا الذي جعلنا خلقا آخر.. نقرض الشعر، ننحت التماثيل .. نبحث عن الرب.. نؤدي العبادات..نبني المعابد.. نتوصل لمسائل الرياضيات العجيبة التي تفسر الكون ونشاة الكون ومصير الكون .. نبحث في اصلنا في اصل الخلقة والنشأة ..الخ ، وصدقوني، بمقــدار ما تخلو من هذه المعاني، يبدو أن هذه النفخة فيك تكاد تخمد وتذوي بالكامل، فلابد ان تذكيها..
أما الدراونة فقالو: لن نعترف، لدينا مفهوم آخر اسمه "الذكاء العام" وهو كالتالي: الانتخاب الطبيعي انتخب عناصر معينة أكدت وع زت مايسمى بالذكاء الان عند الإنسان في فترات متباعدة، واماكن مختلفة.. الإنسان احتاج الى هذا الذكاء في حدود معينة فاستخدمه في القنص نعم، في تسلق الأشجار، في قطع الأغصان... ولكن هذا الذكاء في مراحل اخرى يصلح ان يصمم جهازا .. ان يعزف على آلة موسيقية، هذا الإبهام يصلح لأن يكتب بالقلم.. هو نفسه الذي يصلح لتسلق الأشجار وقطع الأغصان وغيرها من اعمال بسيطة .. فقالو هذا ذكاء عام موجود عند الكل في مراحل متقدمة حديثة اُستُخدِم هذا الذكاء في قضايا علمية وفلسفية وتقنية. .. لكن تشعر ان تفسيرهم هذا هو هروب..تقرير المشكلة بشكل آخر..صح ؟! لايقدم تفسيرا حقيقيا، ماذا يعني الذكاء العام بالطريقة هذه؟!
نقطة ضعف الذكاء الداروينية الحديثة هذه أنهـــا تفترض ان الذكاء هذا شيء محدد و واضح!. والذكـاء ليس كذلك، هم لم يتفطنوا الى هذا .. هل هناك جين من الجينات هو المسؤل عن الذكاء؟ هل سمعتوا أي عالم وراثي قال: هذا جين الذكاء ؟! مستحيل، لايوجد هذا الجين المسمى بـ جين الذكاء!.. جين واحد او مجموعة جينات .. ابدا لاتوجد، فالذكاء مسألة معقدة ومركبة جدا جدا .. حتى الدماغ هذا ،المخ كيف يعمل كيف يتخصص، كيف يمكن ان تكون له لياقات علمية ادبية فنية لغوية مختلفة..مسألة معقدة جدا جدا. وقالوا: بدليل أن مخ الإنسان كَبِرَ، فيما كان اصغر حجما في السابق.. او صار اعلى سنا.. حسنا كبر الدماغ وصار حجمه 1350 سنتم مكعب، عندما كبر الى هذا الحجم فعلا، صار ميدانا لمدى من الذكاء صَلُحَ لأشياء كثيرة، وبعد ذلك ظل صالحا لأشياء اخرى.. وهذا – كما قلت قبل قليل- تقرير للمشكلة بطريقة اخرى، هم يقررون المشكلة لا يجيبون.. هذا ليس تفسيرا ! وسؤالي هو : كيف تم انتخاب شيء معين صَلُحَ لأشياء بدائية تساعد على البقاء، لكن عندما اختلفت الشروط والظروف ظل صالحا لتطوير حياة الانسان الى مدى فَلَكي في بُعدِه عن الحالات الأولى، فكيف ذلك؟ معناه انه من البداية من وقت ماتم انتخابه كان مُبرمجا لأن يصلح لهذه الظروف الجديدة، كونه لم يُستخدم هذا الذي قاله (والس) انه ذكاء كامن ، كالبطارية عندك عندما لم تكن مستخدمة وقت ماتستعملها ستؤدي لك الغرض منها كالإضاءة او غيرها مثلا ..
نحن حديثــنا عن هذا الكمون.. مـــاهو سر هذا الكمون ؟؟؟! مع انه كان المفروض ان يتم تطوير عبر الانتخاب مع كل نشوء حاجة جديدة، يتحدى ظروف البيئة او المجتمع او كذا .. لكنه لـــــم يحدُث ذلك !!

نكتفي هذه الليلة على ان نكمل في الحلقة المقبلة ان شاءالله
والسلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته

الحلقة الثانية عشر برهان النظم 7

الجزء الأول

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم ..الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد ابن عبدالله النبي الأمين وعلى آله الطيبين وصحابته الميامين.. اللهم علمنا بما ينفعنا، ونفعنا بما علمتنا و زدنا علما
أما بعد .. اخواني اخواتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
وقفنا في الحلقة السابقة عند مفارقة والِس التي تعني باختصار ان هذا العالم التطوري المعاصر لـ (تشارلز داورين) طرح المفارقة على النحو التالي: لماذا يقوم الانتخاب الطبيعي بإصطفاء صفات معينة تتعلق بالذكاء الإنساني، لكن هذا الذكاء المتاح والموجود أكثر بكثير من حاجة الانسان في تلكم الاحقاب المتقدمة أي في اسلاف الانسان إليـه، يعني هو ليس شرطا في البقاء، هو شرط زائد يمكن ان يُحتاج اليه بعد عشرات ألوف من السنين، لكن الانتخاب الطبيعي هو الذي اصطفى ذلك، بمعنى انه استبعد كل من لايملكون هذه المواصفات، واستبقى هؤلاء على أن هؤلاء الباقون يتميزون بذكاء زائد الى حد بعيد عن الذكاء الشرطي للبقاء...و الانتخاب الطبيعي لايعمل على هذا النحو بالمرة، بل ينتخب الصفات التي تساعد على البقاء الآن و هنا ! ..
بالنسبة لـ (ألفرِد والس) اجاب عنها بأن الذكاء الانساني منحة من الذكاء الإلـهي، وبعض الناس تدعو هذه الاجابة بأنه إلـه الفجوات.. ان (والس) لم يستطع أن يفهم المسألة فأحاله على الله .. و للأسف كثيرا من إخواننا المسلمين والعرب أدمنوا على استخدام مصطلح إله الفجوات دون ان يعرفوا اعماقه الحقيقية، نحن ليس لدينا شيء اسمه إله الفجوات، غير صحيح بالمرة، إله الفجوات هذا مصطلح خـاص يمكن ان يكون له بعض المعنى في التجربة الأوروبية، في السياق الإسلامي لا معنـــى له مطلقاً !.. وبالمناسبة، لايدري هؤلاء العلماويون أن إله الفجوات يقابله عِلمِ الفجوات ايضا !.. في النهاية بحساب منطقي بسيط إله الفجوات سيكون اسعد حالا من علم الفجوات. بإختصار: كلما فشل العلم في تقديم تفسير حاضر له يقولون " العلم سوف ينجح حتما في يوم من الايام في تقديم تفسير" يحيلونه على غائب وعلى مستقبل وبالاحتمال وقد لاينجح .. هذا علم الفجوات ايضا، بمعنى أن العلم يُعوّض عن الإله.. العلم هو إلهنا ... لكن علمك فاشل الان في اشياء كثيرة، سينجح في يوم من الايام ... أي علم الفجوات !
خذوها مني فلم يُسبَق إليها: سنقارع إله الفجوات بـ علم الفجوات، وكل من يقول لك إله الفجوات، قل له أنت علم الفجوات ايضا.. أنت علم مثقّب.. في التصور الاسلامي للإله مفهوم إله الفجوات لايعمل .. غير موجووود ليس له مكان بالمرة.
لـم يستسلم الدراونة، وطبعا لايريدون إله الفجوات، قالوا لدينا تفسير لهذه الظاهرة العجيبة وهو نظرية"الذكاء العام"، طبعا لايمكن ان تكون نظرية، هذه فرضية وضعيـفة جدا.. ومعنى هذه النظرية: يقولون بحكم تطور حجم الدماغ الانساني وتعقُّده عبرَ زمنية طويلة جدا، صار هذا الدماغ مؤهلا لأعمال كثيرة بعضها يحتاجها الانسان اليوم، وبعضها لايحتاجه.. الذي يحتاجه الدماغ اليوم يقوم بالوفاء بهذه الحاجات، على أنه يستطيع ايضا بعد مليون سنة او

نصف مليون سنة أن يقوم بحاجات اكثر تعقداً وأكثر تركبا واكثر تطورا... بمعنى ان هذا الدماغ الذي كبر حجمه وتعقدت بنيته واستُخدم في يوم من الايام للقنص و تسلق الاشجار وفي الحروب وفي الحاجات الاجتماعية العادية، في يوم لاحق.. في ايام الناس هذه.. نفسه سيكون صالحا لممارسة الموسيقى والفنون التشكيلية والرياضيات العليا، وصناعة السفن والصواريخ والقنابل الذرية ..الخ وبنفس الدماغ ..!

هذه فرضية، لكن انتبهوا، تُحاول ان تُقدم شيئا وتتغاضى عن اشياء، نعود للمربع الاول..ومامعنى ذكاء عام، انتم تقولون ذكاء عام! .. انتم بهذا التفسير أكدتم أنه ذكاء اكثر عمومية اكثر لياقة، كلمة "عام Gineral" تضلل قليلا، كلمة العمومي تُعادل كلمة اللياقة، ذكاء لديه لياقة وقدرة وامكانية ان يتعاطى مع شروط للبقاء اوسع بكثير من الشروط المتاحة حاليا!.. وهـل حقا يوجد شيء اسمه ذكاء عام؟! سوف نرى ونستشير العلماء الأخصائيين في شؤن الذكاء بالذات ،، وثمّة أمر آخر، البداية غير موفّقة عندما تقول لي "عندما كبر الدماغ.." وكأن جدم الدماغ مهم.. ليس مهما، لقد ذكرتُ سابقاً أن الانسان البدائي " Neanderthal" يزيد على الدماغ الانساني بنحو 10% ، حجم ادمغتنا 1350 سنتم مكعب، حجم دماغ الانسان البدائي 1520 سنتم مكعب مع أنه لايُقارن بالإنسان الذي نعرفه في لياقاته وذكائه !

ونقلت عن عالم الاعصاب امريكي من اصل هندي والمشهور عالميا والملقب بـ (ماركو بولو علم الاعصاب)، و (بروك العصر الحديث) وهو (راما شاندران) لايزال حيا يمكنك ان تقرأ له بعض المحاضرات وفي موقع اليوتيوب، عالم ذكي جدا ومتكلم لَبِق، ولطيف وظريف.. قال: "عقلي المتخصص في علم الاعصاب والدماغ لايستطيع –وهو اكبر عالم اعصاب في العالم- ان يتقبل ان يُقال أن الذكاء الذي كان لازما لتسلق الاشجار او رمي بالقوس او تسديد حربة الى طريدة هو الذكاء الذي يُستخدم في الجبر وحساب المثلثات .. مستحيل!" يَرُد نظرية الذكاء العام، كان يريد ان يقول: عجيب ان يكون عند الانسان قبل عشرات ألوف ومئات الوف السنين هذه اللياقة الذكائية التي تتخطى بمراحل الشروط المطلوبة بالبقاء !. وهذا يطرح تحدٍ كبيرا، الانتخاب الطبيعي لايفسر هذا، لكن لماذا كان الأمر على هذه الشاكلة.. لماذا؟! طبعا بالنسبة لدينا فنحن نعرف لماذا...يبدو أن الانسان الذي نعرفه مُذكىً هو خُلِقَ لكي يعرف، اسمها مَلَكَة الاستعراف "cognition ability" وهذه المَلَكة موجودة لديه لكي يتعرف على تفسير على وجود، ولكي يتطلب بها تعليلا للوجود، ويتسلّق حتى يصل الى المبدأ الأول للوجود.. وعلى فكرة، هذا ماظل الإنسان يفعله وإلى اليوم، حتى ملاحدة علماء الطبيعة وعلماء الأحياء والفلاسفة يطرحون مسألة الوجود الأعلى لينفوها، لـكن لا يستطيعون ان يتجاوزوها بالمرة....تُطرَح باستمرار، ومنهم من يطرح ويثبت. لذلك (جون بارو) الفيزيائي الإنجليزي الشهير جدا، يقول: "هل يمكن ان يكون أمرا غير مقصود وغير ذي معنى، أننا نتمتع بهذه اللياقات التي تؤهلنا لدرس هذه الموضوعات الصعبة؟!" ولا الموضوع فيه قصدية معينة ؟! نظرية مفارقة والس هذه تدعم هذا الاتجاه.. مفهوم الذكاء العام.. هل هو مفهوم واقعي علمي.. معترف به المجتمع العلمي اليوم؟! أبـدا، اقرأ الكتب المتخصصة، ففي كل الكتب تقريبا شبه اجماع على ان الذكاء متعدد.. كالذكاء الثلاثي، والذكاء العاطفي، وهذه النظريات من اشهر النظريات المعاصرة في توصيف الذكاء الانساني. فالذكاء المتعدد Multiple intelligences لـ (جاردنر).. خلاصته: أن كل انسان فينا لديه انواع من الذكاء مختلفة متعددة، وتوجد اقسام في المخ يُوَزّع عليها هذا الذكاء.. العجيب –كمايقول جاردنر واتباعه- أننا لا نختلف فقط في حجم الذكاء الفلاني بيننا، بل بعلاقة الذكاءات هذه ببعضها.. كل فرد ايضا متميز، وبالتالي يقول هؤلاء العلماء: لدي كل فرد منا سَمْت ذكائي محدد يميزه عن الآخر" ، هذ الكلام مزعج جدا للداراونة!، بينهم يتحدثون عن الذكاء العام.. مفهوم بسيط مسطح ساذج، كأنه اقرب الى ان يكون عضوا محددا وانتهى،، لا .. الذكاء مفهوم ديناميكي متحرك، مثل الغابة السحري، عدة ذكاءات في الفرد، حتى العلاقة بين هذه الذكاءات مختلفة من فرد الى فرد!

اذن سقطت نظرية الذكاء العام التي لم تكن سوى حيلة "اعطه اسما" ولم تكن تملك تفسيرامنطقيا، من هذه الذكاءات المتعددة، الذكاء اللغوي... عموما النساء اذكى لغويا من الرجال، قدرتهن على اكتساب اللغة احسن واسرع من الرجال..معروف !، والرجال متفاوتون...

الذكاء المنطقي الرياضي Logical mathematical intelligence

الذكاء البصري الفضائي والمكاني

الذكاء الموسيقي

الذكاء الجسمي الحركي

الذكاء التتصنيفي

الذكاء الروحي او الوجودي

الذكاء التعارفي او العلائقي بين الاشخاص

ذكاء الوعي بالذات .. معرفة الانسان ذاته داخليا..وعلى فكرة، معظم مشاكل الناس من هذين النوعين من الذكاء، ليس لديهم الذكاء التعامل مع الآخرين، وليس لديهم ذكاء التعرف على شخصياتهم انفسهم ..ومن اجمل مايكون عندما يكون عند الانسان ذكاء ذاتي وعي بذاته..اي محاولة تجاوز الانسان نفسه .. لأن الإحالة الدائمة الى الذات، توقِعُ الانسان في التناقض!..لكي اتجنب الوقوع في هذا التناقض علي ان اتجاوز ذاتي بحيث لا أُحيل الى ذاتي.. لذلك، الانسان الواعي يطلب من أخيه او صديقه المقرب ان يخبره عن رأيه به بكل صراحة فالمؤمن مرآة أخيه.. لكن هناك من يستطيع ان يعرف ذاته كأنما يخرج من شخصيته ويصبح هو الآخر وينظر الى نفسه ... فيعرف نفسه ويفهمها، وحتى النظر الى المرآة قد يفيد عندما تنظر الى نفسك كيف تغضب كيف تنفعل..ممكن تجد اشياءا لاتعجبك عن نفسك.. لأن الإحالة الى الذات توقعك في التناقض.. مثلا لو كتبت عبارة: ، هذه عبارة تحيل الى ذاتها، توقعك في التناقض مباشرة.. اذا اخذت على ظاهر العبارة وصدقت انها عبارة كاذبة..اوقعتك في التناقض، أي تقول لك:انا عبارة كاذبة، وانت تقول هي صادقة معناها صدَقت في الإخبار عن نفسها، فهي صادقة بهذا الاعتبار، وهي كاذبة لأنها صادقة فهــي صادقة كاذبة ! وهذا هو التناقض. وفي الحالة المعاكسة فيما لوقلتَ إنها كاذبة لأنها قالت عن نفسها أنا عبارة كاذبة، اذن هي بهذا الاعتبار كاذبة ولأنها كاذبة، فهي تكذب فيما تُخبِر عن واقع حالها فتصبح صادقة..فهي عبارة صادقة.. اذن هي عبارة كاذبة صادقة ! ... هذه المفارقة اكتشفها (برناند راسِّل) اسمها مفارقة الإحالة الى الذات، و أوحت لي بنظرية في التوحيد والعرفان من أعجب مايكون..حلّيت المفارقة و في النهاية تصل الى الله تبارك وتعالى، وهو المصدر لا إله الا هو، هو المصدر لكل وعي الذي لا إله إلا هو،، وعليه الإحـالة..فقط، وإلا بغير إحالة إليه والاستمداد منه فالوعي البشري يصبح مستحيـــل ! يصبح وعي متناقض بهذه المفارقة التي أُريدَ بها ضرب اسس الإيمان. ..

هذه الذكاءات بأنوعها التسعة العلاقة بينها علاقة متفرّدة لكل شخص، تجعل منه شيئا بحياله مايجعل لكل منا سمتا ذكائيا خاصا..

لدينا نظرية الذكاء الثلاثي يعتمد على ثلاثة اشياء اساسية: الجانب التحليلي/ بعض الناس ليس لديها قدرة تحليلية كبيرة، والجانب الإبداعي/ منذ الصِغَر عندالإنسان فيه هذا الجانب حب البناء والهدم..ويبدع فيه، والجانب العملي.

ولدينا الذكاء العاطفي او الانفعالي، اكتُشِف في القرن العشرين وبعد ذلك اصبح صَرْعة، لأنها نظرية جميلة جدا في تفسير الذكاء الانساني.. وهي مؤسسة على خمسة اركان:

1/ بُعد الوعي بالذات، وهو اهم ركن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من كان له من قلبه واعظ كان عليهِ من الله حافظ"، انت تكون واعظ نفسك، ولتحذر من عمى البصيرة حيث لايرى الانسان نفسه الا مخلوق ملائكي وهو اعمى عن رؤية حقيقته الخبيثة التي البعض يرى ان كل جرائمه هي قربى الى الله وأنه حالة استثنائية.. على فكرة، هذه اسوأ

درجة من درجات الزندقة.. هذا الزنديق الحقيقي وهو موجود، وليس له علاقة ابدا بالوعي الذاتي، هو يعيش مع ذات اخرى موهومة، لكي يستطيع ان يستبقي الذات الملعونة، ليس عندها محظور ولا حدود ! يكفي فقط ان تستغضبه قليلا..حتى يهتك كل شيء محرّم منك عرضك ودينيك ومالك واذا استطاع دَمَك ايضا ! لهذا تجد هذا الشخص ابعد الناس ان يكون ذكيا عاطفيا، لذلك لاينجح في الحياة الاجتماعية.. وعلى فكرة، هكذا تكون الشخصية السايكوباتية (الغير اجتماعية) الشخص السايكوبات يرى نفسه احسن انسان، وهو ممثل بارع وفي الوقت الذي يعرف نفسه انه يكذب على الله وعلى الناس وعلى اقرب الناس اليه ويُسيء اليهم، وليس عنده راحة ضميرية، بل لاضمير لديه اساساً ! ولذلك علماء النفس الكبار قالوا احسن اسلوب في التعامل معه هو أن تبتعد عنه نهائياً.. إيّـاك ان تفكر بأنه لديك القدرة لتغير فيه.. لن ينفع مطلقا غير ان تبتعد وتهـرب .

2/ بُعد ادارة المشاعر وهذا له علاقة بالبعد الأول كأنه نوع من التنويع والتفصيل، والتحكم بمشاعرك وتعطيها مدى تتحرك، يعني من الذكاء الانفعالي انك تظهر احيانا انفعالك، وهذا ليس انفلات .. بل النبي كا يغضب، لكنه يغضب لحدود الله، ويظهر غضبه،وهذا امر مطلوب.. وفي بعض المرات لا، أي ليس دائما يكون هذا نهجك، متى تظهر انفعالك.. متى تكبته.. متى تقابل الإساءة ببسمة..متى تقول توقف هذا كافيا.. هذه ادارة المشاعر، ولا تدار على نحو واحد، يعني العرب كانت تقول: من استُغضب ولم يغضب فهو حمار، فلا تقل انا حليم وساتحلّم..ليس دائما وإلا اصبحت كالحمار بدون مشاعر في المدى البعيد.. فيه مرّات عليك ان تضع حدا .. ولكن ليس دائما وأنت من يقدّر ذلك.

3/ بُعد الحافز .

4/ بُعد التعاطف أي كيف تكون متعاطفا مع الآخرين، ان تضع نفسك موضع الآخر.. (كارل روجرز) من اعمدة علم النفس الانساني قال: "هذا من انبل مايتمتع به بنو البشر"، وعلى قدر ماتتمتع به، فأنت انسان راقي جدا جدا، ان تحاول ان تعيش الحالة التي يعيشها الآخر، حتى تتفهم وضعه وتعرف احساسه و تعرف مالذي تحتاجه لكي تتعامل معه بطريقة مناسبة له.. قال (سانت أوغستين): "الحكم على الناس وبالذات من خلال حيثيات مواقفه الاجتماعية خطيـئة". هم العباقرة فقط الذين يتلمحوا الذكاء في أُناس عاديون جدا جدا!، والمسيح عنده اصل الرسالة: "لا تدينو لئلاّ تدانو"، فلا تكن موزعا تصنيفاتك للناس هكذا، بل على قدر ماتستطيع ان تبرر.. ليس لمجرد التبرير، لا، بل تبرير تعاطفي: لو كان كذا وكذا ، لم يكن ليعمل هكذا ..تفهّم احساس الآخرين ومايحتاجوه هو من الذكاء والرّقي.

5/ بُعد المهارات الاجتماعية وهي مهارات تواصلية .

اذن نظرية الذكاء العام بالطريقة الداروينية غيـر موجود، ومما يؤكد كلامنا هذا، والذكاء العام يفشل فيه أنك تجد بمايُسمى بـ الحمقى او البُلهاء أو البُله العباقرة.. العالِم الأحمق، يكون معامل الذكاء عندهم اقل من خمسين! ..لكن هؤلاء في نفس الوقت يُعربون ويُترجمون عن بعض المهارات الذكائية وخاصة في الرياضيات مدهشة و محيرة !! كيف؟؟! لانعرف، عجيـب!..مهارات ذكائية غير طبيعية.. هنـا نظرية الذكاء العام تفشل، ففي هذا لديه تفوق في جانب معين بشكل لافت، وفي باقي الجوانب ليس لديه اية مهارة، يعني لايوجد شيء اسمه ذكاء عام موجود كحد معين في كل البشر.

"التكيّف المُسبق"

يُقصد به ظهور تغيرات حيوية معينة، هذه التغيرات لا تخدم شيئا يُراد الآن، لكنها ستخدم في المستقبل البعيد لماذا ظهرت ؟ لماذا تم انتخابها ؟!! وهنا الانتخاب الطبيعي يفشل.. يأتي شخص ما ويسألني: اتناقش الانتخاب الطبيعي ام تناقش التصميم؟.. نناقش التصميم، فمازلنا في برهان التصميم!.. وهذه تحديات ان هناك مصمما، وهذا المصمم ليس الانتخاب الطبيعي كما تعتقده أنت، بل هو المصمم الذي لا إله إلا هو، فالانتخاب الطبيعي المفروض ينتخب

الأشياء التي تخدم هنا والآن فقط، لكن لا ينتخب اشياءا ستستخدم بعد نصف مليون سنة كالتصويت عند الانسان مثلا!، من قبل نصف مليون سنة كان عند اسلافنا مجرى الصوت، كيف عرفنا؟ في الجماجم فيها نتوأت معينة لتؤكد ان هذا المجرى موجود، مجرى الصوت عبارة عن حنجرة والبلعوم واللسان المزمار وتجويفي الانف والفم والأسنان كمكملة والحنكين.. كل هذا هو جهاز التصويت الذي وُجِد في اسلافنا قبل نصف مليون سنة، ولم يكونوا يتكلمون.. والى اليوم، في القردة العليا وفي الطفل الصغير الانساني.. نرى تشابه كبير بينهما في وجود هذا الجهاز الصوتي كاملا، وتجد الحنجرة مرتفعة، كلما ارتفعت الحنجرة يتقاصر البلعوم ولاينفع للتصويت بعد .. الطفل يكبر قليلا فالحنجرة تنزل ويصبح البلعوم اطول، فيصبح صالحا للتصويت..لكن في القردة العليا ماتزال حنجرتها مرتفعة لاتستطيع ان تصوّت كالإنسان.. لكن ان يكون هذا المجرى الصوتي عند اسلافنا من قبل نصف مليون سنة و لم يتكلموا.. هذا شيء غريـب، والانتخاب الطبيعي كماقلت لكم هنا.. يقف مكتوف اليدين.. لاستطيع ان يفهم لماذا ! لأنه المفروض ان ينتخب مايصلح للآن.. وليس ينتخب ماسيصلح لمابعد نصف مليون سنة !!!! اذن هناك قصد، هناك مصمم عنده رؤية مستقبلية يقول لك: } يزيدُ في الخلقِ مايشاءَ (1) { فاطر، وأنا اخلُق وأطوّر بهذه الطريقة لكي بعد نصف مليون سنة سأجعل من هذه الخليقة خليقة تصوّت و تتكلم! } الرحمن.علّم القرآن.خلق الإنسانَ.علّمه البيان { الرحمن،1:4 هنا تجد مددا جديدا لنظرية التصميم..

على كل حال.. للأسف، المشوار مع الملاحدة والماديين تستمر ويتصل، لايستسلمون وهذا شيء جميل.. لأنه أمر يستدعينا للدفاع والتفكير وبالمعاناة وبالصراع يصبح جميـلا .. سبحان الله، لذلك خطيبتك خطيبة هي أجمل منها زوجة، لم تكن لك بالكامل مسلّمة..لك فيها بعض الحظ والحظ الاكبر فيها للأهل .. على كلٍّ يتقدم هؤلاء لينقضوا علينا كل البنيان بتشكيك فظيـع مروّع، وهذا التشكيك ممكن يسبق إليه فيلسوف كبير،او حتى انسان عادي يستخدم عقله، من اين لي ان عقلي يفكر على النحو الصحيح ويعكس واقعية الأشياء؟! من اين لي ان الاشياء لها واقعية حقيقية؟! قد تكون المسألة كلها مبتدا ومنتهى أننا هنا ونفكر بطريقة معينة، نسقطها على الكون الخارجي، ونظن انها صحيحة وتعطي الأشياء واقعية، وهذا كله وهم كبير عشنا فيه..فقاعة،كله ترهات .. ونتحدث عن تنظيم وانتظام وعن قوانين وعن حكمة وعن تدبير و ربوبية وتصميم ومصمم .. وكل هذا اساطير !!؟ .. هذا سؤال يُطرح واعتراض دائما يُطرح من كبار الفلاسفة وصغار المثقفين .. وهو مخيف ! لذلك لابد ان نتكلم عنه بقية حلقة اليوم..

أولا هذه الشبهة تعني في الوقت ذاته ان التصاميم الصنعية ايضا ليس لها دلالة ولا واقعية كالتصاميم الطبيعية.. انتبهوا، يعني ان الشبهة ليست عن التصاميم الطبيعية كتصميم الحامض النووي..تصميم جناح الفراشة..تصميم دماغ الإنسان..الخ، حتى التصاميم الصنعية كالساعة والصاروخ والقنبلة النووية والسيارة و.. الخ، هذه تصاميم تعني انها تعكس خطة وتعكس نظاما، النظام ارتباط سببي معين مقصود.. شيء يرتبط بشيء بحيث يؤدي الى شيء وهكذا. ومن أدق تعريفات التصميم، تعريف قدمه ابن رُشد رحمة الله عليه في وردده بعض كبار علماء الفيزياء في القرن الحادي والعشرين دون ان يقفوا عليه، يقول ابن رشد: "النظم أو التصميم هو أن يكون ماقبل الغاية خادما لما بعده(للغاية)"، يعني توجد عندي وسائل مقدمات هذه ليست حادثة او موضوعة هكذا..لا لا، بل موضوعة لكي تخدم غاية محددة. ولذلك يقال في التصميم من احسن تعريفاته: أن الوسائل تبحث عن غاياتها.. هكذا يقول بعض علماء الفيزياء المعاصرين. واضح أنها توجد غائية معينة في التصاميم الصنعية صح ؟! غائية واضحة و (ديفيد هيوم) وافق عليها، لكن لماذا تقيسُ عليها التصاميم الطبيعية ؟!! . (ديفيد هيوم) لم يخطر على باله من هو الأصل ومن هو المقلّد!، فالأصل هو الطبيعة ، والإنسان هو الذي يُقلّد.. الطبيعة علمت الانسان كيف يكون التصميم، اليوم تقريبا مامن اختراع كبير إلا وله اصل في الطبيعة !!!. اذن اذا كان فيه مصداقية و واقعية ودلالة للتصميم الصنعي، من باب اولى ان يكون هناك دلالة لتصميم الطبيعة، بمعنى كما لو قلت لي أن هذه الساعة التي في معصمك تساوي

كما لوكانت مفككة اجزاؤها منثورة في ساحة الارض ! كماهو المثال عندما تقول لي عن جزيء الحمض النووي بتنظيم تركيبات مكوناته يساوي كما لو كان مجموعة قواعد نيتروجينية مرماة هكذا في فضاء الجسم لايصل بينها شيء مع روابط هيدروجينية منثورة مفككة، هل يتساويان حقا في كلا الحالتين ؟!! الفرق بينهما أن هذا يشتغل وهذا لا يشتغل.. هذا يُشفِّر ويعطي اوامر وينجح ويصنع .. وهذا لايستطيع ! كالفرق تماما بين هذه الساعة تدل على الوقت وبدقة تستطيع ان تقول لي بعد ساعة ستشرق الشمس.. الساعة لم تجعلها تشرق لكنها دلّت عليها، رابطة دلالية ليست تكوينية، و متواضع عليها وتنجح دائما لاتخونني كما أن هذا الجزيء ينجح باستمرار في أن يعطي نتيجته.. إن ساغ لك ان تقول هذا ، ساغ لك ان تقول هذا بصدد الجزيء النووي..

بعد الكلام في هذه المقدمة، التشكيك في موضوعية النظم في الكون: من قال انه يوجد نظم إله و واقعية؟! قد يكون هذا اسقاط من العقل الانساني، الكون هو هكذا وانتهى، بل نحن الذين سميناه نظما واسقطنا عليه مفاهيمنا البشرية وارداتنا ومصالحنا .. غير صحيح، لكن هذا الكلام خطير جدا وعدمي، ويعني أول مايعني هو القضاء على سائغية العلم، ليس العلم فقط، بل القضاء على امكانية وإمكان كل استدلال من حيث أتى..اي استدلال، هو يقضي على نفسه .. اتعرف لمَ؟! نحن كل تفكيرنا وكل مفاكرتنا..كل حواراتنا وتواصلنا..كل هذا هو ضروب من الاستدلال. اذا أنكرتَ واقعية النظم، معناها انكرت النظام الارتباطي، انه يوجد ارتباط معقول بين الاشياء، ليس بإرتباط عشوائي.. بل هذا مرتبط بهذا لمعنى، لغاية، لقصد، وبدليل أنه يشتغل عندما يرتبط فإنه يشتغل ويعطي نتيجة،، واذا عكسنا الارتباط لايعطي نتيجة او لايشتغل بالمرة، تماما كصاروخ مكون من خمسة ملايين قطعة، ابسط صاروخ لمّا صُنِع كانت فيه خمسة ملايين قطعة!! ، قطعة واحدة لو اخذتها يتوقف الصاروخ كله.. يعني كل شيء في مكانه، ومكان لكل شيء – كمايقال- كل قطعة لها مكانها وهي في مكانها.. اذن يوجد نظم، وهذا مايحدث في الطبيعة، أي شيء خذ منه شيئا يتوقف..او نتيجة مختلفة تماما لاتخدم البنية قد تدمرها قد تعوقها قد تفسدها ..

فحياتنا كلها هي قائمة على الاستدلال، لا امكانية لأي استدلال من حيث اتى اذا انكرتَ واقعية تعقُّل العالم، معقولية العالم، وقدرة العقل على ان يتعقّل، لانه يصبح بكلامك هذا وسؤالك وجوابك واستدلالك نفسه لامعنى له، فكما قلت لنا عن النظم والتصميم عبارة عن اسقاطات عقولنا وان العالم خالٍ من النظم .. اَه اذن بكلامك هذا فالعالم منظم جدا جدا، وتسألني: كيف فهمتَ هذا؟! لانه لاتوجد ارتباطات، كل شيء مرتب على كل شيء بدون تنظيم، أنا سأفهم من كلامك، سأفهم من محاجّتك إن العالم منظم جدا، فتقول لي مُصراً أنا اريده غير منظم!.. فأقولك لك: انا حُر يا اخي، لانه لاتوجد اية معقولية لأي شيء.. انا سأرتب أي شيء على أي شيء كما أريد على رغبتي انا... فتقول لي: هذه سَفْسَطة !. أنت اذا قضيت على المبادىء تتيح لي ولكل احد ولنفسك المجال لان يُرتّب أي شيء على أي شيء!.. هؤلاء هم السفسطائيون الحقيقيون معاصرون في اثواب علماء وفلاسفة (يعني سفسطة لاتنتهي)، يلعبون لعبة السفسطة دون ان يدروا!..

العـلم على ماذا يقوم بالله عليك ؟!

العلم يقــوم على الاعتقاد بواقعية العلاقات الارتباطية بين الاشياء، موجودة ويؤمن بها العلم، وبإختصار يقوم على موضوعية النظم، أنه يوجد نظم في الخارج، وُجِدتَ لتكتشفهُ او لم توجد فهو موجود ويعمل ويؤدي رسالته، فأنا كعلم احترم هذا مبدئياً وأبدأ اسعى لكي اكشف عن القوانين الحاكمة والفاعلة فيه، وهكذا يتمّ العلم.. واذا انكرت هذا، فأنت تضرب سائغية العلم، يصبح العلم غير سائغ مشروع مستحيل!، وهو مشروع ممكن جدا جدا وناجح وفعّال، وسنرى ..

لو كان كلام هؤلاء السفسطائيون صحيحا، لأمكن في عالم العلم ايضا أن نقرّب اية ظاهرة من ظواهر الطبيعة، بأي فرضية، ليس شرطا بفرضية محددة بل اية فرضية، انت قرّبها بفرضية (أليست بإسقاطات كما تدّعي؟!) وانا سأقولبها بفرضية معاكسة لفرضيتك، أنت انظر اليها من زاوية من خلال فرضيتك، وانا انظر اليها بزاوية بفرضية،

وفي الأخير أنا سأنتج علما وأنت تنتج ... وهذا غير صحيح، لأنه في المسار العلمي تُمتَحَن فرضية، وتسقط، فنستغني عنها.. و تُمتَحَن فرضية ثانية وثالثة واحيانا عشرات الفرضيات الى ان نقع على الفرضيات الصحيحة التي تكشف عن القانون الحاكم، هي فرضية محددة وغيرها لاينفع، واحيانا يُعتَقد الفكر الانسان لمئة سنة ومئتين وثلثمائة سنة الى ان يقع على الفرضية الصحيحة، ويظل فاشلا تماما كما فشل في فهم كثيرمن الامراض وآليات الامراض وكيف يحدث المرض، وسقط في وهدة الخرافة وتداوى بالسحر وبالشعوذة وبالتنجيم و ببول الحمير.. وبضرب الناس وبالتّربنة و خَزْق الدماغ .. ومات البشر ونُسِبَ الى الشيطان والى اليهود والى الأجانب ... إلى أن عرف المقاربة الصحيحة لهذه الظاهرة الامراضية، وتغلّب عليها وانتهى شيء اسمه الطاعون، وشيء اسمه حصبة، وشيء اسمه كوليرا .. انهيناها باللقاحات والتطعيم والتطهيرات وامور كثيرة جدا. اذن العلم ينجح، ويسيطر، ويغير البيئة والطبيعة، ويضع شروطه وامكاناته، لانه منهاج صحيح ينطلق من احترام النظم والعلاقات العلّية الحسابية في العالم الخارجي ... لكن مسألة اسقاط ..لك الحق ان تقارب من زاوية بفرضية وأنا بفرضية وأنت ستنجح وأنا سأنجح هذه اسمها أي عندك صح و عندي صح، غير صحيح..في العلم هـذا لا يُفلِح !! ممكن يفلح في الفلسفة الفارغة على الجَهَلة، لكن في العلم الذي احيانا يُختَبَر اختبارا تجريبيا .. لاينجح الإثنان، كالأعرابي الذي قال: "خذا أنفَ هَرْشة أوقَفاها فإنما كلَا جانبي هرشة لهن طريقُ". (هرشة هذه ثنِيَّة قريبة على مكة في طريق الجحفة و تُطِل على البحر الأحمر، لها مسلكان، من أي مسلك فأنت تأتي ثنية هرشة)، ففي لغة الفيزياء مسألة تناظر.. لكـن في العلم ليس فيه كهذه المسألة .. مقاربة وحدة صحيحة، والثانيـة تكون صحيحة، قد تكون هي المقاربة الأصح نسبيا الآن، الى ان تهتدي الى مقاربة اكثر صحةً.. لن ليس واحد ضد واحد والإثنين صحيحان!.. لا، هذا غير صحيح.

اذن الأخطر ليس ضرب سائغية العلم فحسب، بل الوقوع في السفسطة بمعنى ضرب معقولية العقل نفسه..معقولية الفكر البشري.. معقولية الاستدلال البشري.. هذا اخطر شيء على الاطلاق.

الآن معقولية الطبيعة المتبدّية في نظمها وتصاميمها، اذا افترضنا أنها فعلا مجرد اسقاط بشري يعكس تحيزاتنا، ويعكس مصالحنا.. وممكن ان نستبدل هذا التحيز بتحيز آخر..كما قلت بهذه الفررضية بفرضية اخرى..بهذه المقاربة بمقاربة اخرى، فالأمر رهن واحد من شيئين: إما ان يكون رهن التواضع والاصطلاح بينا كمجتمع بشري حتى مصغّر مجتمع علمي، وإما ان يكون رهن البنية العقلية لنا .. لكـن في كلا الحالتين هو اسقاط. انتبهوا، الان سنتعمق اكثر فلسفيا.. الذين يُنكرون موضوعية النظم، وواقعية النظم والتصاميم.. نقول لهم: "هذا الاسقاط إما ان يعكس مسألة وضعية، بحيث يكون هذا الاسقاط رهنا للإتفاق بيننا بإختيارنا (مثل اتفاقنا عن اشارة المرور الحمراء انها توقف الطريق) هل سيحدث هكذا؟! هذا الكلام بحد ذاته غير واقعي لايحدث هكذا .. الأكثر واقعية هو أن هذا الاسقاط البشري المدّعى، والذي يسحب واقعية النظم هو انعكاس لبنية العقل الانساني !، يعني اقتربنا من (كانط Kant) مخلوقين نحن بالطريقة هذه..موجودين بالطريقة هذه، تطورنا(بلغة الملاحدة)بهذه الطريقة.. العقل الانساني يفكر بالطريقة هذه، لكن الأمر في الخارج شيء مختلف ليس له علاقة بهذا..عقلك هكذا! لو انك كنت مخلوقا آخر ولك عقل (كمسألة كيفية ادراكك للألوان واسمائها كمدلولات للألوان نفسها)، فهو نفس الشيء موضوع الأفكار وتعقّل الكون والطبيعة كإدراكك للأصفر والأحمر..لاتوجد اشياء اسمها اصفر واحمر بل ندركها في عقولنا انها ذات الألوان الاصفر والاحمر.. . دخلنا في اشياء مشاكسة الآن.. لكن مزال هذا الكلام غيـر صحيح، نحن لانستسلم الان، نقول لا، حتى النظم والتصميم والهدفية في الكون ليست هي انعكاس لبنية العقل.. لا فنحن لدينا فرضية اخرى و أدق بكثير، وهذا الشيء محير، وهذا ما حيّر (آينشتاين) كما قلت لكم مئة مرة، أنه يوجد تجاوب ويوجد تراسل بين بنية الكون، وبنية العقل ! وهذا الذي استعجب منه العلماء الكبار .. ستقول لي: هذه مجرد فرضية. لا، هذه فرضية مؤيدة بخمسين ألف دليل!.. نحن نعيش بفضل صِدق هذه الفرضية .. ما رأيك ؟! سأثبت لكم هذا اليوم .. هذه محاضرة اليوم ..

يوجد تجاوب بين بنية الكون وبين بنية العقل بحيث ان العقل الادمي العقل البشري الانساني قادر –سبحان الله العظيم- أن يفهم بعض سر هذه البنية، وبعض نظمها، وبعض تصاميمها ويتوغل ، ويبحث ويضع يده على القوانين الفاعلة والحاكمة في هذا الوجود، ويسخر الوجود بها، ويفهمه فهما تنبؤيا، ويستطيع ان يعرف اليوم أنه بعد مليون وخمسين سنة في يوم كذا وفي ساعة كذا .. سيحدث كسوف كلّي مثلا !..يعرف هذا وينجح تماما، وبالقانون الذي عرفه وسماه قانون التربيع العكسي القائم على قانون الجاذبية، استطاع ان يحددلك سيبعث المركبة الفضائية وتصل بعد اربعة ايام مثلا وعشرة وتسعة دقائق ..الخ تحط على القمر بعد هذا التوقيت تماما !!! وبالعفل يتحقق ماتمت دراسته وحسابه !

وأيضا التجاوب بين بنية الكون وبين بنية العقل سمحت لنا كعلماء كبشر .. ان نرى ونفكر عن شذوذ في مسار كوكب ما، ووضعنا افتراضات احتمالية وجود كوكب اخر كتلته كذا وكذا، وبعده كذا وكذا .. هو السبب في احداث هذا الانحراف الفلاني .. وبعد ستين سنة تقريبا نكتشف هذا الكوكب بالضبط وعلى نفس البعد وبنفس الكتلة ونسميه كوكب نبتون !! .. أإلى هذه الدرجة ؟! اذن أنت الان لا ينفعك ان تتسفسط تتكلم سفسطائيا، فالأمر اعقد من هذا بكثير، صحيح مسألة كيفية ادراك اللون وما الى ذلك ولكن هذه مسألة اخرى ، لـكن هذا لا يضرب اساس واقعية منظومية العالم ومصممية الوجود، ولا يضرب اهلية العقل لإلتقاط القوانين الحاكمة، ستسألني: اذن هل القوانين لها واقع متسامي ؟ .. فهذا يؤكد ان الافتراض ايضا غير صحيح وهو ان بنية العقل هكذا ، هذا المتاح لنا يارب ..انتهينا واغفرلنا. لا، صحيح يوجد العقل وبنية وحاكمة علينا، ونحن لانستطيع ان نفكر خارجه ولا بغيره، لكن من حُسن حظنا أن هذه البنية متجاوبة مع بنية الوجـــود وقادرة ان تتراسل معاها جيدة جدا وتنجح، ومن هنا نجاح العلم .. لــكن الســؤال: كيف ؟! وماهو سر تجاوب البنيتين ؟ ، ونعود الى مفارقة والس، ولماذا زوّدتنا الطبيعة –لديهم- (من غير الاليات الغبية.. لن تستطيع ان تفسر لنا) لماذا زوّدتنا بهذه المَلَكة من قبل مئات ألوف السنين، لماذا لدينا هذه اللياقة الهائلة؟ وهذه اللياقات لا علاقة لها بوجودنا في إطار البقاء فقط.. لا، فنحن نستطيع ان نبقى من غيرها.. صحيح ؟!

الوجود له رتبتان.. تقسيم معين: وجود تام، و وجود الانسان .. ان يبقى و أن يفهم > هذا وجود تام ! ، أما الوجود الناقص: فهو وجود الجمادات والبهائم .. الخ، أن توجد ولا تفهم (فنحن شرفنا اننا نوجَد ونفهم)، لدينا القدرة ان نفهم، عملت خطبة في السابق، عن هل يمكن لبقّة صغيرة دقيقة جدا جدا تمشي على شعرة في فرو حيوان لبون معين ان ترى هي هذا الحيوان التي هي على شعرة في فروه وتفهمه كله ؟! مستحيل .. ف نحن أصغــر من هذه البقّة في الكـــون !! ولدينا القدرة على معرفة الكون وبناء النماذج الرياضية تخيّل شكل الكون، هل هو اسطوانة هل هو كرة هل هو مفتوح هل هو سلبي التحدّب او ايجابي التحدب او مغلق؟ .. شيء عجيب، وكيف نشأ ومامصيره وماهو مساره .... كيف للبقّة ان تفعل هذا ؟! بهذا العقل الضخم بهذه اللياقات العجيبة في قدرتها، وهي اوسع بكثيـــر من حاجات البقاء اليومي العادي.. مالنمل عاش قبلنا بكثير والفأر عاش قبلنا وموجودين الى اليوم وليس لديها كل هذه اللياقات، نحن أتينا اخر شيء، نحن بقمة المخلوقات تطوريا.. أليس هذا مايقولوه ؟! لكن لدينا كل هذه الاهلية..اذن هناك شيء معين.. علينا ان نتساءل عنه ..

لنأخذ بعض الامثلة، تعرفون جدول العناصر الكيمياوية الذي وضعه العالم الروسي الشهير (ديميتري ماندل يِيف) في عام 1869م، طبعا هو عُدِّل عدة مرات، لكن باختصار/ توجد ثمانية عشر مجموعة في الجدول رأسية، وتوجد دورات سبعة افقية، وترتيب العناصر يتبع خطة محددة، جاء هذا الرجل لمن بعده، وضعوا العناصر المكتشفة وفق الخطة هذه تنتظم تماما، لكن بقيت فراغات، فعرفوا انه لابد ان تكون في الطبيعة عناصر تسُد هذه الفراغات.. اذن يوجد نظام هنا في الطبيعة، وليس نظام الجدول الذي وُضِع.. لا لا، هذا الجدول مجرد صياغة بسيطة لهذا النظام، النظام العقلي الذي اكتشفه وليس الجدول، ونحن صغناه في شكل جدول، و فعلا، يوما فيوما نجد ان هذا توقع العلماء صحيح، الى

عام 2009م صار لدينا مئة وثمانية عشرة عنصرا 118 في الجدول الدوري !! معناها فعلا الطبيعة فيها نظام ودقيق جدا جدا، يسمح لـ (ماندل بيف) ولمن أتى بعده ان يترك فراغات حتى في يوم من الايام ستُسَد !! يعني هذه فراغات ادراكي، تعكس فراغات في الوجود، اذا امتلأ في الطبيعة سيمتليء في العقل أي في الجدول.. فيه تناظُر ! حالة مرآوية، وهذا ماحدث .. معناها فيه نظام وهي ليست مسألة افتراضية .

انتهى الجزء الأول من الحلقة 13
يتبـع الجزء الثاني ....



تفريغ : منال الذيباني

الحلقة الثالثة عشر برهان النظم 8

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم..الحمدلله رب العالمين.. ياربّ لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كماتحب وترضى، نعوذ برضاك من سخطك، ونعوذ بمعافاتك من عقوبتك، ونعوذ بك منك لانحصي ثناءا عليك، أنت كما اثنيت على نفسك. واشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمدا عبده و رسوله.. اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته المباركين الميامين وأتباعهم بإحسان الى يوم الدين..
سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم،للهم علمنا بما ينفعنا ونفعنا بما علمتنا و زدنا علما، اللهم آمين...
أما بعـد،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
على كل حال قد علمتُ وعَلِمَ الناس أن مثل هذه المحاضرات لايمكن ان تفي بحاجة امثال هاته الموضوعات على جهة الغَناء والوفاء، ولذلك اقتنعت اخيرا بأن يُترَك التفصيل في مثل هذا الموضوع لمُؤلّف بحيالهِ يمكن فعلا ان نُبرِيء ذمتنا، وان نقضيَ حق الموضوع، أما في مثل هذه المحاضرات فالتوسط افضل، وهذا ماسنصير إليه لكن الذي لزّم الى الاسهاب الطريقة العجيبة التي يمارس بها بعض الناس النقد.. يتسرّع قبل أن تُتِم الكلام في الموضوع.. من اول حلقة يبدأ يُشكِل ويقول أنت لم تقُل هذا ولم ذاك، طريقة غريبة جدا جدا، واضح انها ناشئة من قلّة الإطلاع و من عدم التدرب والتمرّس بأخلاقيات البحث والمناظرة العلمية، للأسف الشديد ،وطبعا أجزاء كبيرة جدا، معظم الانتقادات التي تُوَجّه إلينا سواءا في الموضوعات الفلسفية، أو في الموضوعات الدينية البحتة، إنما هي نـاشئة من قلّة الاطلاع ومن قلة التعمّق.. في هذه الحلقة سنغلق موضوع برهان النظم بإذن الله، ونتناول مسائل محددة .. المسألة الأولى - عنّ لي بعض وجوه النقل ايضا على الإنتخاب التراكمي وفي الحقيقة لا ادري.. هل انا تناولته في المحاضرات السابقة المسجّلة ام في المحادثات مابعد التسجيل مع بعض الإخوة، لكنني على ماهو اقرب الظن لي انني قد تكلمت عن الانتخاب التراكمي لدى (ريتشارد دوكنز)، وتصديت له بالنقد في محاضرة مسجلة- على كل حال.. الانتخاب التراكمي الذي اقترحه (ريتشارد دوكنز) على ما اشرت لايُفسّر لنا نشوء الجزيئات الحيوية، او جزيئات الحياة الأولية مثل الحامض النووي مثلا، معروف لماذا لايستطيع تفسيره، فالإنتخاب الطبيعي يفشل في تفسير نشوء العالم المادي الطبيعي.. الكون. لـكن كون اني ذَكَرت سبيلا طريفا لإبطال النتخاب التراكمي، وليس الانتخاب بخطوة واحدة – كما اقترح (ريتشارد دوكنز)- بطريقة الاشارة الى مايُعرَف في حساب او في رياضيات الاحتمال بالوقائع المستقلة، والوقائع المتنافية، ولكن هذا الكلام –للأمانة العلمية ولأكون أمينا مع ضميري ومع عقلي ايضا – ليس دقيقا تماما بعد إمعاني النظر فيه. (ريتشارد دوكنز) قد تكون قد قصّرت به عبارته في كتابه الشهير <صانع الساعات الأعمى>، لكن نحن الآن سندافع عن موقفه ثـم نوجّه إليه نقدا جديدا مع ذلك، لئن مايُحدثُه الانتخاب الطبيعي في الحقيقة ليس هو – كما قلنا وقال غيرنا - من قبيل الوقائع المستقلة.. هذا غير صحيح، بل هي وقائع متنافية الى حدّ ما.. كيف؟ سنبسّط : الان كائن معين بطَريق الطفرة حدث فيه تغير ما، هذا التغيُّر ثبت وتبرهن انه نافعٌ له تكيّفيًا.. يُكسِبُه مرونة اكثر وملائمة اكثر، وتكيفا أزيد مع البيئة وشروطها، لذلك يُستبقى.. وهذا هو جوهر الانتخاب الطبيعي، هذا التغير يجعل الكائن اكثر ملائمة للبيئة لذلك من الطبيعي ان يبقى! .. فكرة بحد ذاتها ذكية ومعقولة، وكما ضربنا المثل بالدّب البني والدّب الأبيض في القطب مثلا.. لئن هناك كيانا يقرر، كيانا واعيا او عاقلا اسمه الانتخاب الطبيعي، الانتخاب الطبيعي ليس مفهوما كيانيا، ابدا.. هو مفهوم تخليلي.. مفهوم تفسيري فقط، ليس اكثر من ذلك. لكن هذا يحدث، لا بأس نحن مستعدون في درجة او درجات من النقاش ان نتقبل هذا الشيء، وهي فكرة ذكية بلا شك. حتى اوضح مالديّ: الانتخاب الطبيعي بهذا المعنى، لايتعامل مع هذه الاحداث وهذه التغيرات على أنها وقائع

مستقلة، وهي ليست مستقلة.. مع أن هذا التغير يخدِم الكائن ويجعله اكثر تكيفيا .. اذن ليست مستقلة، لذلك هذا التغير هو الذي يُستَبقى، لو حدث تغير اخر قد يُهلِك الكائن.. أي يصبح اكثر ضعفا وأقل ملائمة لشروط بيئته فيهلك وينقرض!.

إذن النقد الذي وجّهناه، و وجّهه غيرنا الى الانتخاب التراكمي على اساس انه من قبيل الوقائع المستقلة هـذا غيـر صحيح. بل هذا ظلم لهذه الآلية العلمية، يجب ان نكون دقيقين.. وأنا دائما كما تعوّدتُ و عوّدتكم احترم ضميري، واحترم ضميري العلمي وليس الديني فحسب. لابد ان نذكر الحقائق كما هي، وليس من مصلحتنا بعد ذلك أن نناقش و أن نخرج في نهاية المطاف كالمغفلين لا نعرف عن ماذا نتكلم. فالانتخاب الطبيعي لايتعامل مع وقائع مستقلة، و للتذكير، الوقائع المستقلة من قبيل خمس قطع معدنية مثلا مرقّمة بأرقام من واحد الى خمسة، تضعها في جيبك، وبالإحتمال ان تسحب رقم ثلاثة مثلا، فمن أول ضربة هو: واحد على خمسة، ثم سحبت قطعة اخرى وظهر لك انه كان رقم اربعة، تعيد هذه القطعة المعدنية، احتمال ان تسحب رقم ثلاثة من اول ضربة ايضا هو خُمْس، وهكذا .. ولو سحبت بليون مرة الاحتمال يبقى دائما خُمس، لأنه وقائع مستقلة.. أما الوقائع المتنافية: فتسحب رقم ثلاثة لكن ينسحب معك فيخرج معك رقم خمسة، فتستبعده وتجعله خارج جيبك، ثم تسحب الآن .. احتمال ان يكون الرقم الخارج معك هو رقم ثلاثة فيكون: واحد على اربعة ! أي ارتفع الاحتمال.. لكن خرج معك رقم اثنين فتستبعده، واحتمال ان يكون ثلاثة فثُلُث وهكذا نصف وهكذا واحد على واحد .. يعني وقائع متنافية، في الحقيقة الانتخاب الطبيعي اقرب الى ان يتعامل مع الوقائع المتنافية! التغير الذي يفيد يُستبقى.. التغير الذي يُهلِك يُستبعد إذن هـي ليست مستقلة.

لكـن رغم ذلك ومع ذلك مايَفشَل الانتخاب الطبيعي في تفسيره اشياء كثيرة ايضا من ضمنها: لمَ دائما تكون نتيجة هذا الانتخاب بنيَة تَصف بالجمالية وبالتناظرية، وكان يمكن للكائن ان يعيش بغير هذا التناظر وبكسره احيانا.. فما سر هذا التناظر؟! تمـاماَ كمسألة الاحماض الأمينية العسراء، لماذا هي دائما عسراء يسارية ولا تتركب الا بهذه الطريقة وبإستمرار؟ لمـاذا لم يتدخل الانتخاب الطبيعي هنـا ؟؟! على فكرة هناك نقود اخرى طويلة، لكن لا اطوّل ، احببت فقط ان اسجّل هذه الملاحظات بسرعة.

وهنـاك شيء أخطر من هذا.. انها شبهة يلجأ اليها الماديون والملاحدة والتطوريون الذين ارادوا ان يكونوا تطوريين ملاحدة، وهي شبهة التّبصّر الرجعي عشرين على عشرين، بمعنى ان التّبصّر الرجعي يكون دائما صائبا بنسبة عشرين على عشرين، -كما نقول عن النظر ستة على ستة – وهنا لايعني بـ البَصَر إنما التبصّر، نحن نسميه الإدراك بأثر رجعي، الفهم بأثر رجعي، من قديم نحن نتكلم في قضايا التاريخ عن ادّعاء الحكمة بأثر رجعي.. هذا يسمى في لغة العلم، ويُستخدم في العلم حتى في ميادين مختلفة بما فيها علم النفس يسمى التبصر بأثر رجعي.. معنـى هذا الكلام : قد يقع حادث معين ولنفترض حادث سيّارات، طبعا النتيجة مروّعة لكنها لم تبلغ حد الموت، وبعد ان يبرأ السائق و يَنْقَه يبدأ يتساءل مالذي حدث معي.. ويبدأ يستذكر ، وربما يقول: "آه.. هذا الحادث وقع فعلا بأنني عندما رأيت السائق المعاكس لي لم اتصرف بالطريقة السليمة، كان ينبغي ان انحرف قليلا الى اليمين، يبدو انه اختلط عليّ الأمر، وفوجئت وفقدتُ التحكم فدخلتُ شمالا، وهذا الذي أدّى الى هذه المَهلكة". الان هو تماما يفهم مالذي حدث لكـن بأثر رجعي.. كل شيء امامه، كموضوع الفِتَن.. كفتنة سياسية او أي شيء، طالما هي موجودة وجارية قلّ من الناس من يفقه حقيقة مايجري، بعد ان تضع اوزارها و تُسفِر عن آثار مدمرة وهائلة على مستوى الشعب، يبدأ ماشاءالله ادعياء الحكمة بأثر رجعي !.. في الحقيقة كان ينبغي ان نفعل كذا وكذا .. والحزب الفلاني اخطأ و تهور وو.. لا لا، انت تتكلم في أثر رجعي بنسبة عشرين على عشرين، لكن في اثناء المحنة أنت لم تفهم هذا..

التبصر بأثر رجعي في قضايا الإلحاد والإيمان يُستخدم بأسلوب ماكر جدا، وغبي جدا.. وتجدهم من علماء كبار، وبعضهم علماء الرياضيات، وبعضهم علماء فلاسفة .. يوظفونه على هذا النحو، يقولون أنتم يامعاشر المُؤلّهة والمؤمنين تدأبون

دائما على الإستنجاد بمفهوم التعقيد، وأن هذه بنية معقدة، وهذا تصميم معقد .. الخ، قالوا نحن لا نؤمن بهذا الشيء، وهذا لايؤثر علينا كثيرا، هذا لا يُحدِث لنا فرقا..ويقولون: كل ماهنالك أنكم جئتم الى بنية ما وهي كثيرة جدا، فقلتم انها معقدة جدا بحساب الاحتمالات.. مستحيل ان تتركّب هذه المتعضية.. هذا التركيب ، ولايترتب هذا الترتب بالصدفة، اذن لا بد ان هناك ذكاءا و وعيا، وعقلا من هذا التعقيد وهو الله. اذن هو الله ..قد ثبت المطلوب. لا هذه طريقة فاشلة لاتقنعنا، فأنتم تدّعون هذا من باب التبصر بأثر رجعي.. قالوا: إأتونا الان بكم من القطع المعدنية.. اجزاء أي شيء، ألف قطعة مثلا، خذوها هكذا وانثروها في الهواء .. وهذه القطع مرتبة من واحد الى ألف مثلا، ستقع وقوعا اتفاقيا، لكن ستتشكل الان شيئا مركبا تركيبا ما.. الحديث عن الترتُّب الان، وليس التركيب بالمعنى الحيوي.. لكن ترتب معين و تحدِث شكلا، هذا الترتيب معقد و معقد جدا، وبمعنى انه بحساب الاحتمالات..لو قذفنابها مرة اخرى لكي تترتب هذا الترتب فلن يحدث ذلك..مستحيل، ولو قذفت بها مليون مرة ستترتب بترتب جديد ومعقد، هناك تركيب حقيقي.. وهذا لايساوي لك ان تقول ان هناك تركب وتعقد ليس للصدفة دور فيه. بل هو صُدفي تماما! ولا دور للعقل فيه.. >> هكذا يُشكِلون على الناس.. وبعضهم كتب هذا المثال بالإنجليزية نقدا لإحدى محاضراتي قبل فترة، قرأت هذا وضحكت.. وسأجيب على هذا الكلام المتهافت جدا الذي يحتج به بعض العلماء والفلاسفة، كلام ضعيف والقضية اوسع واكبر بكثير من قضية التبصر بأثر رجعي..لماذا؟ سأضرب لكم بمَثَلين وبهما يضح لكم الأمر تماما :

لدينا مجموعة الحروف العربية.. ثمانية وعشرون حرفا مكتوبة على قطع خشبية مثلا او معدنية او بلاستيكية، اخذنا هذه الأحرف ونثرناها في الهواء، وقعت الان في حيّز معين ، وترتبت ترتبا ما .. س ع ز ق .. لنقرأها الان.. وجدناها اعتباطية ليس لها أي معنى او مفهوم، ولكن هذا الترتيب الذي حدث بمحض الصدفة ترتيب ما، لكـي يحدث مرة اخرى بالصدفة ... تجده مستحيـــــل، يوجد فيه نوع من التعقيد.. ولو نثرتها مليون مرة ستقع بـ ترتب جديد – والفرق بين الترتب والترتيب هو أن الترتب: مايحدث ويقع بدون أي فاعل يقصد بحدوثه، أما الترتيـب: أي ان هناك فاعل قَصَدَ على عمل هذا الترتيب، كالفرق بين الصُّدْفي و الغائي- لكن انتبهوا: المليون ترتب بينها شيءٌ يجعلها متساوية، بإعتبار معين كلها متساوية مع انها مختلفة، مليون ترتب مختلف.. اتعرفون مالذي يُساوي بينها ؟؟ نعم إنها الإعتباطيـة!، أي مليون ترتّب بـلا معنـى.. بلا رسالة .. لاتحكي شيئا .. لاتدل على شيء. لــكن لو مرة –وهذا الذي حَدَث ولا يزال يحدث في الوجود – نثرنا هاته الأحرف في الهواء فسقطت على الارض وترتبت مثلا بطريقة: م ن _ ل م _ ي م ت _ ب ا ل س ي ف _ م ا ت _ ب غ ي ر ه _ ت ع د د ت _ ا ل ا س ب ا ب _ و ا ل م و ت _ و ا ح د .. حــتما سيكون هذا الأمر لافتا جدا لكل من شاهد هذا الترتب، بل على الأصح هو ترتيب وليس ترتب لأنك لو نثرتها مرة اخرى ستترتب بشكل بيت شعر آخر او جملة مفهومة نستطيع ان نعيها، ففي الطريقة الأولى كان تعقد وتركيب يحكي ترتبا، وهناك (في الطريقة الثانية) تعقد وتركيب يحكي ترتيـبا.. في الأول اعتباطي، وفي الآخر غــائي قصدي.. هادف.. ذو معنى ذو دلالة .. ذو رسالة! وقطعـا الترتب او الترتيـب –لابد ان نفكر هل هو ترتب او ترتيب – الحاصل بين القواعد النيتروجينية الاربعة للحامض النووي DNA هو ترتيــب ليس مجرد ترتب، لأنه ليس فقط بذي دلالة، وإنما دلالة و أيّ دلالة!، دلالة تُشفِّر للكائن كله، تجعله على ماهو عليه.. هي الدلالة التي تجعلني على ما انا عليه، تجعل الدجاجة على ماهي عليه، والكركدن على ماهو عليه، والشجرة على ماهي عليه، والزهرة على ماهي عليه.. وماكل تلك المخلوقات على ماهي عليه هـو الحيــاة، والحياة شيء متفرّد ومفترِق و متميز ومختلف الى ابعد حد عـن الـلا حيـاة ! ولذلك، فرق كبير بين تركّب نراه مثلا في السحاب، وبين تركّب نراه في البنية الحية، ولذلك ظل الإلـهيون ودأبوا و إلى اليوم على ان يستشهدوا ويستدلوا على وجود الخالق سبحانه وتعالى لا بأشكال السحاب، كشكل سحابي مثل كلمة محمد، مثلا، لا.. هذا يحدث صدفة عند الناس. المسيحيون كم مرة رأوا شكلا يشبه شكل عيسى عليه السلام في السحاب.. و لايُستَدَل بهذا على شيء ..إلا العوام الجَهَلة، لانستدل بكومة كوّمت

جبلا او تلّة رمل، هذه التلّة خذ منها قليلا أو زِد عليها قليلا.. تبقى تلّة!، لا يظهر تغيّر دراماتيكي. لــكن لنرى الـ DNA خذ قاعدة نيتروجينية ، اضف قاعدة..ينبثق لنا تغيّر دراماتيكي !! تغير الكائن بالمرة .. يتشوّه، فبدلا من ان يخرج (اَينشتاين) سيخرج (فرانكشتاين) مثلا !! J .بدلا من ان يخرج كائنا جميلا، تخرج مقبحة تجرح الشعور الجمالي عند الإنسان حتى . وهكذا.. لأن هذا التركُّب "هـادِف و غائي و مقصود، وله رسالة" وكما قال (ألفرِد نورت وايتد): "الأموات لا يحملون رسائل" فقط الأحياء والعقلاء يحملون رســائل. واضح ان هذه الطبيعة وهذا الوجود، وجود هادف وغائي، يحمل رسالة.. دايما اذا تحدثنا عن الرسالة، مباشرة يتبادر الى الذهن هذا السؤال: من الذي كَتَب وأرسل الرسالة؟ وإلى مَـن؟! وهذا يذكرنا مرة اخرى بالقدر الهائل، الذي زُوِّدَ به الكائن الحي من الذكاء، وقبل ذلك هو عنده هذا الذكاء .. لمــاذا ؟! لكـي يَفُـكّ الرسائل ! يُرادُ منه، ويُراد له ان يفك هذه الرسائل.. والحمدلله هذا الانسان يفعلها .. يفعلها بالعلم، بالفلسفة.. يفعلها باللاهوت.. يفعلها هكذا، لانه مزود.. بمالم تُزوّد به كائنات اخرى!. اذن موضوع التبصر بأثر رجعي لاينبغي ان يُشغَب على الناس ولا على المؤمنين.. ليس فيه شيء جديد وهو موضوع تافه.. النقطة الأخيرة التي اريد ان اختم بها كلامي في الجزء الأول من هذه الحلقات.. كما وعدتكم ان اتحدث عن إله الفجوات..

معنـــى إله الفجوات

نسمع هذا المصطلح كثيرا جدا، كثيرا مانعثر عليه في كتب الملاحدة والعلماويين الذين يسخرون من الدين ومن طريقة المتدينين في التفسير والفهم، ومن موقف المتدينين من العلم ومناهجه.. إلــه الفجوات له معنيان: احدهما معروف ومشهور، والاَخر اقل شهرة ومعرفية.

المعنى الأقل شهرة ومعرفية كالمعنى الذي تشبّث به اسحاق نيوتن وأضرابه. الله تبارك وتعالى شاء ان يخلقَ هذا الكون، ثم وَكَلَ مسار ومسير هذا الكون للقوانين التي اودعها، يعني هذا الإله الى حد ما قريب من المحرك الذي لايتحرك الذي تفقّت عنه ذهنية (ارسطو طاليس): القوانين الان هي التي تتولى المسألة، الله الذي خلق الكون ومن ثم رَفَع يده، الله الذي اودع فيه قوانينه، قوانينه تسيِّرُهُ ..الله يراقب فقط ولا يتدخّل، بعضهم –الذين لديهم نزوع لاهوتي او ديني - قال يمكن ان يتدخّل احيانا ليصنع معجزة او عجيبة.. أما العلماء الأوفياء لمنهج العلم فيرفضون تماااما لامجال للتدخل حتى لله .. قانون طبيعي ساري دائما ولا يُنقَض ولا يقبل استثناءات.. << هكذا يقولون!. على كل حال.. لكن هذا لم يكن نهاية المطاف، لاحظ (اسحاق نيوتن) ان هذه القوانين تُقصّر احيانا في فهمنا وفي تفسيرنا لماذا تحدث بعض الأشياء التي تعتبر شذوذا عن هذه القوانين كمسارات بعض الكواكب مثلا.. فإقترح (نيوتن) أن الله يتدخّل في هذه اللحظات حين يُقصِّر القانون –وفي الحقيقة ليس القانون إنما هو فَهْمنا او صياغتنا للقانون،ربما حددناه اكثر من اللازم او وسّعناه اكثر من اللازم..لاادري – أي ان يكون حينها لزاما على الله ان يتدخّل لكي يعيد الأمور الى نصابها ثم يعود القانون يعمل على ماهو لائح وبائن لنا. بدلا من ان يقول أنا قاصر فهمي للقانون صياغتي له..حدود فهمي لعمل هذا القانون يبدو انه خضعت هذه الحدود لنوع من التشوّه لنوع من القصور.. لا، سبحان الله، وهذا هو عجرفة الإنسان وعجرفة العلماء، أي انه من الأسهل عليهم ان ينسبوا القصور الى صانع القانون، لأنهم يرون انه اذا كانت القصور في القوانين أي ان القصور في صانع تلك القوانين..القانون يُقَصّر، المفروض أن لا يُقصّر، بل المفروض ان يكون على قد المُقَنّن له، فنحن نتدخّل بإيضاح كيفية تصحيح الله في هذا بإله الفجوات. وهــذا غير صحيح.. لكن هذه عجرفة الإنسان، كأنه هو الكامل.. هذا يُذكِّرني تماما للأسف، بمحاولات بعض رجال الدين لدينا نحن المسلمين ايضا، لتفسير بعض الأخطاء.. التناقضات.. التعاكسات في الأحاديث النبوية الصحيحة.. يسهُل عليهم ان ينسبوا الخطأ الى الله عِوَضــاً أن ينسبوه الى البخاري او مسلم أو إلى الرواة !!، بل يعتقدون ان الرواة لايُخطئون، ماشاءالله كانهم كاملين خالين من الأخطاء !.. وتجدهم في محاولاتهم ينسبون الخطأ والنقص الى الله بالجهل او بالكذب.. استغفر الله العظيم! . ستقول لي هذا كُفر، من اين لك بهذا الكلام؟!. هذه حقيقة لكن لن

اضرب لها مثلا الآن، تحتاج الى درس ديني، ان شاءالله سألقيه.. . هذا إله الفجوات، إله الفجوات في المفهوم الشائع والمعروف عند معظم الناس ومعظم المثقفين على الاطلاق هو: كل مايفشل العلم في تقديم تفسير له نقول "الله هو الذي فعل هذا"، "الله أراد ذلك". فسُمّيَ إله الفجوات.. حيـلة يُهرَع إليها المتديِّن العاجز الذي اتخذ موقفا سلبيا من العلم ومساعيه ومنجزاته، تجعله دائما كلما لاحظ او وقف على فشل جزئي للعلم في تفسير ظاهرة معينة تجعله يهرع الى القول: ارأيتم؟ العلم فَشِل!. حسنا ألديك تفسير؟. نعم لدي تفسير: الله هو الذي صنع هذا.. الله هو الذي صمم و رتّب بهذه الطريقة . لذلك هم يقولون برهان النظم يخدِم إله الفجوات. وهذا غير صحيح، ولا يمكن ان نتورّط في هذا نحن.. لكن كيف ، ماالذي يحدث؟!

سأقول لكم الحاصل في هذه المسألة والله اعلم: الخطـأ الكبير الذي وقع فيه الفكر الأوروبي، ولا زال متورطا فيه الى اليوم هو أنه تخيّل أن الله تبارك وتعالى يعمل في عَرْضٍ واحد مع القوانين التي تكفّلَ العلم بإكتشافها ثم صياغتها بالأسلوب العلمي المعروف، يعني يتعارضان عِوَضاً أن يتطاولا.. سنشرح هذان المفهومان الفلسفيان (مفهوم التعارض) و (مفهوم التطاول) :

إذا كان الله يعمل في عرض عمل القوانين، فواضح إذا امكَنَ تبيان وتفسير الظاهرة بعمل القانون لا يبقى دور لله، ان الله هنا فرضية غير لازمة !.. طبعا انا متأكد الان انتم كمسلمين ومسلمات تتعجبون من هذا المنطق، تقولون: هذا منطق في منتهى السخافة، كأن القوانين تتحدى الله ! كأنها ليست اسلوب الله في العمل! كأنها ليست مفعولات لله! لكـن هكذا هو الفكر الأوروبي.. شيء غريـب!. وسأقول لكم لماذا انتهى الأمر الى هذه النهاية المأساوية – وهذا معنى إله الفجوات- الله يتعارض مع القوانين أي يعملان في عرض واحد وليس في طول واحد.. (توماس هاكسلي)<كلبُ داروين> كَتَب يقول مرة : "كل ماينجح العلم في تفسيره، فبالضــرورة الله لا دور له فيه". لا، ليس بالضرورة، هذا كلام غبي جدا جدا، كلام غير صحيح البتّة، لكنه يقول هذا وفي القرن التاسع عشر، أما في القرن العشرين والحادي والعشرين يكتب (ستيفن واينبيرغ) –حامل جائزة نوبل في الفيزياء- في <احلام النظرية النهائية> كان يقول: "كان الناس الى غاية القرن التاسع عشر يؤمنون بالله مستندين الى براهين من جنس ان الأجرام السماوية أجرام خالدة، وأجرام بسيطة ومكونة من مادة اخرى -أي انهم يكررون اسطوانة (ارسطو) – من عالم الكون والفساد، أما الأجرام العلوية فليست من عالم الكون والفساد، فهذا عالم دائم اثيري لا ينحلّ كالبسائط" ويستدلون بهذا على الله الذي خلقها وعلى جماله .. قال: "أما اليوم فالناس يرون فيها اشياء من الناحية التكوينية تماما كالأشياء التي على الأرض.. عالم الكون والفساد.. نفس العناصر مثل الهيليوم والهيدروجين ..الخ. ثم استتلى الرجل لكي يبرهن عن أن حيلة إله الفجوات مــاعادت تُجدي، العلم شَطَبَ عليها، اذن هو مقتنع بنفس الفكرة!، نفس فكرة (هاكسلي).. غريب،منشأ هذه الفكرة في منتهى السذاجة بالنسبة لمسلم عالم دينه وعنده تصوّر كَوْني لهذه الأشياء.

كمـا قلت لكم أنهم ظنوا ان الله والقوانين متعارضان..أي أن الله شيء، والقانون شيء آخر. يبدو ان هذه الفكرة السخيفة هو سذاجة المتدينين في الأعصار الخالية وخاصة في العصور الوسطى وتصاريحهم الداااائمة "الله فعل..الله خلق.." بالجملة دون الدخول في التفاصيل، وكان الناس مقتنعين في وقته، ولما جاء العلم ولم يعُد مقتنعا بهذا الفهم الجُمَلي الإجمالي، وبدأ يبحث عن علل وعن عوامل تفصيلية و دقيقة وتفرّق بين الظاهرة والظاهرة. ونجح العلم أيّما نجاح في ظواهر كثيرة ان يُفسّرها بدأنا نفهم .. لكن ظـلّ هؤلاء المتدينون السذّج على الاستعصام بالموقف السلبي المستنكر للعلم وبإنجازاته، كذّبوه و كذّبوا حتى الحواس، كما حصل لـ (غاليليو) الذي كاد يمكن ان يُنصَف من هؤلاء بمجرد ان يلقوا نظرة واحدة عبر التليسكوب البدائي، رفضوا ذلك .. فلو نظروا لوجدوا.. لكن رفضوا حتى النظر، لأنهم معتقدون ان الحق في جانبهم وأن الباطل في جانبك ،ولايخضعون لهذه المنهجية العلمية التجريبية الإمبريقية..

لايؤمنون بها.. فحدَث تفاوت جدا كبير بين موقف هؤلاء الجامدين السُّذَّج، وبين موقف العلماء المَرِن الذي يعترف بنسبيته وبتطوره وتكامله.. لانه منهج بحثي مختلف، فإتسعت الهوّة الى الأمد الأقصى بين الفريقين..

فصار العلم يتبجّح ويقدّم تفسيراته العلمية الدقيقة لهذه الظاهرة او تلك إزاء هذا التفسير الجُمَلي الساذج "الله فعل.. الله خلق.. الله اراد.." إذن رفض العلم بانه يوجد إله ولا انه فعل كذا ولاخلق كذا .. العلم فقط هو الذي يعطيني الجواب. وللأسف الموقف كله خطأ بسبب إفراط و تفريط.

طريقة المسلم على العكس تماما، فهي طريقة مبنية على أن القوانين الطبيعية –بشكل عام – هي أسلوب الله تبارك وتعالى.. طريقته في العمل، في تشغيل الوجود. وأنت كلما نجحت كعلم في تقديم تفسير جديد تفصيلي لظاهرة ما، كلما اعطاك زادا جديدا تُقارب به كيفية عمل الله في الخلق، كيف يعمل؟ العلم يقول لك. قال تعالى: }أولم يرَوْ أنّا خلقنا لهم ممّا عَمِلَت أيدينا أنعاماً فهُم لها راكبون{يس 71 ،عَمِلَت أيدينا.. يد الله تعمل ، والسؤال كيف تعمل؟ هل رأى أحدنا الله مباشرة بالأساس ؟ هل رأى يدَ الله كيف تعمل مباشرة؟! .. }ليـس كمثله شيء{ الأعراف 54 ، الله عند الموّحّدين عند المُؤلّهة والمِلّيين يعمل لكن لاَ بأسلوب مباشر، يعمل عبر الأسباب التي خلقها والتي سبّبها و سبّب بها، والعلل التي اعدّها.. كَعلل مُعَدّة لأشياء هي معلولاتها على أنه هو العلة الحقيقة لكل شيء في الوجود . لكن لماذا شاء، فالحكمة أنه شاء ان يعمل عبر الأسباب أي عبر القوانين، عبر النظم .. لماذا ؟!

لأن الله تبارك وتعالى لو لم يَشَأ أن يفعل وفق هذه الطريقة لما امكن الاستدلال عليه اصلا، ولما فكّر آدمي في ان يستدل على وجود الله.. لأن الإستدلال كله.. روحه هو النظـام السببي. لـذلك –كما نقول دائما – من يُنكِر مفهوم العلّية، قانون العلّيّة، قانون السببية فهـو يُنكِر كل استدلال حيث أتى ! ويفضي به الأمر الى عدمية مطلقة، ممنوع أن يُحدّث او يُناقَش..لانه بلا فائدة اصلا، على أنه متشبّث دون ان يدري بمعقولية وسائغية ومشروعية الاستدلال، بالتالي هو متشبّث دون ان يدري بمعقولية القانون العقلي <قانون العلِيّة> و يُريد ان يُنكِرَهُ، حتى ميكانيكا الكم، فيقول: لا، الميكانيكا هزّت مبدأ السببية! . لا تَهزُّه ولا تستطيع اصلا، ميكانيكا الكم حين ذهبت تنفي السببية إنما نفتها بالسببية ذاتها.. ببساطة، ميكانيكا الكم تقول لك: أنا ارى ظواهر معينة خارج نطاق السببية هي الآن تُثبِت السببة ! لأنها تنطلق من أن لكل ظاهرةٍ سبباً، فإذا رأينا ظاهرة معينة، وفيما يظهر لا سبب لها، سنقول إنها ظاهرة لا سببية إتكّالا على مبدأ السببية.. أي أن نفي السببية عملية مستحيلة بغير التشبّث بالسببية، لو نفينا السببية فعلا وبالمطلق ومن حيث أتت –كما قلت لكم - ليس اننا سنتورط في نفي السببية في عالم صُغروي فحسب (وهو عالم ميكانيكا الكم الذي تشتغل في ميدانها)، لا.. بل سنتورط في انكار كل استدلال، الحديث يصبح بلا قيمة، العلم.. الفلسفة ..الخ ولاشيء له قيمة.. اللغة ليس لها قيمة..، لاتوجد اية علاقة سببية بين أي شيء وشيء،المسألة اعقد من هذا فانتبهوا، القوانين العقلية قوانين جبارة، اكثر جبروتا من كل قوانين العلم وصياغاته، فالقوانين العلمية متحركة ونسبية.. القوانين العقلية وبغير عقل، لا إمكان لقيام العلم اصلا.. لايوجد سعي علمي..لكن هذه مسائل فلسفية معروفة في مواطنها..

على كل حال، المؤمن المسلم المِلّي يرى –بفضل الله تبارك وتعالى – ان هاته القوانين، وهذه النظم إنما هي اسلوب وطريقة عمل الله في الشّغُل، اسلوب الله في العمل، ولذلك لاتقع في عرض الله.. فكيـف تقع في عرض الله وهي اسلوبه ؟!!!

انما تقع في طول عمَلِ الله، فهي تعمل و الله يعمل بها.. لايوجد تعارض بالمرة، ولذلك كل نجاح ينجزه العلم في تقديم تفسيرات جديدة ومبتكرة لنا لعمل نظام ..لعمل شيء معين .. تفسير ظاهرة طبيعية او غير طبيعية او حيوية ..الخ إنمــا يُقدم لنا زادا يُموّلنا بزاد جديد نقارب به عمَل الله فنزداد إيمانا..

وهنا مسألة مهمة بخصوص إله الفجوات وهي: ان البشر ظلوا و مازالو يؤمنون بالله مُذ كانوا .. أي قبل نشوء العلم الحديث قبل القرن السادس عشر.. قبل (كِبلر) و (تيخو باها) و (كوبر نيكوس) و (غاليليو) .. أي أنه يوجد علِم ام لايوجد فلا فرق، الإيمان موجود، لأن الإيمان لا يستند الى العلم اصالة، الإيمان يستند الى العقل.. مِيلاك ومناط الإيمان هو العقل وليس العلِم. العلم عنده دور تمويني يموّننا ببعض الأشياء التي تجعلنا نقارب عمل الله، أما وجود الله وكونه هو العلّة الحقيقية في هذا الوجود كله وفي احداث هذا الكون كله وإيجاده، والكون قائم به .. كل هذا العقل أوجبَه ..العقل توصّل إليه، بغض النظر عن العلم كان او لم يكن نجح..فشل.. اخفق.. هذا لايعنينا..

بعض الملاحد العرب السُّذَّج البسطاء (ملحد على نيته) المسكين، يدّعون أن المؤمنون لم يؤمنوا إلا مع العلم الحديث وفي القرن العشرين و الواحد والعشرين مع (ستيفن هوكنج).. أي اذا أَمن (هوكنج) أمنا.. واذا كَفَر (هوكنج) كفرنا! .. هـــذه ترهات وليست صحيحة، وكلام ساذج.. في الحلقات الأولى من برهان النظم قلت لايوجد ثمة برهان علمي على وجود الله.. مستحيل، والذي يقول لك لدي برهان علمي على وجود الله، قل له: اولا أنت ساذج لاتفهم لا في فلسفة العلم ولا في الفلسفة العقلية أنت انسان بسيط جدا جدا ومغفّل، ولا تفهم ماذا تقول.. العلم لايستطيع ان يُثبت وجود الله وليس من شأنه ان يُنفي وجود الله.. لأن العــلم عنده مساحة يشتغل فيها فقـط وهي ساحة العالم الطبيعي سواءا الكبروي او الصغروي، وعنده مناهج محددة يتوسل بها، كل ماخرج عن هذه الساحة يقول لك: هذا ليس من تخصصي، أي انه لو ثبت بالعلم ان هذا التصميم المعين تصميم ذكي وعبقري وجميل وفاعل وو .. اذن فالله موجود.. سيقول لك العلم ومادخلي بوجود الله وما ادراني بوجود الله؟! هنا العلم يقف.. تدخل الميتافيزيقا اَله دخلت المبادىء العقلية الآن! من حقّك كعالم فقط الان ان تقول هذا، ان هذا الشيء لايثبت ولا ينفي، لكن من حقي انا كفيلسوف ان استغل هذا الشيء الذي اكتشفته انت كعالم كمثال..مادة استخدمها، ثم أُعمِل فيها آلة القوانين العقلية. اول هاته القوانين هو قانون العلية، وفلسفيا لابد لكل معلول من علّة. انتبهوا، العلل الفلسفية تختلف عن العلل العلمية، وتختلف عن العلة في اذهان المثقفين العاديين. العلل الفلسفية لايمكن ان تكون بينها وبين معلولها فاصلة زمنية .. وهذه الأمور لايفهمها الكثير، هناك أُناس كتبو ينتقدوني وأنا ابتسمت و مضيت .. ووالله ليس كِبراً مني او عجرفة لأني لم أقم بالرد على التعليقات على خُطَبي ومحاضراتي،التي تجدها للأسف بكل سذاجة ومن معلّق بمنصب الدكتور الفلاني وكذا.. لايفهم ولا يعرف ماذا يقول المسكين!، مـاذا افعل أنا؟! لا وقت لدي لئن ابدأ وأشرح الفلسفة العقلية و في مئة صفحة مبـاحث العلّة والعلّيّة ؟!! لانستطيع.. الموضوع طويل ومعقد جدا جدا لن يفهمه المسكين.. ويفكر يُعلّم عنها كالعامل.. أي ابي علَّتي. ابي ليس عِلَّتي ولا أمي ! ابدا. العلة لاتنفصل عن معلولها فيه تقارن.. فيه اقتران زمني فلسفيا، هم لايفهمون هذه الأشياء كلها، ويوجد فرق بين العلة بهذا المعنى، وفرق بين العلل المُعِدّة! مقدمات وممهّدات نسميها علل مجازا. على كلٍّ حال، المشكلة في هذه القضايا كما قلت لكم أنه لا يستطيع ان يتصدّى لها احد إلا بعد أن يُحكِم مقدماته كلها.. يفهم علم المنطق والصّوري والمنطق الأحاديث، يفهم الفلسفة واقسامها وخاصة العقلية ويتعمق فيها.. يفهم علم الكلام الاسلامية والمسيحية واليهودية.. يفهما جيدا!، يفهم بعد ذلك اشياء كثيرة في العلم المعاصر، وفلسفة العلم، بعد ذلك ليتقدّم و يتكلم.. مالم تُحسِن هذا فستأتي بمصائب وتظن نفسك أنك فهمان، وفي الحقيقة انت لم تفهم شيئا.. هذه هي المشكلة على كل حال، فاعذروني على هذا.

نعود الى نقطة ان العلم لا علاقة له الا بالعالم الطبيعي فقط، هذا تخصصه ولاعلاقة له بغير ذلك، فهو غير مهيأ لإثبات او انكار وجود الله... لـكن المهيّأ لذلك هو الميتافيزيقاجزء من الفلسفة..هذه الفلسفة الحقيقية.. جوهر الفلسفة هو الميتافيزيقا وليست الفلسفة العلمية، اذا الغيت الميتافيزيقا فقد الغيت الفلسفة كما فعل (كانط) وكما فعل من قبله (ديفيد هيوم) .. لكن ان تستخدم هذه المسائل العلمية فهي كزاد فقط، اختلفت هذه الحقائق العلمية ام لم تختلف فهذا لا يضر الميتافيزيقا، يبقى الفيلسوف العقلي والعقلاني مؤمنا بالله بغض النظر عما يقول العلم، العلم في النهاية يفسر العالم الطبيعي، لكن العالم الطبيعي ككل يحتاج الى تفسير في وجوده وفي امتداده واستمراره سوف نرى اليوم حين نتعرّض لبرهان الحدوث وجها أخر لحاجة العالم الى الله تبارك وتعالى .. الفلسفة هنا تتكلم وتتصدر الموقف وليس العلم الطبيعي.. معظـم علماؤنا ومشائخنا يتورطون حتى الأذقان عندما يقولون "..البرهان العلمي لوجود الله..البراهين العلمية لـ ... "، هـؤلاء لايفهمون مايقولون.. اطفال في هذا الميدان، عيب وهذا يُضحِك علينا المتخصصين فلا علاقة البرهان العلمي بهذه القضايا.

اذن لابد ان ننتبه الى قضية ان الله والقانون لايتعارضان بل يتطاولان.. فالقانون هو اسلوب عمل الله في الخلق،الله يعمل والقانون يعمل، الله يعمل بالقانون..وفقط. كما قال تعالى: }و ماتشاؤن إلا أن يشاء الله{التكوير 29 ،أثبت لنا المشيئة، وأثبت لذاته العَلِيّة المشيئة أليس كذلك؟! يسألك احدهم مستفسرا: وكيف ذلك ..الجَبْرُ والإختيار، والقضاء والقَدَر..حسنا اذا شاءالله، مالذي يبقى لمشيئتي انا؟ انتفت مشيئتي! قل له: يا اخي مشيئتك لاتعمل في عرض واحد مع مشيئة الله، وإنما تطاول مع مشيئة الله (مشيئة العبد تقع في طول مشيئة الرب الذي لا اله الا هو) انتبهوا، مسألة مهمة جدا جدا وتنحل العقدة.

في النهاية بصدد حديثي عن إله الفجوات ربما في المحاضرة السابقة من باب التظرّف وليس التطرّف أشَرْت الى مصطلح جديد اقترحه وهو علِم الفجوات، أنتم تأخذون على المتدينين هذا المفهوم الغالط. وعلى فكرة هو مفهوم لا وزن له، ولا تبرير له الا في السياق الغربي الفلسفي واللاهوتي، اما في السياق الاسلامي فلا موضع له.. فتصوير الله والقانون على انهما متعارضان نجم عنه مفهوم الفجوات، ولابد ان ينجم، فما ينجح فيه العلم، يُستغني فيه عن الله، مايفشل فيه العلم يُفزَع فيه الى الله .. اذن هذا إلـه الفجوات ! لـكـن في الطرح والتصور الاسلاميين الله والقانون يتطاولان ولا يتعارضان فيـــختفي بالكامل ومن حيث اتى مفهوم إله الفجوات !!! ويصبح العلم يخدم مفهوم الله ويعزز الايمان بالله وبعمل الله وبقيّوميّة الله في كونه وعلى كونه، وبكون الكون قائما بربه لا إله الا هو ..

لكن دعونا نتنزّل اعتباطا، ونحاول ان نتقمّص السياق الغربي والفكر والتصور الغربيين (إله الفجوات عندهم، وهو غير مبرر في طرحنا الاسلامي)، لديهم في خلفيتهم ايها الاخوة، إله الفجوات يُهرع اليه حين يسجل العلم فشلا في تفسير ظاهرة معينة، ولذلك يُسخَر منه ، وعلى فكرة،الى الان المتدينون المتحمسون في الغرب من المسيحيين لاشعوريا يشمتون بالعلم، ويحبون ان يُظهروا الشماتة به، يفعلون هذا !..وبعضهم متفلسفة كبار ..انظروا العلم قاصر العلم يفشل، وحين يفشل في تفسير ظاهرة معينة هو لايفشل اليوم، بل يسجل على نفسه مشوارا طويلا من الفشل فإذا فشل العلم اليوم في تفسير ظاهرة، فهو تتويجا لمسار العلم كله الفاشل في تفسير هذه الظاهرة..اي بعد اربعمئة سنة لم تفسرها فأنت فشل على مدى اربعمئة سنة، مالذي يضمن لي غدا انك ستنجح؟! او بعد غد.. او تستمر في الفشل..اذن انت فاشل! . يُظهرون الشماتة في العلم، وهـذا ليس من مصلحة الدين..للأسف، لكن هي معركة، هذه بعض آثار معركة القُروسطية بين العلم والدين في السياق الأوروبي او الغربي..

العلماويون كما نسميهم دائما ايضا من جهتهم يُهرعون كلما وقعوا في احراج الفشل وعدم القدرة على التفسير الى القول: "العلم حتمـا سيفسر هذه الظاهرة يوما غدا او بعد غد الى ان قد .. سيفسر، ليس بالضرورة اليوم هو فشل أي يبقى فاشلا. أنا قلتُ مقترحا: هـذا علم الفجوات !! هـذا يتشبث بعلم الفجوات، وهذا ايضا يتشبث بعلم الفجوات.. لكن بطريقة كما رأيتم. أيهمـا اقرب الى المنطقية والتماسك: منطق إله الفجوات (على خطئه طبعا) ، او منطق علم الفجوات ؟ أُسارع الى القول: إله الفجوات ..اكثر تماسكا، واكثر منطقية، لأن الذي يقول بإله الفجوات - كما ينبُزُه عدوه العلمَوي- إنما يصدر في قوله هذا عن إله آمن به على خلفية عقلية، لديه براهين عقلية على وجود الله!، براهين عقلية لاعلاقة لها بالعلم، لذلك كما قلت لكم ظل الناس من ألوف السنين مؤمنين بالله قبل ان ينشأ العلم الحديث بكامله، ولذلك هم يُهرَعون الى تفسير أي ظاهرة بإسناده الى الله الذين آمنوا به على اساس عقلي، وهذا الإله في ظنهم وفي اعتقادهم موجود.. الان هو موجود، وليس سيوجَد لكي يُفسر، موجود وهو الذي خلق، وهو صحيح هو خلق هو ابدع هو شاء هذا الشيء على هذا النحو.. وهكذا وكذا. بخـــلاف العلم، فالعلم يا إخواني ليس كيانا، العلم مسار ممتد، وعملية ممتدة ومتناسخة –وكما قال الأديب الشهير الروائي (سامَر سموم): "العلم يُثبت العلم مانفاه بالأمس، وينفي اليوم ما اثبته بالأمس"، و هلُمّ جرا..على كل حال، هذا صحيح وملاحظ. وعبارة (آرثر كوستلَر) في الجماجم في صحراء العلم.. معناها يوما ما كانت مرشحة لئن تكون خالدة، لكن الان مجرد جماجم وعظام حفريات ومتحجرات ..انتهى كل شيء، وفي عصرها كان الأمل معقودا عليها ان تمتد الى مالانهاية. العموي يقول لك: "العلم سيفسر". العلم ليس كيانا، وليس لدينا ضمانة اكيدة انه سينجح ، اذن العلم يُحيل على احتمال في حين ان إله الفجوات القول به احالة على موجود..حاضر، وآمنا به على خلفية عقلية، يبقى موقف إله الفجوات اكثر تماسكا من علم الفجوات. طبعا بافتراض او بتعابط الان ان هذا المصطلح اصلا له مايبرره، هو فقط مبرر في السياق الغربي على انه خاطيء وناشيء عن اسس خاطئة تماما.

اكتفي ان شاءالله بهذا القدر لكي اختم كما وعدتكم هذه الحلقات الطويلة في برهان النظم او برهان التصميم لكي يُفضيَ بنا الحديث ان شاءالله تعالى في الحلقة المقبلة الى برهان آخر وهو برهان الحـدوث

فأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم وعليكنّ جميعا ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الرابعة عشر برهان النظم 9

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم..الحمدلله رب العالمين.. ياربِّ لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كماتحب وترضى، نعوذ برضاك من سخطك، ونعوذ بمعافاتك من عقوبتك، ونعوذ بك منك لانحصي ثناءا عليك، أنت كما اثنيت على نفسك. واشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمدا عبده و رسوله.. اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته المباركين الميامين وأتباعهم بإحسان الى يوم الدين.. سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم،للهم عليمنا بما ينفعنا ونفعنا بما علمتنا و زدنا علما، اللهم آمين...
أما بعــد،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
على كل حال قد علمتُ وعَلِمَ الناس أن مثل هذه المحاضرات لايمكن ان تفي بحاجة امثال هاته الموضوعات على جهة الغَناء والوفاء، ولذلك اقتنعت اخيرا بأن يُترَك التفصيل في مثل هذا الموضوع لمُؤلَف بحيالِه يمكن فعلا ان نُبرىء ذمتنا، وان نقضيَ حق الموضوع، أما في مثل هذه المحاضرات فالتوسط افضل، وهذا ماسنصير إليه لكن الذي لزَم الى الاسهاب الطريقة العجيبة التي يمارس بها بعض الناس النقد.. يتسرّع قبل أن تُتِم الكلام في الموضوع.. من اول حلقة يبدأ يُشكِل ويقول أنت لم تقُل هذا ولم ذاك، طريقة غريبة جدا جدا، واضح انها ناشئة من قلّة الإطلاع و من عدم التدرب والتمرّس بأخلاقيات البحث والمناظرة العلمية، للأسف الشديد ،وطبعا أجزاء كبيرة جدا، معظم الانتقادات التي تُوَجّه إلينا سواءا في الموضوعات الفلسفية، أو في الموضوعات الدينية البحتة، إنما هي نـاشئة من قلّة الاطلاع ومن قلة التعمّق.. في هذه الحلقة سنغلق موضوع برهان النظم بإذن الله، ونتناول مسائل محددة .. المسألة الأولى - عنّى لي بعض وجوه النقل ايضا على الإنتخاب التراكمي وفي الحقيقة لا ادري.. هل انا تناولته في المحاضرات السابقة المسجّلة ام في المحادثات مابعد التسجيل مع بعض الإخوة، لكنني على ماهو اقرب الظن لي انني قد تكلمت عن الانتخاب التراكمي لدى (ريتشارد دوكنز)، وتصديت له بالنقد في محاضرة مسجلة- على كل حال.. الانتخاب التراكمي الذي اقترحه (ريتشارد دوكنز) على ما اشرت لايُفسّر لنا نشوء الجزيئيات الحيوية، او جزيئيات الحياة الأولية مثل الحامض النووي مثلا، معروف لماذا لايستطيع تفسيره، فالإنتخاب الطبيعي يفشل في تفسير نشوء العالم المادي الطبيعي.. الكون. لـكن كون اني ذَكَرت سبيلا طريفا لإبطال النتخاب التراكمي، وليس الانتخاب بخطوة واحدة – كما اقترح (ريتشارد دوكنز)- بطريقة الاشارة الى مايُعرَف في حساب او في رياضيات الاحتمال بالوقائع المستقلة، والوقائع المتنافية، ولكن هذا الكلام –للأمانة العلمية ولأكون أمينا مع ضميري ومع عقلي ايضا – ليس دقيقا تماما بعد إمعاني النظر فيه. (ريتشارد دوكنز) قد تكون قد قصّرت به عبارته في كتابه الشهير <صانع الساعات الأعمى>، لكن نحن الآن سندافع عن موقفه ثــم نوجّه إليه نقدا جديدا مع ذلك، لأن مايُحدِثُه الانتخاب الطبيعي في الحقيقة ليس هو – كما قلنا وقال غيرنا - من قبيل الوقائع المستقلة.. هذا غير صحيح، بل هي وقائع متنافية الى حدّ ما.. كيف؟ سنبسّط : الآن كائن معين بِطَريق الطفرة حدث فيه تغير ما، هذا التغيّر ثبت وتبرهن انه نافعٌ له تكيُفيّاً.. يُكسِبُه مرونة اكثر وملائمة اكثر، وتكيفا أزيد مع البيئة وشروطها، لذلك يُستبقى.. وهذا هو جوهر الانتخاب الطبيعي، هذا التغير يجعل الكائن اكثر ملائمة للبيئة لذلك من الطبيعي ان يبقى! .. فكرة بحد ذاتها ذكية ومعقولة، وكما ضربنا المثل بالدّب البني والدّب الأبيض في القطب مثلا.. لأن هناك كيانا يقرر، كيانا واعيا او عاقلا اسمه الانتخاب الطبيعي،

الانتخاب الطبيعي ليس مفهوما كيانيا، ابدا.. هو مفهوم تخليلي.. مفهوم تفسيري فقط، ليس اكثر من ذلك. لكن هذا يحدث، لا بأس نحن مستعدون في درجة او درجات من النقاش ان نتقبل هذا الشيء، وهي فكرة ذكية بلا شك. حتى اوضح مالديّ: الانتخاب الطبيعي بهذا المعنى، لايتعامل مع هذه الاحداث وهذه التغيرات على أنها وقائع مستقلة، وهي ليست مستقلة.. مع أن هذا التغير يخدِم الكائن ويجعله اكثر تكيفيا .. اذن ليست مستقلة، لذلك هذا التغير هو الذي يُستَبقى، لو حدث تغير آخر قد يُهلِك الكائن.. أي يصبح اكثر ضعفا وأقل ملائمة لشروط بيئته فيهلكَ وينقرض!.

إذن النقد الذي وجّهناه، و وجّهه غيرنا الى الانتخاب التراكمي على اساس انه من قبيل الوقائع المستقلة هـذا غيـر صحيح. بل هذا ظلم لهذه الآلية العلمية، يجب ان نكون دقيقين.. وأنا دائما كما تعوّدتُ و عوّدتكم احترم ضميري، واحترم ضميري العلمي وليس الديني فحسب. لابد ان نذكر الحقائق كما هي، وليس من مصلحتنا بعد ذلك أن نناقش و أن نخرج في نهاية المطاف كالمغفلين لا نعرف عن ماذا نتكلم. فالانتخاب الطبيعي لايتعامل مع وقائع مستقلة، و للتذكير، الوقائع المستقلة من قبيل خمس قطع معدنية مثلا مرقّمة بأرقام من واحد الى خمسة، تضعها في جيبك، وبالإحتمال ان تسحب رقم ثلاثة مثلا، فمن أول ضربة هو: واحد على خمسة، ثم سحبت قطعة اخرى وظهر لك انه كان رقم اربعة، تعيد هذه القطعة المعدنية، احتمال ان تسحب رقم ثلاثة من اول ضربة ايضا هو خُمْس، وهكذا .. ولو سحبت بليون مرة الاحتمال يبقى دائما خُمس، لانه وقائع مستقلة.. أما الوقائع المتنافية: فتسحب رقم ثلاثة لكن ينسحب معك فيخرج معك رقم خمسة، فتستبعده وتجعله خارج جيبك، ثم تسحب الآن .. احتمال ان يكون الرقم الخارج معك هو رقم ثلاثة فيكون: واحد على اربعة ! أي ارتفع الاحتمال.. لكن خرج معك رقم اثنين فتستبعده، واحتمال ان يكون ثلاثة فثُلُث وهكذا نصف وهكذا واحد على واحد .. يعني وقائع متنافية، في الحقيقة الانتخاب الطبيعي اقرب الى ان يتعامل مع الوقائع المتنافية! التغير الذي يفيد يُستبقى.. التغير الذي يُهلِك يُستبعد إذن هـي ليست مستقلة.

لكــن رغم ذلك ومع ذلك مايَفشَل الانتخاب الطبيعي في تفسيره اشياء كثيرة ايضا من ضمنها: لمَ دائما تكون نتيجة هذا الانتخاب بِنيَة تَصف بالجمالية وبالتناظرية، وكان يمكن للكائن ان يعيش بغير هذا التناظر وبكسره احيانا.. فما سر هذا التناظر؟! تمــاما كمسألة الاحماض الأمينية العسراء، لماذا هي دائما عسراء يسارية ولا تتركب الا بهذه الطريقة وبإستمرار؟ لمــاذا لم يتدخل الانتخاب الطبيعي هنـا ؟؟! على فكرة هناك نقود اخرى طويلة، لكن لا اطوّل ، احببت فقط ان اسجّل هذه الملاحظات بسرعة.

وهنـاك شيء أخطر من هذا.. انها شبهة يلجأ اليها الماديون والملاحدة والتطوريون الذين ارادوا ان يكونوا تطوريين ملاحدة، وهي شبهة التّبصّر الرجعي عشرين على عشرين، بمعنى ان التّبصّر الرجعي يكون دائما صائبا بنسبة عشرين على عشرين، -كما نقول عن النظر ستة على ستة – وهنا لايعني بـ البَصَر إنما التبصّر، نحن نسميه الإدراك بأثر رجعي، الفهم بأثر رجعي، من قديم نحن نتكلم في قضايا التاريخ عن ادّعاء الحكمة بأثر رجعي.. هذا يسمى في لغة العلم، ويُستخدم في العلم حتى في ميادين مختلفة بما فيها علم النفس يسمى التبصر بأثر رجعي.. معنـى هذا الكلام : قد يقع حادث معين ولنفترض حادث سيّارات، طبعا النتيجة مروّعة لكنها لم تبلغ حد الموت، وبعد ان يبرأ السائق و يَنْقَه يبدأ يتساءل مالذي حدث معي.. ويبدأ يستذكر ، وربما يقول: "آه.. هذا الحادث وقع فعلا بأنني عندما رأيت السائق المعاكس لي لم اتصرف بالطريقة السليمة، كان ينبغي ان انحرف قليلا الى اليمين، يبدو انه اختلط عليّ الأمر، وفوجئت وفقدتُ التحكم فدخلتُ شمالا، وهذا الذي أدّى الى هذه المَهلكة". الآن هو تماما يفهم مالذي حدث لكـن بأثر رجعي.. كل شيء امامه، كموضوع الفِتَن.. كفتنة سياسية او أي شيء، طالما هي موجودة وجارية قلّ من الناس من يفقه حقيقة مايجري، بعد ان تضع اوزارها و تُسفِر عن آثار مدمرة وهائلة على مستوى الشعب، يبدأ ماشاءالله ادعياء الحكمة

بأثر رجعي !.. في الحقيقة كان ينبغي ان نفعل كذا وكذا .. والحزب الفلاني اخطأ و تهور وو.، لا لا، انت تتكلم في أثر رجعي بنسبة عشرين على عشرين، لكن في اثناء المحنة أنت لم تفهم هذا..
التبصر بأثر رجعي في قضايا الإلحاد والإيمان يُستخدم بأسلوب ماكر جدا، وغبي جدا.. وتجدهم من علماء كبار، وبعضهم علماء الرياضيات، وبعضهم علماء فلاسفة .. يوظفونه على هذا النحو، يقولون أنتم يامعاشر المُؤلّهة والمؤمنين تدأبون دائما على الإستنجاد بمفهوم التعقيد، وأن هذه بنية معقدة، وهذا تصميم معقد .. الخ، قالوا نحن لا نؤمن بهذا الشيء، وهذا لايؤثر علينا كثيرا، هذا لا يُحدِث لنا فرقا..ويقولون: كل ماهنالك أنكم جئتم الى بنية ما وهي كثيرة جدا، فقلتم انها معقدة جدا بحساب الاحتمالات.. مستحيل ان تتركّب هذه المتعضية.. هذا التركيب ، ولايترتب هذا الترتب بالصدفة، اذن لا بد ان هناك ذكاءا و وعيا، وعقلا من هذا التعقيد وهو الله. اذن هو الله ..قد ثبت المطلوب. لا هذه طريقة فاشلة لاتقنعنا، فأنتم تدّعون هذا من باب التبصر بأثر رجعي.. قالوا: إئتونا الان بكم من القطع المعدنية.. اجزاء أي شيء، ألف قطعة مثلا، خذوها هكذا وانثروها في الهواء .. وهذه القطع مرتبة من واحد الى ألف مثلا، ستقع وقوعا اتفاقيا، لكن ستشكل الان شيئا مركبا تركيبا ما.. الحديث عن الترتُّب الان، وليس التركيب بالمعنى الحيوي.. لكن ترتب معين و تحدث شكلا، هذا الترتيب معقد و معقد جدا، وبمعنى انه بحساب الاحتمالات..لو قذفنابها مرة اخرى لكي تترتب هذا الترتب فلن يحدث ذلك..مستحيل، ولو قذفت بها مليون مرة ستترتب بترتب جديد ومعقد، هناك تركيب حقيقي.. وهذا لايساوي لك ان تقول ان هناك تركب وتعقد ليس للصدفة دور فيه. بل هو صُدفي تماما! ولا دور للعقل فيه.. >> هكذا يُشكِلون على الناس.. وبعضهم كتب هذا المثال بالإنجليزية نقدا لإحدى محاضراتي قبل فترة، قرأت هذا وضحكت.. وسأجيب على هذا الكلام المتهافت جدا الذي يحتج به بعض العلماء والفلاسفة، كلام ضعيف والقضية اوسع واكبر بكثير من قضية التبصر بأثر رجعي..لماذا؟ سأضرب لكم بمَثَلين وبهما يضح لكم الأمر تماما :
لدينا مجموعة الحروف العربية.. ثمانية وعشرون حرفا مكتوبة على قطع خشبية مثلا او معدنية او بلاستيكية، اخذنا هذه الأحرف ونثرناها في الهواء، وقعت الان في حيّز معين ، وترتبت ترتبا ما .. س ع ز ق .. لنقرأها الان.. وجدناها اعتباطية ليس لها أي معنى او مفهوم، ولكن هذا الترتيب الذي حدث بمحض الصدفة ترتيب ما، لكـي يحدث مرة اخرى بالصدفة ... تجده مستحيـــــل، يوجد فيه نوع من التعقيد.. ولو نثرتها مليون مرة ستقع بـ ترتب جديد – والفرق بين الترتب والترتيب هو أن الترتب: مايحدث ويقع بدون أي فاعل يقصد بحدوثه، أما الترتيـب: أي ان هناك فاعل قَصَدَ على عمل هذا الترتيب، كالفرق بين الصُّدْفي و الغائي- لكن انتبهوا: المليون ترتب بينها شيءٌ يجعلها متساوية، بإعتبار معين كلها متساوية مع انها مختلفة، مليون ترتب مختلف.. اتعرفون مالذي يُساوي بينها ؟؟ نعم إنها الإعتباطيـة!، أي مليون ترتّب بـلا معنـى.. بلا رسالة .. لاتحكي شيئا .. لاتدل على شيء. لــكن لو مرة –وهذا الذي حَدَث ولا يزال يحدث في الوجود – نثرنا هاته الأحرف في الهواء فسقطت على الارض وترتبت مثلا بطريقة: م ن _ ل م _ ي م ت _ ب ا ل س ي ف _ م ا ت _ ب غ ي ر ه _ ت ع د د ت _ ا ل ا س ب ا ب _ و ا ل م و ت _ و ا ح د .. حــتما سيكون هذا الأمر لافتا جدا لكل من شاهد هذا الترتب، بل على الأصح هو ترتيب وليس ترتب لأنك لو نثرتها مرة اخرى ستترتب بشكل بيت شعر آخر او جملة مفهومة نستطيع ان نعيها، ففي الطريقة الأولى كان تعقد وتركيب يحكي ترتبا، وهناك (في الطريقة الثانية) تعقد وتركيب يحكي ترتيـبا.. في الأول اعتباطي، وفي الآخر غــائي قصدي.. هادف.. ذو معنى ذو دلالة .. ذو رسالة! وقطعــا الترتب او الترتيـب –لابد ان نفكر هل هو ترتب او ترتيب – الحاصل بين القواعد النيتروجينية الاربعة للحامض النووي DNA هو ترتيــب ليس مجرد ترتب، لأنه ليس فقط بذي دلالة، وإنما دلالة و أيّ دلالة!، دلالة تُشفِّر للكائن كله، تجعله على ماهو عليه.. هي الدلالة التي تجعلني على ما انا عليه، تجعل الدجاجة على ماهي عليه، والكركدن على ماهو عليه، والشجرة على ماهي عليه، والزهرة على ماهي عليه.. وماكل تلك المخلوقات على ماهي عليه هـو الحيــاة، والحياة شيء متفرّد ومفترِق و متميز ومختلف الى ابعد حد

عـن الـلا حيـاة ! ولذلك، فرق كبير بين تركّب نراه مثلا في السحاب، وبين تركّب نراه في البنية الحية، ولذلك ظل الإلـهيون ودأبوا و إلى اليوم على ان يستشهدوا ويستدلوا على وجود الخالق سبحانه وتعالى لا بأشكال السحاب، كشكل سحابي مثل كلمة محمد، مثلا، لا.. هذا يحدث صدفة عند الناس. المسيحيون كم مرة رأوا شكلا يشبه شكل عيسى عليه السلام في السحاب.. و لايُستَدَل بهذا على شيء ..إلا العوام الجَهلَة، لانستدل بكومة كوّمت جبلا او تلّة رمل، هذه التلّة خذ منها قليلا أو زِد عليها قليلا.. تبقى تلّة!، لا يظهر تغيّر دراماتيكي. لــكن لنرى الـ DNA خذ قاعدة نيتروجينية ، اضف قاعدة..ينبثق لنا تغيّر دراماتيكي !! تغير الكائن بالمرة .. يتشوّه، فبدلا من ان يخرج (أينشتاين) سيخرج (فرانكشتاين) مثلا !! J .بدلا من ان يخرج كائنا جميلا، تخرج مقبحة تجرح الشعور الجمالي عند الإنسان حتى . وهكذا.. لأن هذا التركّب "هـادف و غائي و مقصود، وله رسالة" وكما قال (ألفرِد نورث وايتد): "الأموات لا يحملون رسائل" فقط الأحياء والعقلاء يحملون رسـائل. واضح ان هذه الطبيعة وهذا الوجود، وجود هادف وغائي، يحمل رسالة.. دايما اذا تحدثنا عن الرسالة، مباشرة يتبادر الى الذهن هذا السؤال: من الذي كَتَب وأرسل الرسالة؟ وإلى مَـن؟! وهذا يذكرنا مرة اخرى بالقدر الهائل، الذي زُوِّد به الكائن الحي من الذكاء، وقبل ذلك هو عنده هذا الذكاء .. لمــاذا ؟! لكـي يَفُـكّ الرسائل ! يُرادُ منه، ويُراد له ان يفك هذه الرسائل.. والحمدلله هذا الانسان يفعلها .. يفعلها بالعلم، بالفلسفة.. يفعلها باللاهوت.. يفعلها هكذا، لأنه مزود.. بمالم تُزوّد به كائنات اخرى!. اذن موضوع التبصر بأثر رجعي لاينبغي ان يُشغَب على الناس ولا على المؤمنين.. ليس فيه شيء جديد وهو موضوع تافه.. النقطة الأخيرة التي اريد ان اختم بها كلامي في الجزء الأول من هذه الحلقات.. كما وعدتكم ان اتحدث عن إله الفجوات..

معنـــى إله الفجوات

نسمع هذا المصطلح كثيرا جدا، كثيرا مانعثر عليه في كتب الملاحدة والعلماويين الذين يسخرون من الدين ومن طريقة المتدينين في التفسير والفهم، ومن موقف المتدينين من العلم ومناهجه.. إلـه الفجوات له معنيان: احدهما معروف ومشهور، والآخر اقل شهرة ومعرفية.

المعنى الأقل شهرة ومعرفية كالمعنى الذي تشبّث به اسحاق نيوتن وأضرابه. الله تبارك وتعالى شاء ان يخلقَ هذا الكون، ثم وَكَلَ مسار ومسير هذا الكون للقوانين التي اودعها، يعني هذا الإله الى حد ما قريب من المحرك الذي لايتحرك الذي تفتّقت عنه ذهنية (ارسطو طاليس): القوانين الان هي التي تتولى المسألة، الله الذي خلق الكون ومن ثم رَفَع يده، الله الذي اودع فيه قوانينه، قوانينه تسيِّرهُ ..الله يراقب فقط ولا يتدخّل، بعضهم –الذين لديهم نزوع لاهوتي او ديني - قال يمكن ان يتدخّل احيانا ليصنع معجزة او عجيبة.. أما العلماء الأوفياء لمنهج العلم فيرفضون تمااااما لامجال للتدخل حتى لله .. قانون طبيعي ساري دائما ولا يُنقَض ولا يقبل استثناءات.. << هكذا يقولون!. على كل حال.. لكن هذا لم يكن نهاية المطاف، لاحظ (اسحاق نيوتن) ان هذه القوانين تُقصِر احيانا في فهمنا وفي تفسيرنا لماذا تحدث بعض الأشياء التي تعتبر شذوذا عن هذه القوانين كمسارات بعض الكواكب مثلا.. فإقترح (نيوتن) أن الله يتدخّل في هذه اللحظات حين يُقصِّر القانون –وفي الحقيقة ليس القانون إنما هو فَهْمنا او صياغتنا للقانون،ربما حددناه اكثر من اللازم او وسّعناه اكثر من اللازم..لادري – أي ان يكون حينها لزاما على الله ان يتدخّل لكي يعيد الأمور الى نصابها ثم يعود القانون يعمل على ماهو لائح وبائن لنا. بدلا من ان يقول أنا قاصر فهمي للقانون صياغتي له..حدود فهمي لعمل هذا القانون يبدو انه خضعت هذه الحدود لنوع من التشوّه لنوع من القصور.. لا، سبحان الله، وهذا هو عجرفة الإنسان وعجرفة العلماء، أي انه من الأسهل عليهم ان ينسبوا القصور الى صانع القانون، لأنهم يرون انه اذا كانت القصور في القوانين أي ان القصور في صانع تلك القوانين..القانون يُقَصِّر، المفروض أن لا يُقصّر، بل المفروض ان يكون على قد المُقَنِّن له، فنحن نتدخّل بإيضاح كيفية تصحيح الله في هذا بإله الفجوات. وهـذا غير صحيح.. لكن هذه عجرفة الإنسان، كأنه هو الكامل.. هذا يُذكّرُني تماما للأسف، بمحاولات بعض رجال

الدين لدينا نحن المسلمين ايضا، لتفسير بعض الأخطاء.. التناقضات.. التعاكسات في الأحاديث النبوية الصحيحة.. يسهُل عليهم ان ينسبوا الخطأ الى الله عوَضاً أن ينسبوه الى البخاري او مسلم أو إلى الرواة !!، بل يعتقدون ان الرواة لايُخطئون، ماشاءالله كانهم كاملين خالين من الأخطاء !.. وتجدهم في محاولاتهم ينسبون الخطأ والنقص الى الله بالجهل او بالكذب.. استغفر الله العظيم! . ستقول لي هذا كُفر، من اين لك بهذا الكلام؟!. هذه حقيقة لكن لن اضرب لها مثلا الآن، تحتاج الى درس ديني، ان شاءالله سألقيه.. . هذا إله الفجوات، إله الفجوات في المفهوم الشائع والمعروف عند معظم الناس ومعظم المثقفين على الاطلاق هو: كل مايفشل العلم في تقديم تفسير له نقول "الله هو الذي فعل هذا"، "الله أراد ذلك"، فسُمِّيَ إله الفجوات.. حيـلة يُهرَع إليها المتديّن العاجز الذي اتخذ موقفا سلبيا من العلم ومساعيه ومنجزاته، تجعله دائما كلما لاحظ او وقف على فشل جزئي للعلم في تفسير ظاهرة معينة تجعله يهرع الى القول: ارأيتم؟ العلم فَشِل!. حسنا ألديك تفسير؟. نعم لدي تفسير: الله هو الذي صنع هذا.. الله هو الذي صمم و رتّب بهذه الطريقة . لذلك هم يقولون برهان النظم يخدِم إله الفجوات. وهذا غير صحيح، ولا يمكن ان نتورّط في هذا نحن.. لكن كيف ، مالذي يحدث؟!

سأقول لكم الحاصل في هذه المسألة والله اعلم: الخطـأ الكبير الذي وقع فيه الفكر الأوروبي، ولا زال متورطا فيه الى اليوم هو أنه تخيّل أن الله تبارك وتعالى يعمل في عَرْضٍ واحد مع القوانين التي تَكفّلَ العلم بإكتشافها ثم صياغتها بالأسلوب العلمي المعروف، يعني يتعارضان عِوَضاً أن يتطاولا.. سنشرح هذان المفهومان الفلسفيان (مفهوم التعارض) و (مفهوم التطاول) :

إذا كان الله يعمل في عرض عمل القوانين، فواضح إذا امكَنَ تبيان وتفسير الظاهرة بعمل القانون لا يبقى دور لله، ان الله هنا فرضية غير لازمة !.. طبعا انا متأكد الان انتم كمسلمين ومسلمات تتعجبون من هذا المنطق، تقولون: هذا منطق في منتهى السخافة، كأن القوانين تتحدى الله ! كأنها ليست اسلوب الله في العمل! كأنها ليست مفعولات لله! لكـن هكذا هو الفكر الأوروبي.. شيء غريـب!. وسأقول لكم لماذا انتهى الأمر الى هذه النهاية المأساوية – وهذا معنى إله الفجوات- الله يتعارض مع القوانين أي يعملان في عرض واحد وليس في طول واحد.. (توماس هاكسلي)<كلبُ داروين> كَتَب يقول مرة : "كل ماينجح العلم في تفسيره، فبالضـــرورة الله لا دور له فيه". لا، ليس بالضرورة، هذا كلام غبي جدا جدا، كلام غير صحيح البتّة، لكنه يقول هذا وفي القرن التاسع عشر، أما في القرن العشرين والحادي والعشرين يكتب (ستيفن واينبيرغ) –حامل جائزة نوبل في الفيزياء- في <احلام النظرية النهائية> كان يقول: "كان الناس الى غاية القرن التاسع عشر يؤمنون بالله مستندين الى براهين من جنس ان الأجرام السماوية أجرام خالدة، وأجرام بسيطة ومكونة من مادة اخرى -أي انهم يكررون اسطوانة (ارسطو) – من عالم الكون والفساد، أما الأجرام العلوية فليست من عالم الكون والفساد، فهذا عالم دائم اثيري لا ينحلّ كالبسائط" ويستدلون بهذا على الله الذي خلقها وعلى جماله .. قال: "أما اليوم فالناس يرون فيها اشياء من الناحية التكوينية تماما كالأشياء التي على الأرض.. عالم الكون والفساد.. نفس العناصر مثل الهيليوم والهيدروجين ..الخ. ثم استتلى الرجل لكي يبرهن عن أن حيلة إله الفجوات مــاعادت تُجدي، العلم شَطَبَ عليها، اذن هو مقتنع بنفس الفكرة!، نفس فكرة (هاكسلي).. غريب،منشأ هذه الفكرة في منتهى السذاجة بالنسبة لمسلم عالم دينه وعنده تصوّر كَوْني لهذه الأشياء.

كمـا قلت لكم أنهم ظنوا ان الله والقوانين متعارضان..أي أن الله شيء، والقانون شيء آخر. يبدو ان هذه الفكرة السخيفة هو سذاجة المتدينين في الأعصار الخالية وخاصة في العصور الوسطى وتصاريحهم الداااائمة "الله فعل..الله خلق.." بالجملة دون الدخول في التفاصيل، وكان الناس مقتنعين في وقته، ولما جاء العلم ولم يعُد مقتنعا بهذا الفهم الجُمَلي الإجمالي، وبدأ يبحث عن علل وعن عوامل تفصيلية و دقيقة وتفرّق بين الظاهرة والظاهرة. ونجح العلم أيّما نجاح في ظواهر كثيرة ان يُفسّرها بدأنا نفهم .. لكن ظـلّ هؤلاء المتدينون السذّج على الاستعصام بالموقف السلبي المستنكر للعلم وبإنجازاته، كذّبوه و كذّبوا حتى الحواس، كما حصل لـ (غاليليو) الذي كاد يمكن ان يُنصَف من هؤلاء

بمجرد ان يلقوا نظرة واحدة عبر التليسكوب البدائي، رفضوا ذلك .. فلو نظروا لوجدوا.. لكن رفضوا حتى النظر، لأنهم معتقدون ان الحق في جانبهم وأن الباطل في جانبك ،ولايخضعون لهذه المنهجية العلمية التجريبية الإمبريقية.. لايؤمنون بها.. فحدَث تفاوت جدا كبير بين موقف هؤلاء الجامدين السُّذّج، وبين موقف العلماء المَرِن الذي يعترف بنسبيته وبتطوره وتكامله.. لأنه منهج بحثي مختلف، فإتسعت الهوّة الى الأمد الأقصى بين الفريقين..

فصار العلم يتبجّح ويقدّم تفسيراته العلمية الدقيقة لهذه الظاهرة او تلك إزاء هذا التفسير الجُمَلي الساذج "الله فعل.. الله خلق.. الله اراد.." إذن رفض العلم بانه يوجد إله ولا انه فعل كذا ولاخلق كذا .. العلم فقط هو الذي يعطيني الجواب. وللأسف الموقف كله خطأ بسبب إفراط و تفريط.

طريقة المسلم على العكس تماما، فهي طريقة مبنية على أن القوانين الطبيعية –بشكل عام – هي أسلوب الله تبارك وتعالى.. طريقته في العمل، في تشغيل الوجود. وأنت كلما نجحت كعلم في تقديم تفسير جديد تفصيلي لظاهرة ما، كلما اعطاك زادا جديدا تُقارب به كيفية عمل الله في الخلق، كيف يعمل؟ العلم يقول لك. قال تعالى: }أولم يرَوْ أنّا خلقنا لهم ممّا عَمِلَت أيدينا أنعاماً فَهُم لها راكبون{يس 71 ،عَمِلَت أيدينا.. يد الله تعمل ، والسؤال كيف تعمل؟ هل رأى أحدنا الله مباشرة بالأساس ؟ هل رأى يدَ الله كيف تعمل مباشرةً؟! .. }ليـس كمثله شيء{ الأعراف 54 ، الله عند الموّحّدين عند المُؤلّهة والمِلّيين يعمل لكن لا بأسلوب مباشر، يعمل عبر الأسباب التي خلقها والتي سبّبها و سبّب بها، والعِلل التي اعدّها.. كعِلل مُعَدّة لأشياء هي معلولاتها على أنه هو العلة الحقيقة لكل شيء في الوجود . لكن لماذا شاء، والحكمة أنه شاء ان يعمل عبر الأسباب أي عبر القوانين، عبر النظم .. لماذا ؟!

لأن الله تبارك وتعالى لو لم يَشَأ أن يفعل وفق هذه الطريقة لما امكن الاستدلال عليه اصلا، ولما فكّر آدمي في ان يستدل على وجود الله.. لأن الإستدلال كله.. روحه هو النظـام السببي. لـذلك –كما نقول دائما – من يُنكِر مفهوم العلّية، قانون العلّيّة، قانون السببية فهـو يُنكِر كل استدلال حيث أتى ! ويفضي به الأمر الى عدمية مطلقة، ممنوع أن يُحدّث او يُناقش..لأنه بلا فائدة اصلا، على أنه متشبّث دون ان يدري بمعقولية وسائغية ومشروعية الاستدلال، بالتالي هو متشبّث دون ان يدري بمعقولية القانون العقلي <قانون العليّة> و يُريد ان يُنكِرَهُ، حتى ميكانيكا الكم، فيقول: لا، الميكانيكا هزّت مبدأ السببية! . لا تَهزُّه ولا تستطيع اصلا، ميكانيكا الكم حين ذهبت تنفي السببية إنما نفتها بالسببية ذاتها.. ببساطة، ميكانيكا الكم تقول لك: أنا ارى ظواهر معينة خارج نطاق السببية هي الآن تُثبِت السببة ! لأنها تنطلق من أن لكل ظاهرةٍ سبباً، فإذا رأينا ظاهرة معينة، وفيما يظهر لا سبب لها، سنقول إنها ظاهرة لا سببية إتكّالا على مبدأ السببية.. أي أنّ نفي السببية عملية مستحيلة بغير التشبّث بالسببية، لو نفينا السببية فعلا وبالمطلق ومن حيث أتت –كما قلت لكم - ليس اننا سنتورط في نفي السببية في عالم صُغروي فحسب (وهو عالم ميكانيكا الكم الذي تشتغل في ميدانها)، لا.. بل سنتورط في انكار كل استدلال، الحديث يصبح بلا قيمة، العلم.. الفلسفة ..الخ ولاشيء له قيمة.. اللغة ليس لها قيمة..، لاتوجد اية علاقة سببية بين أي شيء وشيء،المسألة اعقد من هذا فانتبهوا، القوانين العقلية قوانين جبارة، اكثر جبروتا من كل قوانين العلم وصياغاته، فالقوانين العلمية متحركة ونسبية.. القوانين العقلية وبغير عقل، لا إمكان لقيام العلم اصلا.. لايوجد سعي علمي..لكن هذه مسائل فلسفية معروفة في مواطنها..

على كل حال، المؤمن المسلم المِلّي يرى –بفضل الله تبارك وتعالى – ان هاته القوانين، وهذه النظم إنما هي اسلوب وطريقة عمل الله في الشُغُل، اسلوب الله في العمل، ولذلك لاتقع في عرض الله.. فكيـف تقع في عرض الله وهي اسلوبه ؟!!!

انما تقع في طول عمَل الله، فهي تعمل و الله يعمل بها.. لايوجد تعارض بالمرة، ولذلك كل نجاح ينجزه العلم في تقديم تفسيرات جديدة ومبتكرة لنا لعمل نظام ..لعمل شيء معين .. تفسير ظاهرة طبيعية او غير طبيعية او حيوية ..الخ إنمـا يُقدم لنا زادا يُموّلنا بزاد جديد نقارب به عمَل الله فنزداد إيمانا..

وهنا مسألة مهمة بخصوص إله الفجوات وهي: ان البشر ظلوا و مازالو يؤمنون بالله مُذ كانوا .. أي قبل نشوء العلم الحديث قبل القرن السادس عشر.. قبل (كِبلر) و (تيخو باها) و (كوبر نيكوس) و (غاليليو) .. أي أنه يوجد علِم ام لايوجد فلا فرق، الإيمان موجود، لأن الإيمان لا يستند الى العلم اصالة، الإيمان يستند الى العقل.. مِلاك ومناط الإيمان هو العقل وليس العلِم. العلم عنده دور تمويني يموّننا ببعض الأشياء التي تجعلنا نقارب عمل الله، أما وجود الله وكونه هو العلّة الحقيقية في هذا الوجود كله وفي احداث هذا الكون كله وإيجاده، والكون قائم به .. كل هذا العقل أوجبَه ..العقل توصّل إليه، بغض النظر عن العلم كان او لم يكن نجح..فشل.. اخفق.. هذا لايعنينا..

بعض الملاحد العرب البسطاء السُذّج (ملحد على نيته) المسكين، يدّعون أن المؤمنون لم يؤمنوا إلا مع العلم الحديث وفي القرن العشرين و الواحد والعشرين مع (ستيفن هوكنج).. أي اذا آمن (هوكنج) آمنا.. واذا كَفَر (هوكنج) كفرنا! .. هــــذه ترهات وليست صحيحة، وكلام ساذج.. في الحلقات الأولى من برهان النظم قلت لايوجد ثمة برهان علمي على وجود الله.. مستحيل، والذي يقول لك لدي برهان علمي على وجود الله، قل له: اولا أنت ساذج لاتفهم لا في فلسفة العلم ولا في الفلسفة العقلية أنت انسان بسيط جدا جدا ومغفّل، ولا تفهم ماذا تقول.. العلم لايستطيع ان يُثبت وجود الله وليس من شأنه ان يُنفي وجود الله.. لأن العــلم عنده مساحة يشتغل فيها فقـط وهي ساحة العالم الطبيعي سواءا الكبروي او الصغروي، وعنده مناهج محددة يتوسل بها، كل ماخرج عن هذه الساحة يقول لك: هذا ليس من تخصصي، أي انه لو ثبت بالعلم ان هذا التصميم المعين تصميم ذكي وعبقري وجميل وفاعل وو .. اذن فالله موجود.. سيقول لك العلم ومادخلي بوجود الله وما ادراني بوجود الله؟! هنا العلم يقف.. تدخل الميتافيزيقا آلَه دخلت المبادىء العقلية الآن! من حقّك كعالم فقط الان ان تقول هذا، ان هذا الشيء لايثبت ولا ينفي، لكن من حقي انا كفيلسوف ان استغل هذا الشيء الذي اكتشفته انت كعالم كمثال..مادة استخدمها، ثم أُعمِل فيها آلة القوانين العقلية. اول هاته القوانين هو قانون العلية، وفلسفيا لابد لكل معلول من علّة. انتبهوا، العلل الفلسفية تختلف عن العلل العلمية، وتختلف عن العلة في اذهان المثقفين العاديين. العلل الفلسفية لايمكن ان تكون بينها وبين معلولها فاصلة زمنية .. وهذه الأمور لايفهمها الكثير، هناك أُناس كتبو ينتقدوني وأنا ابتسمت و مضيت .. ووالله ليس كِبراً مني او عجرفة لأني لم أقم بالرد على التعليقات على خُطَبي ومحاضراتي،التي تجدها للأسف بكل سذاجة ومن معلّق بمنصب الدكتور الفلاني وكذا.. لايفهم ولا يعرف ماذا يقول المسكين!، مـاذا افعل أنا؟! لا وقت لدي لأن ابدأ وأشرح الفلسفة العقلية و في مئة صفحة مبـاحث العلّة والعلّيّة ؟!! لانستطيع.. الموضوع طويل ومعقد جدا جدا لن يفهمه المسكين.. ويفكر يُعلّم عنها كالعامل.. أي ابي عِلَلِي. ابي ليس عِلَلِي ولا أمي ! ابدا. العلة لاتنفصل عن معلولها فيه تقارن.. فيه اقتران زمني فلسفيا، هم لايفهمون هذه الأشياء كلها، ويوجد فرق بين العلة بهذا المعنى، وفرق بين العلل المُعِدّة! مقدمات وممهّدات نسميها علل مجازا. على كلِّ حال، المشكلة في هذه القضايا كما قلت لكم أنه لا يستطيع ان يتصدّى لها احد إلا بعد أن يُحكِم مقدماته كلها.. يفهم علم المنطق والصّوري والمنطق الأحاديث، يفهم الفلسفة واقسامها وخاصة العقلية ويتعمق فيها.. يفهم علم الكلام الاسلامية والمسيحية واليهودية.. يفهما جيدا!، يفهم بعد ذلك اشياء كثيرة في العلم المعاصر، وفلسفة العلم، بعد ذلك ليتقدّم و يتكلم.. مالم تُحسِن هذا فستأتي بمصائب وتظن نفسك أنك فهمان، وفي الحقيقة انت لم تفهم شيئا.. هذه هي المشكلة على كل حال، فاعذروني على هذا.

نعود الى نقطة ان العلم لا علاقة له الا بالعالم الطبيعي فقط، هذا تخصصه ولاعلاقة له بغير ذلك، فهو غير مهيأ لإثبات او انكار وجود الله... لـكن المهيّأ لذلك هو الميتافيزيقاجزء من الفلسفة..هذه الفلسفة الحقيقية.. جوهر الفلسفة هو الميتافيزيقا وليست الفلسفة العلمية، اذا الغيت الميتافيزيقا فقد الغيت الفلسفة كما فعل (كانط) وكما فعل من قبله (ديفيد هيوم) .. لكن ان تستخدم هذه المسائل العلمية فهي كـزاد فقط، اختلفت هذه الحقائق العلمية ام لم تختلف فهذا لا يضر الميتافيزيقا، يبقى الفيلسوف العقلي والعقلاني مؤمنا بالله بغض النظر عما يقول

العلم، العلم في النهاية يفسر العالم الطبيعي، لكن العالم الطبيعي ككل يحتاج الى تفسير في وجوده وفي امتداده واستمراره سوف نرى اليوم حين نتعرّض لبرهان الحدوث وجها آخر لحاجة العالم الى الله تبارك وتعالى .. الفلسفة هنا تتكلم وتتصدر الموقف وليس العلم الطبيعي.. معظم علماؤنا ومشائخنا يتورطون حتى الأذقان عندما يقولون "..البرهان العلمي لوجود الله..البراهين العلمية لـ ... "، هـؤلاء لايفهمون مايقولون.. اطفال في هذا الميدان، عيب وهذا يُضحِك علينا المتخصصين فلا علاقة البرهان العلمي بهذه القضايا.

اذن لابد ان نتنبه الى قضية ان الله والقانون لايتعارضان بل يتطاولان.. فالقانون هو اسلوب عمل الله في الخلق،الله يعمل والقانون يعمل، الله يعمل بالقانون..وفقط. كما قال تعالى: }و ماتشاؤن إلا أن يشاء الله{التكوير 29 ،أثبت لنا المشيئة، وأثبت لذاته العَليّة المشيئة أليس كذلك؟! يسألُك احدهم مستفسرا: وكيف ذلك ..الجَبْر والإختيار، والقضاء والقَدَر..حسنا اذا شاءالله، مالذي يبقى لمشيئتي انا؟ انتفت مشيئتي! قل له: يا اخي مشيئتك لاتعمل في عرض واحد مع مشيئة الله، وإنما تطاول مع مشيئة الله (مشيئة العبد تقع في طول مشيئة الرب الذي لا اله الا هو) انتبهوا، مسألة مهمة جدا جدا وتنحل العقدة.

في النهاية بصدد حديثي عن إله الفجوات ربما في المحاضرة السابقة من باب التظرّف وليس التطرّف أشَرْت الى مصطلح جديد اقترحه وهو علِم الفجوات، أنتم تأخذون على المتدينين هذا المفهوم الغالط. وعلى فكرة هو مفهوم لا وزن له، ولا تبرير له الا في السِياق الغربي الفلسفي واللاهوتي، اما في السياق الاسلامي فلا موضع له.. فتصوير الله والقانون على انهما متعارضان نجم عنه مفهوم الفجوات، ولابد ان ينجم، فما ينجح فيه العلم، يُستغني فيه عن الله، مايفشل فيه العلم يُفزَع فيه الى الله .. اذن هذا إلـه الفجوات ! لكـن في الطرح والتصور الاسلاميين الله والقانون يتطاولان ولا يتعارضان فيـــختفي بالكامل ومن حيث اتى مفهوم إله الفجوات !!! ويصبح العلم يخدم مفهوم الله ويعزز الايمان بالله وبعمل الله وبقيُّوميّة الله في كونه وعلى كونه، وبكون الكون قائما بربه لا إله الا هو ..

لكن دعونا نتنزّل اعتباطا، ونحاول ان نتقمّص السياق الغربي والفكر والتصور الغربيين (إله الفجوات عندهم، وهو غير مبرر في طرحنا الاسلامي)، لديهم في خلفيتهم ايها الاخوة، إله الفجوات يُهرع اليه حين يسجل العلم فشلا في تفسير ظاهرة معينة، ولذلك يُسخَر منه ، وعلى فكرة،الى الان المتدينون المتحمسون في الغرب من المسيحيين لاشعوريا يشمتون بالعلم، ويحبون ان يُظهروا الشماتة به، يفعلون هذا !..وبعضهم متفلسفة كبار ..انظروا العلم قاصر العلم يفشل، وحين يفشل في تفسير ظاهرة معينة هو لايفشل اليوم، بل يسجل على نفسه مشوارا طويلا من الفشل فإذا فشل العلم اليوم في تفسير ظاهرة، فهو تتويجا لمسار العلم كله الفاشل في تفسير هذه الظاهرة..اي بعد اربعمئة سنة لم تفسرها فأنت فشل على مدى اربعمئة سنة، مالذي يضمن لي غدا انك ستنجح؟! او بعد غد.. او تستمر في الفشل..اذن انت فاشل! . يُظهرون الشماتة في العلم، وهـذا ليس من مصلحة الدين..للأسف، لكن هي معركة، هذه بعض آثار معركة القُروسطية بين العلم والدين في السياق الأوروبي او الغربي..

العلماويون كما نسميهم دائما ايضا من جهتهم يُهرعون كلما وقعوا في احراج الفشل وعدم القدرة على التفسير الى القول: "العلم حتمـا سيفسر هذه الظاهرة يوما غدا او بعد غد الى ان قد .. سيفسر، ليس بالضرورة اليوم هو فشل أي يبقى فاشلا. أنا قلتُ مقترحا: هـذا علم الفجوات !! هـذا يتشبث بعلم الفجوات، وهذا ايضا يتشبث بعلم الفجوات.. لكن بطريقة كما رأيتم. أيهمـا اقرب الى المنطقية والتماسك: منطق إله الفجوات (على خطئه طبعا) ، او منطق علم الفجوات ؟ أُسارع الى القول: إله الفجوات ..اكثر تماسكا، واكثر منطقية، لأن الذي يقول بإله الفجوات - كما ينبُزُه عدوه العلمَوي- إنما يصدر في قوله هذا عن إله آمن به على خلفية عقلية، لديه براهين عقلية على وجود الله!، براهين عقلية لاعلاقة لها بالعلم، لذلك كما قلت لكم ظل الناس من ألوف السنين مؤمنين بالله قبل ان ينشأ العلم الحديث بكامله، ولذلك هم يُهرَعون الى تفسير أي ظاهرة بإسناده الى الله الذين آمنوا به على اساس عقلي، وهذا الإله في ظنهم وفي اعتقادهم موجود.. الان هو موجود، وليس سيوجَد لكي يُفسر، موجود وهو الذي خلق، وهو صحيح

هو خلق هو ابدع هو شاء هذا الشيء على هذا النحو.. وهكذا وكذا. بخـــلاف العلم، فالعلم يا إخواني ليس كيانا، العلم مسار ممتد، وعملية ممتدة ومتناسخة –وكما قال الأديب الشهير الروائي (سامَر سموم): "العلم يُثبت العلم مانفاه بالأمس، وينفي اليوم ما اثبته بالأمس"، و هلُمّ جرا..على كل حال، هذا صحيح وملاحظ. وعبارة (آرثر كوستلَر) في الجماجم في صحراء العلم.. معناها يوما ما كانت مرشحة لئن تكون خالدة، لكن الان مجرد جماجم وعظام حفريات ومتحجرات ..انتهى كل شيء، وفي عصرها كان الأمل معقودا عليها ان تمتد الى مالانهاية. العموي يقول لك: "العلم سيفسر". العلم ليس كيانا، وليس لدينا ضمانة اكيدة انه سينجح ، اذن العلم يُحيل على احتمال في حين ان إله الفجوات القول به احالة على موجود..حاضر، وآمنا به على خلفية عقلية، يبقى موقف إله الفجوات اكثر تماسكا من علم الفج

وات. طبعا بافتراض او بتعابط الان ان هذا المصطلح اصلا له مايبرره، هو فقط مبرر في السياق الغربي على انه خاطيء وناشيء عن اسس خاطئة تماما.

اكتفي ان شاءالله بهذا القدر لكي اختم كما وعدتكم هذه الحلقات الطويلة في برهان النظم او برهان التصميم لكي يُفضيَ بنا الحديث ان شاءالله تعالى في الحلقة المقبلة الى برهان آخر وهو برهان الحـدوث
فأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم وعليكنّ جميعا ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الخامسة عشر برهان الحدوث 1

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم..الحمدلله رب العالمين.. ياربِّ لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كماتحب وترضى، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمدا عبده و رسوله.. صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته المباركين الميامين وأتباعهم بإحسان الى يوم الدين.. سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم،اللهم علمنا بما ينفعنا ونفعنا بما علمتنا و زدنا علما، اللهم آمين... أما بعـد،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

سنشرع في هذه الحلقة في الكلام عن برهان جديد طال في تقريره كلام علماء اللاهوت او علماء العقائد على اختلاف التسميات وليس فقط من المسلمين بل من اليهود والمسيحيين أي من اصحاب الديانات التوحيدية كما تُعرَف، على ان الدين واحد..وهو برهان حدوث المـادة ، يبرهنون بحدوث المادة على وجود الذات الإلهية، فما معنى الحدوث؟ لكي نعرف معنى الحادث.. هذا الشيء حادث –هذه مصطلحات فلسفية لاينبغي ان تؤخذ على أصل الوضع اللغوي، وإنما على اصل الاصطلاحي – الحـادث هو : كل شيء يقع في ظرف الزمان يسمى حادثا. يتساءل احدهم: انطلاقا من هذا التعريف، هناك فريق من الناس يقولون بأزلية الوجود .. بأزلية الكون، لانهم لايعترفون بحدوث الكون، صحيح. وكل من قال بأزلية الكون هم -في رأسهم (ارسطو) كان يقول بأزلية الكون للمادة الأولى، المسألة معروفة بِقِدَم العالم- اكثر الفلاسفة الاسلاميين تابعوه على ذلك.. (ابو نصر الفارابي)..(ابو علي ابن سينا)..(ابو وليد ابن رشد)..(ابن طفيل) ..(ابن باجّة)... حتى (مُلاّ صدرا) يقول بهذا لكن على نحو مختلف قليلا.. هؤلاء يقولون بأزلية العالم على انهم يقولون بمخلوقيّته لله، (ابو حامد) كفّرهم في بهذه المسألة، ونحن لا نرتئي ان نكفّرهم لأن المسألة فيها اشتباه، (ابن تيمية) شيخ الاسلام –معظم اتباعه لايعرفون هذا،وهو ثابت في كتبه بشكل واضح وفاقع- قال بوجود حوادث لا أول لها!، يعني قال بِقِدَم هذه الأشياء بأزليتها، فكفّره كثير من المعاصرين من شيوخ الاسلام، ولا يزالون الى الآن يكفّرونه، بعض كبار الأشاعرة يكفرون ابن تيمية لانه قال بحوادث لا اول لها . . . .

الذين قالوا بقِدَم العالم لايمكن ان يُصادِقوا على برهان حدوث العالم وبالتالي ان يُبرهنوا به على وجود الذات الإلهية !. على ان من هؤلاء (القائلين بقدم العالم) فلاسفة موحّدون، يقولون بقدم العالم وبأن الله اسبق منه لا بالزمان ولكن بالرُّتبة، يقولون بقدم العالم وبكونه مخلوق لله، ومفعولا لله، لاينفون الخلق... شيء عجيب، نظرية معقدة جدا....

لذلك لا تُسارعوا الى التكفير، ولايسارع اليه الا الجهلة."كما قال ابوحامد رضوان الله تعالى عليه".

إذن، بالنسبة للحدوث والكون في ظرف الزمان، وامعنى الكون في ظرف الزمان؟ يعني ان يتبثق هذا الشيء من العدم، أي ان يكون مبسوقا بعدم. فكل ماسُبِقَ بعدم وأُخرِج من كتم العدم الى انوار الوجود يسمى ويُدعى حادثا، والعملية كلها تسمى الحدوث، أي شيء خرج من العدم الى الوجود... لم يكن ثم كان، يُقابله كما سمعتم قبل قليل هو "القديم" والقديم في اللغة الكلامية العقائدية لايعني العتيق، بل القديم الذي لا اول له بمعـــنى الذي لايقع في ظرف الزمان.. فليس حادثا ! . الله تبارك وتعالى قديم، ومامعنى قديم؟ معناه ان الله غير واقع في ظرف الزمان، ولابد ان يصح هذا الكلام، لان الله هو مزمّن الزمان كما هو مكمّن المكان، ومظرّف الظروف زمانيّيها ومكانيّيها، فإذا كان الله كذلك، فهذا ستنتج عنه نواتج وتتلوه توالٍ، وتلزمه لوازم كثيرة جدا جدا نستبين بها عُقم تفكيرنا وقصورها في قياس

الله على الحوادث والمخلوقات وعلى الانسان بالذات، وستنحل به معضلات في العقيدة وفي الفهم. فالله تبارك وتعالى خارج ظرف الزمان لانه قديم لا اله الا هو. الله وجوده ليس مسبوقا بعدم، لو كان وجوده مسبوقا بعدم لكان من اقسام الحوادث، أي لكان ممكنا من الممكنات، على ان الممكن في الاصطلاح الفلسفي الممكن لا يساوي الحادث تماما كما يُطلقه كثير من المتكلمين، بل على العكس الممكن هو ممكن مع كونه قديما ايضا عند هؤلاء!.
الحادث ايها الإخوة اذا كان هذا تعريفه، وَجَبَ احتياجه الى مُحدِثٍ هو الذي اخرجه من كتم العدم الى نور الوجود .. فالحادث دائما يحتاج الى علّة، لو اردنا ان نصوغ هذا صياغة استنباطية تقليدية: نقول هذا الشيء المعين حادث، هذا مقدمة صغرى، وكل حادثَ لابد له من محدث وهذه مقدمة كبـرى، النتيجة: هذا الشيء لابد له من محدث ..فبدورنا نبحث عن هذا المحدث، لكن لاتقفز بضربة واحدة وتقول: هذا الشيء مخلوق لله، هنا توجد قفزة.. بل علينا ان نقول في الأول النتيجة بأن لابد له من محدث. الآن هل هذا المحدث، حادث آخر أو محدث غير حادِث.. هذه مسألة من خلق الله.. وهذه مسألة اخرى نتناولها بتفصيل آخر. لكن على الأقل هذه المسألة تُصاغ على هذا النحو: هذا الشيء المعين و إن شئت تقول الكون كله حادِث، ولابد لكل حادثٍ من محدث، اذن لابد ان يكون لهذا الكون محدث.. والسؤال : من هو ؟. هل هو نفسه الكون احدث نفسه؟ ممكن او غير ممكن سوف نرى. قد يقول لي احد الملحدين: هذا الكلام منطقي شكلي لا وزن له، من قال لك ان الكون اصلا حاث؟!، انت هكذا قفزت، والنتيجة مقررة لديك سلفا، وجئت تقرر اعتسافا ان الكون حادث ، من اين لك بهذا الكلام؟! الكون ليس حادثا، الكون أزلي الكون قديم لم يَزَل،فكما تؤمن بإله قديم لم يزل، ونحن نؤمن بكون قديم لم يزل أي ليس مسبوقا بعدم! .. تذكرون في خطبة ويسألونك من خلق الله، تعرضنا بسرعة للقانون الثاني للديناميكا الحرارية (قانون كارنو)، هذا القانون واضح جدا، قانون عامل و مقرر . بموجب هذا القانون : تنتقل الحرارة في الوجود كله من الأجسام والحيِّز الأكثر إلى تلك الأقل حرارة، والأمر لاينعكس من ذاته، اترك الامور على ماهي عليه ..دائما تسير على هذا النحو باستمرار. لذلك حين تصافح احدا من الناس تقول له:" يدك دافئة" فيقول لك مستغربا: لا،ابدو عاديا، ولكن يبدو ان يدك باردة... فإذا كانت يدك اقل دفئا من يده ستشعر فعلا بدفء يده.. أي تنتقل الحرارة من الجسم الأكثر حرارة الى الجسم الآقل حرارة ..هكذا الوجود كله يعمل بهذه الطريقة ماديا طبيعيا هكذا. لـو كان هذا الكون أزليا يعني ماضيه يعود الى مالانهاية، وليس من قبل خمسة عشر بليون ولا مئة وخمسين بليون سنة ..بل الى مالانهاية في الماضي، ماكنا الآن هنا نتكلم هذا الكلام! .. لأنه كان سيكون قبل مدة متمادية جدا جدا ، لابد ان يكون هذا الكون قد تموّت حراريا، أي بلغ درجة الصفر المطلق، يسألني احدهم مثلا: لماذا عند الصفر المطلق؟ لم لاينخفض عند درجة خمسة او ستة في الكون ؟! . في الفضاء العميق السحيق الدرجات هناك قر يبة من الصفر المطلق، كون بارد جدا جدا ومعتم جدا جدا {و أغطش ليلها} النازعات،29، الكون بارد وفارغ بشكل لاتتخيله. أي انك ممكن تمشي –بحسب سيغن- تسير في عشرة أُوس 32 سنة، تخيل تمشي كم بليون بسير معين .. ولاتعثر على مجرة ! الكون واسع جدا، لكن بسرعات معينة وليس بسرعة الضوء، فتمشي فيه بأية سرعة تجد الكون فارغ اسود بارد بدرجة الصفر المطلق.. رغم انها توجد مليارات المجرات في الكون التي فيها مئات مليارات النجوم، هذا شيء قليل جدا تعتبر كنقاط في الكون.. اذن هذا الكون لو كان ازليا لوصل الى درجة التموت الحراري أو الصفر المطلق من بلايين بلايين السنين لايعلمها الا الله.. لكن نحن هنا في الكون ومازالت العمليات الفيزيائية والكيميائية تحدث، أليس كذلك ؟ ومازالت النجوم تتوهج وتشتعل وتبث الطاقة .. معناها لم يبلغ الكون درجة الصفر المطلق.. وما معنى ان يبلغ الصفر المطلق؟ كما ذكرناها في الخطبة: اذا النظام بلغ الصفر المطلق فحركة الألكترونات وأي شيء أي جزيء يتوقف وينتهي .. هذا هو التموّت، كل شيء يتوقف بالكـامل، فتنتهي كل مظاهر الحياة، وكل التفاعلات كيميائية وتفاعلية .. كلها تتوقف.. يصبح عالما من السكون المطلق، ليس هذا الكون الذي نعرفه، فإذا صحّ هذا، وصحّ اننا هنا وبعقولنا ونرى الكون كما هو الآن وهذا صحيح .. وذاك صحيح .. معناها ان الكون ليس أزليا.. أي ان الكون خُلِق البارحة !، طبعا بحسب علم الكونيات هو مخلوق قبل

ثلاثة عشر مليار وسبعمئة مليون سنة، اقل من اربعة عشر مليار سنة، لذلك مازال الكون لديه فرصة أن يعيش الى ماشاءالله.. لكن ايضا بهذا القانون لن يعيش الى مالا نهاية. بالطبع انا لستُ هنا بصدد التعرض للنظريات السخيفة التي لم تثبت كالحالة المستقرة.. حقل التخليق .. الخ كل هذا كلام غير صحيح. الصحيح لحد الان والقوي هو ماذكرناه، طبعا توجد نظريات وتوجد نماذج اخرى تُقال وقد عرّجنا عليها في الحلقات السابقة.

الان قد يأتي ملحد او مادي يقول لنا: ماعلاقة هذا بوجود الله ؟! فأنا عندي اعتراض.. نحن نؤمن بأن هذا الكون أزلي، ومع ذلك هو غير متموِّت حراريا الان، لأن الكون مع كونه أزليا قديما غير مسبوق بالعدم إلا انه لم يتموّت حراريا، لأنه فقط بدأ يشتغل ويتفاعل، وخرج عن حالة التجانس التام قبل فترة بسيطة. وهذا ما اعترض به (برِفاند راسِل) في اكثر من كتاب له، يقول: "الكون في حالة تجانس.. لاتوجد اية تفاعلات ولا اية انتقالات، في ظروف محددة لانعرف لماذا، اختل هذا التجانس، فبدأت هذه العمليات والتفاعلات ". كلام فلسفي جميل، بماذا نجيب نحن كموحدين، نجيب بالتساؤل: لو افترضنا اننا سلّمنا بأن الكون كان على الصفة التي ذكرت وعلى الحالة التي نعَتّ، لـــماذا اختلّ التجانس؟ ماهو السبب وارء اختلال هذا التجانس؟ ومامعنى اختلال التجانس؟ معنى اختلال التجانس : نشوء او انبثاق حركة تفاعل حراري.. أي انتقال حراري من هذا الى ذاك.. فلماذا هذا الاختلال؟ بحـــكم ان العقل الانساني مضطر رغما عنه (وحتى الملحدون يفعلون ذلك) لقانون العلية أي لابد ان يكون هناك سبب ما، -وحسب العلية- اقول له هذا السبب الـ ما هذا، اما ان يكون سببا كامنا في جوف المادة.. في جوف العالم المادي هذا نفسه او ان يكون سببا خارجا عن هذا الكون المادي. طبعا سيُهرَع الملحد او المادي الى القول: (طبعا هو الاول اما الثاني فلا يؤمن به) هو أكيد انه سبب كامن في جوف المادة. في عمق المادة والكون. اقول له : وقعتَ في التفكير الدائري.. أي يُجعَل الشيء سببا و مُسَببا في الوقت ذاته.. وهذا مستحيـــل!، او يتوقّف الشيء على شيء في الوقت الذي يتوقّف عليه المُتوَقّف عليه على ما توقّف عليه .. مستحيـل، هذا اسمه التفكير الدائري او (الدّوْر)، أي كمثال: عندما تذهب الى الجامعة وأنت خريج ثانوية عامة تريد التسجيل فيها، فتقول لك الجامعة: لامانع لدينا ولكن عليك ان تكون خريجا من الكلية الفلانية التي انت راغب التسجيل فيها، لكي نقبلك في تسجيلك فيها !.. مستحيل، يتوقف الشيء على نفسه، اذن، في حياتك لن تدخل هذه الكلية . قال تعالى: {أم خُلقوا من غير شيء؟} الطور ،وهذا ابطال القول الذي يبطل العلية، فلا يوجد شيء اسمه "نحن مخلوقين وفقط" لايوجد، فلكل معلول علّة، {أم همُ الخالقون}الطور ، أي دّوْر ، مخلوق خَلَقَ مخلوق. فالقرآن أبطل هاتين الحماقتين بكلمتين.. في سورة الطور {أم خُلقوا من غير شيء} اي ابطال القول الذي يبطل العلية، فيقول احدهم: "ليس شرطا العلية تكون موجودة.. موجود بغير سبب.." لكن هذا كلام فارغ، لايقول به احد !، حتى الذي يُبطِل العلية لايقول به، لأنه حين يَعْتَلّ لابطال العلية إنما يُصادِق على العلية ! بدليل انه يريد ان يقنعك بهذا القول، اذن هو يؤمن بأن هذه الحجة علة للإقناع. هذه هي القوانين العقلية هي قوانين مطلقة وشاملة عامة كلية، ولايستطيع احد ان يلغيها..قال الله {أم خُلقوا من غير شيء} لن تستطيع، {أم همُ الخالقون} أي هل يكون المخلوق خالقا في الوقت ذاته، أي خلق نفسه؟! مستحيـــل .. وهذا اسمه الدّوْر. فنقول لهم: اذا قلتم هذا السبب -وهو غير معين وغير معروف بتفاصيله- داخل المادة، كامن في قلب المادة.. فقد وقعتم في الدّور المحال، لأنه ليس معنى اختلال التجانس الا وقوع التبادل الحراري، هو تعبير عن شيء واحد، يُعبّر بأنه اختلال التجانس الحراري بوقوع التبادل والتفاعل الحراريين، فأن تفسر هذا بهذا، فهذا اسمه دَور!. فاطلب منهم ان يعينوا لك سببا نقبله، لن تجد عندهم سببا. لم يبقى الا ان يقولوا : لا لا، واضح ان السبب خارج المادة.

الان توجد قضية فلسفية خطيرة جدا، فقد تورّطوا اكثر، فالقاعدة ومبدأ من مبادىء الفسفة العقلية: <العَرَضي لابد ان يعود الى الذاتي، والذاتي لا يُفسر بغيره>. أي كل مابالعَرَض لابد ان يعود الى ما بالذات، بمعـــنى –كما ذكرت في الخطبة- كهذا المسجد الان مُضاء بهذا النور، والنور مُضاء بـذاته، لايوجد شيء يضيء النور، لأن معنى النورية الإضاءة، فإذن نفسر بكون المسجد مضاءا بوجود منابع الضوء هذه، كيف نفسر انها هي مضاءة، مستحيل بذاتها طبيعة

الضوء، فإضاءة النور صفة ذاتية له لا يُطلَب لها تفسير. و أبسط من هذا، مشروب الكركديه هذا حلو المذاق، بماذا أُفسر حلاوة مذاقه؟ لأن الكركديه اذا غُلِيَ وحده تجده حامض جدا، فنسر حلاوته بالسكر او العسل المضاف اليه، بماذا افسر حلاوة السكر؟ لا تفسيـــر لها !. لأن معنى السكرية هو الحلاوة. فما بالذات لا يُطلب له تفسير، ما بالعَرَض يطلب له تفسير الى ان نعود الى ما بالذات، فكل مابالعَرَض لابد ان يعود الى ما بالذات، و ما بالذات لايعود الى شيء. الان التبادل الحراري الذي يحدث في الكون من ذاتيات المادة او من عَرَضياتها؟ من عرضياتها بدليل قولكم أتى على المادة حين لا نهائي كانت متجانسة ولم توجد تبادلات، ثم حدث التبادل هذا، معناها عَرَض لها بعد ان لم يكن فهو من عَرَضياتها، بماذا يُفسَّر ؟ نطلب له تفسير، لابد في النهاية ان نُسنِدَهُ الى سبب .. الى مُحدِث لا يُطلَب له مُحدِث آخر ، لايُطلب له سبب آخر يسببه وهو واجد هذا الوجود .. هو الخالق الذي لا اله الا هو !. هذا العقل ولا دخل للعلم بهذا، العلم يوضح لك فقط مقدمات البرهان، يتدخل فيه، ليست لدينا اية مشكلة.. لكن السير كله لابد ان يكون سيرا عقليا محضا هنا.

اذن فاعلية المادة وكونها فاعلة وتتحرك وفيها تبادلات.. من عَرَضياتها. المثلث زواياه تساوي قائمتين، ذاتي ام عَرَضي؟ ذاتي.. فلا يوجد مثلث بلا زوايا قائمتين، وبعد مئة سنة فجأة .. عَرَض له ان زواياه تساوي قائمتين.. غير صحيح، لأن كون المثلث مثلثا لا يعني شيئا اكثر من ان زواياه تساوي قائمتين. حسنا، $1+1=2$ ذاتي أو عَرَضي؟ ذاتي، فلا يوجد واحد يضاف الى واحد يعطينا نتيجة غير معروفة ومبهمة وبعد فترة معينة نجعلها تساوي اثنين!.

قد يسألني احدهم: بعد أن وضحتَ لنا برهان حدوث الكون، أين الإشارة له في القرآن ؟ كثييير جدا، القرآن ملئـــان ريّـان من الاشارات والتصريحات الى برهان الحدوث، ومن اشهرها محاجة ابراهيم عليه السلام، فيُقال لي: كيف تتفلسف.. الدين ليس بفلسفة..الخ، اقول له انت لاتعرف شيئا، فالكثير يخافون من الفلسفة قد تؤدي الى الالحاد وكذا، اطلاقا ليس له علاقة، فالفلسفة ليست مذاهب انا لا احترم الكثر المذاهب، الفلسفة منهج في التفكير ونشاط عقلي، وهي في صميمها لا تتناقض مع مسائل الموحدين، بل على العكس تُعزّزهم لكن بلغة فنية محترمة يحترمونها الناس، القرآن الكريم عَرَض لإبراهيم عليه السلام لما رأى كوكبا {قال هذا ربي} الانعام،78 في الحقيقة هو لم يعتقد انه ربه، هو كان في مقام المحاجة.. يحتج عليهم، بدليل قوله في آخر السياق الكريم {وتلك حجتنا آتيناها إبراهيمَ على قومه} اذن ابراهيم عليه السلام كان في مقام المناظرة ام في مقام النظر؟ المناظرة وليس النظر، ليس في مقام ان يحتج لنفسه بل ان يحتج بها عليهم ، لا لذاته.. هو كان موحّدا ومؤمنا من قبل نبوئته عليه السلام.. حسنا {قال هذا ربي} يقول لهم: هذا ينفع ان يكون إلـها، وان يكون هذا الكوكب هو المدبّر – وخاصة في بيئة بابلية في أور، يعتقدون بالتنجيم وبثبات العالم العلوي وبأثيريته وبلطافته وببساطته، وكماقلت لكم وكونه خارجا عن عالم الكون والفساد ..الخ ، فهم يعتقدون بهذا، يسمونها مدبرات- للكون والذي يدبر لبني الإنسان.. ممكن جدا، لمَ لا !.. يريد ان يستدرجهم الى الحق، {فلما أفَل قال لا أحبُّ الآفلين} الانعام،76، وهذا حدث مع القمر ومع الشمس.... هذا استدلال ببرهان الحدوث على ان الحادث لايكون ربا، لايكون خالقا.. لماذا؟! واضح ان هاته الكواكب والسيارات والنجوم تفعل هذا من أمد لا يعلمه الا الله.. مذ كانت وهي تظهر وتختفي، تشرق ثم تغرب رغمـا عنها، محكومة بإستمرار بقانون الظهور والغيبوبة بإستمرار بطريقة نمطية رياضية رغمـــا عنها،فكيف تكون آلهة و تدبر ؟!! فمن أخص صفات الله تبارك وتعالى هي الإرادة والمشيئة {إن ربك فعّال لما يريد} ، ما شاءالله كان ومالم يشأ لم يكن..! وبما أن الكوكب يظهر ويختفي، اذن فيه تغير، التغير علامة الحدوث..فكل حادث لابد له من مُحدِث. ثـم شروق هذا الكوكب او النجم وغروبه، او طلوعه وأُفوله مـن عَرَضياته واضح أنه يعرض له، بدليل أنه الان غارِب، وبعد حين يطلع معناه هو عَرَضي ليس ثابتا له. السكر لن يكون حلوا وبعد ساعة يتحوّل الى مالح.. اذن العَرَضي متغير والذاتي ثابت، هذا الكوكب يطلع ثم يأفُل .. اذن هذه ذاتيات او عَرَضيات؟ عَرَضيات له، يعني الطلوع له عَرَضي وليس ذاتي، لأنه حين يأفل لن يكون طالعا، وحين يطلع لن يكون آفِلا .. اذن هذا عَرَضي. وتستعجبون على تفكير

ابراهيم عليه السلام وحجته التي اعطاه الله اياها.. فهو أبو الأنبياء واذكى البشر على الإطلاق ولايعني انه نبي أي انه يعطِّل عقله. حتى هذه البراهين الفلسفية هي عطايا إلـهية !.. طبعا والله يباركه و يحبه، فيسألني احدهم لمَ تتخذ موقفا متشنجا؟!! من الجمود العقلي و الدوران مع الأسماء حين يقولون: أنه هذا "برهان فلسفي" اسمه "برهان الحدوث" لانحتاجه! . هذا سذاجة في التفكير تجده عند بعض المشائخ والعلماء، سذاجـة بالغة جدا جدا ياجماعة.. العقلاء من البشر لا تُذهبهم المصطلحات والأسماء والعنوانات وإنما يعتمدوا على تحقيق المضمــــون، يعني ايضا هم يفرّقون مرة اخرى بين العَرَضي والذاتي..اسمه برهان الحدوث هذا عَرَضي ! باللغة الإنجليزية يسمّوه شيء آخر، وباليباني شيء آخر، وممكن في علم الكلام نعطيه اسما آخر... لكن جوهر الاحتجاج به واحـد، فجوهره ذاتي له كبرهان، واسماؤه هي عَرَضية تعرض له باختلاف الناطقين باللغات.. والأمور سهلة وبديهية، لكن للأسف.. تجد علماء كبار يتقحّمون ورطة الإنكار بالجمود والتحجر.

نأتِ الان لكي نقول: سواء برهان النظم أو برهان الحدوث ماذا يثبت هذان البرهانان؟ هل يثبتان ان الله تبارك وتعالى هو خالق الكون والوجود؟ لا، لايفعلان ذلك ابدا.. ماذا يفعلان اذن؟ حاجة الوجود الى مُحدث، الآن ماهو هذا المحدث، هل هو واحد او اثنان او ثلاثة؟ هل هو أزلي غير أزلي، هل هو غني بذاته او غير غني، قيُّوم او غير قيوم، لايتعرّض البرهانان بذاتهما لذلك. يعنـــي الغاية التي يبلغها برهان النظم، وبرهان الحدوث هو الغاية التي يظهر فيها حاجة الوجود وحاجة الاشياء والكائنات الى مُحدث. طبعا كما قلنا في برهان الآيوي والذي لخصناه بكلمة: البرهان الآيوي يعني دلالة الآية على ذي الآية، الآيات كما تدل على أن للظاهرات وللأشياء وللكائنات محدثا فتدل ايضا بوجهٍ او بوجوه على بعض صفات هذا المُحدث.. صحيح. لكن تبقى مهمة برهنة سائر الصفات التي لديهم بها كموحدين مؤلّهة تبقى على عاتق براهين اخرى.. وصارَ مايُثبته برهاننا اليوم أن الوجود الحادث او المُحدَث لابـد له من مُحدِث، لكن لايثبت لنا البرهان بذاته كبرهان الحدوث أن هذا المُحدِث لا مُحدِثَ له، ممكن هو يكون مُحدَث و له محدِث..مثلا ! ، لا يُثبت لنا؟! فماذا نفعل؟ نحن عقيدتنا.. ايماننا المبرهن بفضل الله عز و جل، ان هذا المُحدِث لا محدِثَ له، هو محدث كل حادث ولا مُحدِثَ له! .. هنا تكون المشكلة الفلسفية !، وهذه مشكلة كما طرحتها سابقا في خطبة فمن خلقَ الله ، للأسف الشَديد تورّط و تهوّر بسببها جماعة من كبار الفلاسفة، وكبار عقلائهم مثل (إمانويل كانط)، و (ديفيد هيوم)، و (جون ستيورات مِل)، و (بِرفاند راسّل)، و(جان بول سارتر).. كثيرون تورّطوا هنا، احتجوا ببساطة وقالوا: " انتم تدّعون ونحن موافقون ان قانون العلية او السببية قـــانون عقلي، وبكونه قانونا عقليا فهو قانون عام ومطلق"، ومعنى عام أي شامل لا استثنائي له..ينطبق على الكل..يقبل التخصيص، وكونه مطلقا أي لا تقييد له.. فيفعل في كل الظروف وتحت كل الشروط، هذا هو معنى المطلق.. هناك فرق بين الكُلّي والمطلق الذي يقبل التقييد. القـــانون العقلي لاتخصيص له، ولا تقييد له. فقالوا هؤلاء: نحن موافقون، لكن تورّطتم يا مؤلّهين، لأنكم استثنيتم الرّب من هذا !..قلتم كل شيء لابد ان يخضع لقانون العلية، ولذلك كل شيء فهو معلول من جهة، وله علّة... حين وصلتم الى الله قلتم هو العلّة ولا علّة له !، وهذا خطأ ومناقضة لقانون العلية !!. وهذه الشبهة قد تكون قوية لمن لم يقرأ الفلسفة العقلية، ولم يحذقها، ولكن لمن حذقها وتمهّر بها ستبدو له شبهة سخيفة جدا جدا جدا.. هذه الشبهة هي التي جعلت (بِرفاند راسّل) يُفارق ايمانه في كتيّبه <لماذا لستُ مسيحيا> قال: "انا كنت مؤمنا الى ان بلغتُ الثامنة عشر، فبينما اقرأ في سيرة (جون ستيورات مِل) وقعت على هذه العبارة: قال (مِل) كان ابي يقول: "إن الطريقة المعروفة في الاستدلال على وجود الذات الإلهية لامعنى لها، لا جدوى من ورائها، وبالتالي فالسؤال من خلق هذا الشيء ..الخ لا معنى له" أي الشيء موجود وانتهى، لأنك في النهاية ستبلغ الى من خلقَ الله..ان تقول لي هو خالق غير مخلوق فهذا كلام فارغ.. اذن انا سأستغني عنه ..! (راسّل) قال انا استثني هذه الشُبَه، أفقدته إيمانهُ !.. لانستطيع ان نقول (بِرفاند راسّل) غبي، كان ذكيا، رجل فيلسوفا كبيرا جدا جدا، لكن سبحان الله.. الهداية بيد الله، وتَبَعا لمراد العَبد.. هل تريد الهداية؟! هل تريدها؟ ام عندك ارادة الإلحاد والكفر؟! وهذا أمر آخر، فنسأل الله ان

يهدينا في كل الأمور. فمن أراد الحق و بنيّة خالصة ايها الإخوة، ولكن ايضا الحق يريد جُهدا وتعباً، انا اعرف أن الذين حتى يعارضون خاصة في الشؤون الدينية تكون عنده النيّة، لكنه لم يبذل الجهود اللازمة لمعرفة الحق فتهوّر .
وسألخّص لكم بما أني لن اعيد الخطبة ،، أول شيء اجابتنا هي: أننا لم نَقُل إن كل شيء او كل موجود محتاج الى مُحدِث.. لم يتورّط به فيلسوف الهي، هذا لا يقوله احد ، ولا عالِم كلام، إنمـــا نقول كل حادث ماثبت حدوثه لَزِمَ احتياجه بالضرورة الى المُحدِث، وهذه القاعدة صحيحة مئة في المئة، والحديث عن الله تبارك وتعالى لا على انه حادِث، لو كان حادثاً سنتقبّل، لكن لن يكون الله.. هذا الحادث يحتاج الى مُحدِث، الى أن نبلُغ الى المُحدِث الذي لا يحتاج الى مُحدِث فهـــو الخالق الأوحد الذي لا إله الا هو. فمن قال لكم إن القاعدة ان كل شيء أو كل موجود محتاج الى مُحدِث؟! .. هنا يأتي احدهم يقول لي: كيف تسوّغون الله بكل شيء؟ إنه يصح في الأرجح أن يُسمّى الله شيئا، استمعت الى واحد متنصّر أبله يقول: "انظروا الى المسلمين يسمّون الله شيئا !!" ، ومالمشكلة في ذلك ؟! حسنا فالله شيء لكن لا كالأشياء، والله موجود وانت تقول هذا كمسيحي، وأنا موجود ، لكن انا موجود حادث، والله موجود واجب الوجود ومن جميع الجهات الذي لا إله الا هو.. فليست مشكلة هذه.. {قل أي شيء أكبرُ شهادة قُل الله} الأنعام،19 أرأيتم؟! وهذا مارجّحهُ معظم علمائنا أن الله يُسمّى شيئا لا إله الا هو، شيء لا كالأشياء ، و مُشيّء الأشياء الذي لا إله الا هو... فالله موجود ونحن موجودون ايضا، لكن هو موجود لا وجودا إمكانيا، بل وجودا وجوبيا أي ضروريا، هذا هو الفرق يا أخي !.. نحن لدينا علم، وهذا عالِم، والله عالم، لكن ماهي صفة علمِ الله وماتكون صفة علم المخلوق؟!.. هذه اشتراكات لفظية، هذه لاتخيفنا ولا تهولُنا، دائما نحقق المعنى، نحن لاتهولنا البداءات ولا العنوانات.
على كل حال، فقلنا القاعدة هي أن كل حادث أي كل مفتقر.. كل مالايقوم بذاته، كل ممكن فهو يحتاج الى محدث، لم نقل كل شيء ولا كل موجود، هذا أولا .
ثانيا: وأما الجواب المسهب الذي خضنا فيه، وهذا هو الأهم فهو التحقيق الفلسفي في مِلاك او مناط الإحتياج الى العلّة، فماهو مِلاك الإحتياج الى العلّة؟ لدينا ثلاث نظريات.. الذي كان مدار تفصيلها في تلك الخطبة السابقة..
النظرية الكلامية لعلماء العقيدة لدينا المسلمين كالأشاعرة والماتوريدية وغيرهم، نظرية المتكلمين تقول ملاك الاحتياج الى العلة هي الحـدوث، ونحن الآن في برهان الحدوث، وإذا سألتني: وهل هناك من خالف في هذه المسألة؟ نعـم، هو الفلاسفة الذين قالوا ان الكون ليس محدَثاً، وليس مسبوقا بزمان على أنهم مؤمنون بالله، وأقاموا أدلة من اروع مايكون على وجود الله مثل (ابن سينا) و (الفارابي) و (ابن رشد) الذي كان مصليا وكان قاضي القضاة وفقيه المالكية ويقول بِقِدَم العالَم، أي لايقول بحدوثه خلافا لأبي حامد وخلافا لسائر الأمة تقريبا، لكن ابن تيمية ايضا تورط في القول بهذه الأشياء.
على كل حال، النظرية الثانية هي النظرية الفلسفية التي قالت لا، ملاك الاحتياج الى العلة ليس الحدوث، وإنما هي الإمكان الذاتي.. نظرية (ابن سينا)، وقد قلت لكم سابقا، لايعني كون الشيء ممكنا أنه بالضرورة حادث، قد يكون قديما على انه ليس واجبا بل من اقسام الممكنات، وعند (ابن سينا) و (الفارابي) و (ابن رشد) وكل هؤلاء الفلاسفة العقليين عندهم الواجب فقط هو الله، الواجب بالذات طبعا ليس بالغير. الواجب بالذات فقط هو الله الواحد الأحد، وكل ماعداه ممكن، و كونه ممكنا لا يتناقض مع كونه قديما غير مسبوق بعدم.. نحتاج الى التفصيل في هذا في المحاضرات القادمة حتى نمسك عن التكفير.. (ابن سينا) كافر.. (ابن تيمية) كافر .. لا تكفّر يا اخي، فهي مسألة معقدة .. فإبن تيمية قال هذا متابعة لهم.. تأثر بهم ..فأدلتهم قوية !.
النظرية الثالثة والأخيرة وهي أروعها و أقواها وأمتنها، وفيها تحقيق فلسفي رائع على انه بسيط و مفهوم نظرية المُلاّ صدرا –رحمة الله عليه- تُوفّي سنة خمسين وألف للهجرة أي في منتصف القرن الحادي عشر الهجري، تقريبا سنة 16 ميلادي، ونظريته تقول أن ملاك الاحتياج الى العلة ليس الحدوث، وليس الامكاني الذاتي، بل هو الإمكان الوجودي، يمعنى أن وجود كل شيء عدا الله تبارك وتعالى هو من قبيل الوجود التعلّقي، وصل الملاّ صدرا الى هذا الكلام بتحليل

مفهوم العليّة.. ماهي العليّة، فوجد أن كل ماعدا الحق الباري لا اله الا هو جلّ مجده وتعالى و عز، كله إنما يتمتع بوجود تعلّقي بالله، وجوده دائما مُسند الى الله.

وسأعرّج بسرعة على نظرية الملاّ صدرا في الحركة الجوهرية، الملاّ صدرا يقول: "كل مافي الوجود من دقيق وجليل، وظاهر وخفي، كل ماعدا الله تبارك وتعالى في حركة مستمرة دائبة، لاشيء ثابت، كل شيء محكوم بالحركة." وحتى اوضح لكم معنى الحركة الجوهرية، لابد ان أفرّق بين مفهومين للحركة.. المفهوم الفلسفي، والمفهوم الهندسي والعلمي والفيزيائي، فالمفهوم العلمي للحركة يجعلها حركة نسبية رهنا بالمكان، ويتحدث هذا المفهوم عن ثلاثة اضرب من الحركة: الحركة الخطية في بعد واحد، الحركة السطحية في بعدَيْن أي على محورين من ضمن المكان، والحركة الفضائية او الفراغية ويسموها الحركة الحجمية. يقول هؤلاء العلماء والفلاسفة الذين اعتمدوا مفهومهم كتقريب للمفهوم الفلسفي: اما اذا كان المحور نفسه متحركا.. اختفى مفهوم الحركة. لأن الحركة حركة شيء على محور، فإن تحرك المحور نفسه، فلن تكون هنا حركة تحدث ! وبهذا التبسيط اليسير فهمنا ان الحركة فعلا مفهومٌ نسبي، فكل شيء انما يتحرك بالنسبة الى غيره، لذلك اذا قلنا الوجود هو الكون فقط، فـــلا يُتصَوّر الكون حركة ! إنما تُتَصوّر في الأشياء داخل الكون نسبة الى بعضها البعض... أما الكون كله يتحرك فمستحيل لايتحرك، إلا اذا قلت لا، الكون هو اوسع منه في فراغ اكبر فتتوهّم محورا معينا يتحرك فيه كوننا إلى ان تصل الى كون ليس بعده كون فيتوقف.. يفشل ويبطل مفهوم الحركة.. هذا هو التقريب الفيزيائي لمفهوم الحركة.

الفلاسفة لايتحدثون عن الحركة بهذا المعنى .. على فكرة وجدنا في كتابات الماركسية يتحدثون عن الإيمان ويناقضونا كمؤمنين يحاكمون كلامنا في الحركة الى مفهومهم هم في الحركة الفيزيائية، وهذا خطأ .. لذلك اقول لكم لابد من توسيع الدائرة المعرفية، فأنت كفيزيائي تتحدث فقط من منطلق فيزيائي وتناقشني فلسفيا و لاهوتيا.. لاتستطيع.. تفشل ! وهذا يجعلني اضحك منك، والعكس صحيح ايضا، فلا يجوز لفيسلوف الهي او عقلاني ان يحاكم الفيزيائيين الى مفهومه هو الى الحركة! وينقض مفهومهم بمفهومه..لايجوز، فهذا فهم وهذا فهم، لابد ان تراعي الاصطلاحات، لكل اهل فن اصطلاحهم، لكن محاكمة اصطلاح اهل فن ما بإصطلاح فن اَخر فهذا خطأ خلط و خبطُ في العلم والمناظرة، ولـــكن وفي الغرب يقع هذا الأمر كثيرا!، ولايتفطنون اليه .

لكن مامعنى الحركة التي يتحدث عنها الفلاسفة الإلهيون والعقلانيون بما فيهم المُلاّ صدرا، ماهي هذه الحركة؟ الحركة عندهم عبارة عن مطلق التغير، في درجات وجودية تسمى حركة بغض النظر عن تنسيبها الى غيرها، بمعنى : الآن هذا الفنجان لونه ابيض، بفعل معين لو ان لونه استحال الى لون اغمق قليلا، هذا يسمى حـركة.. هذا التغير تغير حركي - ليس فيزيائيا بل فلسفيا- لأن هذا اللون انتقل من رتبة وجودية الى رتبة وجودية أشد من لون الابيض، هذا يسمى فلسفيا بالحركة، كل تغير وإن لم يكن منسّباً الى غيره يسمى حركة. هذا هو الفهم الفلسفي غير الفهم الفيزيائي.

المُلاّ صدرا يقول: "كل مافي الوجود بإستثناء الخالق الذي لا إله الا هو، وهو رب هذا الوجود، كله يخضع للحركة الجوهرية" ، أي حركة مستمرة دائبة، بمعنى لايبقى أي شيء على حاله لحظتين متواليتين، تماما كما تحدث السادة الأشاعرة عن استحالة بقاء العَرَض زمانين متواليين في العقيدة الأشعرية. وهذا فهم عميق جدا جدا جدا. بعض المؤلّهة يسمون هذا البرهان بالذات <برهـان القهر بالحركة> الله قهر الوجود كله كما قال: {كل في فلكٍ يسبحون} يس،40 ،كل شيء متغير متحرك من حال الى حال، أي ليس من حق شيء ان يقول هذا حال لي مكان او موقف اتشبّث به... لالا، ستزايره سريعا، اسرع مماتتخيل، لن تبقى في لحظتين !! هـذا في نهاية المطاف اوحى لكثير من الفلاسفة المؤلّهة بما فيهم (ابو حامد الغزالي) بل الأشاعرة عموما، (مِل براينش) من الديكارتيين بنظرية الخلق المستمر، أن الله تبارك وتعالى لايزال يُعدِم هذا الوجود بكل مافيه ويخلقه من جديد دائـــما، لأن هذا الوجود لايستغني عن خالقه ولا أقلّ من لحظة ! {لا تأخذه سِنَةٌ و لا نوم} البقرة،255 ، شيء محير وعجيـب بخلاف الفهم البدائي البسيط الساذج لخالقية الله تبارك وتعالى أنه على نحو الفخار او الخزّاف أو البنّاء في معماره الذي انجز

عمله و أدار ظهره وتركه خلفه، كما قال (ابن رشد) – الذي هو ضد هذا المعنى: الله ليس على هذا النحو، أنه بنى بناية ثم تركها، مات البنّاء وبقيت العمارة.. للأسف، بعض الفلاسفة الأوروبيين يظنون هذا الظن بالله ! لالا، ابدا، وإنما الأشياء المحتاجة الى الله لافي اصل اخراجها من العدم الى الوجود، او تشكيلها ضمن الوجود لأنها قديمة –في نظرية قِدَم العالَم- من شكل الى شكل، اكسابها شكلا جديدا، لا ليس في هذا، بل في دوام ماهي عليه وعلى ما آلت إليه.. بإستمرار تحتاج الى الله عز و جل، وهذا معنى القيّومية فيعول من القيام الـذي يقـــوم بـه كـل شيء على أنـه قــائم بذاتـه الذي لا إله إلا هو لايحتـاج الى شيء يقوم به.. الحي القيوم الذي لا اله الا هو.. لذلك آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، فلو أخذته سبحانه سِنَة من النوم ماذا سيحدث؟ يزول الوجود تمــاما، فإذا قلت لي بقِدَم العالَم، فسأقول لك على قِدَم العالَم فسيتدمّر عالِيَهُ على سافله.. سيتعجّن العالم في أقل من لحظة!. على الجهتين توجد كارثة ستحدث، فـوفق نظرية الحدوث لو أخذت الله سِنَة من النوم والخلق مستمر يغيـــب الوجود ..يعود الى العدم، ولاشيء انتهى .! على نظرية قِدَم العالَم وأزليته على انه مخلوق لله، أو الله سابق عليه بالرتبة لا بالزمان لو اخذته سنة من النوم يتطربق هذا الكون ويتعجّن بما فيه.. يُدمّر ويهلِك في بعضه البعض!!! لكن تبقى المادة .. المُلاّ صدرا يقول –كما ذكرت لكم- "و إن فشل الحس الإنساني في ملاحظته، ستفشل في ان ترى مثلا هذا الحائط يتغير، وانا اقول لكم سبحان الله وحتى الآن ..يتغير فيزيائيا، تعالوا بعد عشر سنين سترى ان لونه قد تغير، اشياء كثيرة فيه تغيرت، لكن هذه لا تلحظ في زمن قصير ولا تُلحظ في الزمان الطويل، إنما تُلحظ مرة بعد زمانٍ طويـــل.. أي لو مكثت عشر سنين وأنت تراقب ، سيتغير وأنت لاتشعر بتغيّره. وهذا الفرق بين انسان تقريبا لايرى التغير الدراماتيكي في ابنه لأنه متعايش معه بإستمرار فهو لايرقب هذا التغير، وبين من يغيب عن ابنه سنوات طوال ثم يرى التغير الذي حصل له. الملا صدرا قال لك لا، اياك ان يغرّك الحس، فكل شيء يتغير باستمرار في كل لحيظة ولا يبقى زمانين على ماهو عليه.. تتغير هذه الاعراض باستمرار، واتخذ –رحمة الله عليه- الحركة الجوهرية برهانا على مخلوقية العالم لله، وحاجة العالم لله تبارك وتعالى، وكلامه ابلغ من مجرد الكلام في حدوث العالم، او إحداث الله للعالم، قال انه ليس فقط أحدَثَهُ، لا .. أحدَثَهُ ويُحدثُهُ بإستمـــرار في كل لحيظة الذي لا اله الا هو . هذه الحركة الجوهرية تتوائم وتلتئم بمفهوم قيّوميّة الله تبارك وتعالى.

اكتفي بهذا القدر في هذه الحلقة لأنني الآن اذا تركت هذا الكلام سأدخل في موضوع الفرق بين نظرية من قال بقدم العالم، ونظرية من قال بحدوث العالم، وهذا يحتاج الى وقت طويـل ايضا . . .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

لا تنسونا من صالح دعائكم



و السلام عليكم